مواقع النجوم

الحاج الآغا محمد كريم خان الكرماني

تحقيق وتصنيف

عبد الرسول زين الدين

دار المحجة البيضاء

مَوَاقِعُ النُّجُومِ


بسم الله الرحمن الرحيم



مواقع النجوم

الحاج الآغا محمد كريم خان الكرماني

تحقيق وتصنيف

عبد الرسول زين الدين

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب:١٤/٥٤٧٩- هاتف:٠٣/٢٨٧١٧٩-تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧-٠١/٥٤١٢١١

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله الطيبين الطاهرين، نجوم الأمان في العالمين، والعلامات التي هي هداية للمهتدين، والذين كانوا من قبل مواقع صفات التكوين كائنين غير مكونين وبعد:

فإن علوم الفلك والنجوم مما يثير دهشة المرء ويزيد من رغبته في الاطلاع على هذا العالم الفسيح الواسع الذي ملأ بالغرائب والاسرار والتي ما زال العلم الطبيعي لم يصل إلى معشار ما فيها من عجائب الخلقة والعوالم المتعددة.

وقد أكثر العلماء المعاصرين مما يطلق عليهم في كتابات الماضين (بعلماء الهيئة) من النظريات والتكهنات معتمدين على ما استطاع العلم الحديث ان يوفر لهم من الارصاد ومما تجلبه الاقمار الصناعية (والتلسكوبات) التي تقرب البعيد وترصد حركة النجوم والشهب والنيازك.

ولقد اهتم القرآن وأهل البيت عليهم السلام بعلوم الفضاء وأخبروا عن تلك العوالم وعجائب خلقها وما يرتبط بالمكلفين من احكامها لاسيما حركة الشمس والقمر ودوران الأرض وتحديد الليل والنهار والحر والبرد الذين تبتنى عليه فصول السنة الأربع وما يلحق بها من

أحكام مرتبطة بالعبادات والمعاملات وسائر التكاليف الخاصة بالمكلفين

فكانت أحاديثهم في هذا المجال زاخرة وكاشفة عن أسرار عميقة قد لا يستطيع الغور فيها إلا من شرب من مائهم وعجن بطين ولايتهم وسلم لقولهم واهتدى ببيانهم، وقد ذكروا سلام الله عليهم أخباراً فيما يتعلق بالفضاء والفلك تبدو للقارىء في أول وهلة انها من العلوم القديمة التي استطاعت التجارب أن تتجاوزها والكشف عن أشياء لم تستطع الأخبار بلوغها، إلا أن المتأمل بالمواصفات التي ذكرناها والمسلم لما قالوا،يعلم يقينا أن أخبارهم عليهم السلام لا يحدها زمان وهي لم تقال لأهل زمان دون الزمان اللاحق بل انهم يتكلمون بالكلمة على سبعين وجها لكل لهم منها المخرج كما قالوا عليهم السلام .

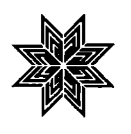
لذا سعى العلماء الربانيون إلى قراءة هذه الأخبار ودرايتها وبيان بعض الرموز المستصعبة فيها بقدر الوسع والطاقة وبما بان لهم وحصل لهم الإذن في بيانه وإظهاره، إذ ليس كل ما يعلم يقال وليس كل ما يقال حان وقت قوله. .

وممن خاض بحار هذه العلوم، وجاس ديار تلك المنازل والنجوم الحاج الاغا محمد كريم خان الكرماني في هذه الرسالة التي نقدمها للقارىء الكريم والتي تكشف جانب عميق من فهم تلك الأخبار وبيان غوامضها وأسرارها.

وقد ألحقنا بها نصوصاً تتعلق بنظرية الفلك والفضاء عند أهل البيت وربما ورد أغلبها في متن الرسالة.

نسأل الله أن نكون قد وفّقنا في اختيار هذه الرسالة وأن تكون نافعة للمؤمنين والموالين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

عبد الرسول زين الدين





ترجمة المصنف

الحاج محمد كريم خان الكرماني ١٢٢٥ - ١٢٨٨ هجرية.

يعتبر الحاج محمد كريم خان (أعلى الله مقامه) من أبرز علماء الفرقة المحقة في القرن الرابع عشر، حيث استطاع ان يوجد لنفسه مساراً وذوقاً خاصاً في معرفة أخبار آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين بالاستعانة بكتابات مشايخه المعروفين، فقد برز من قلمه الشريف ما يقرب من مائة مجلد يحتوي على مئات الرسائل والمصنفات في جميع العلوم والفنون الشرعية من الفقه والعقائد والتفسير والحديث والأخلاق والعلوم الانسانية والتي لها علاقة ماسة بحياة الفرد خصوصا الرياضيات والفيزياء والطب والفلك.

لقد ولد الحاج الآغا محمد كريم خان الكرماني في كرمان سنة (١٢٢٥) وتعلم الفنون والعلوم فيها حيث أعد له والده من الأسباب والأساتذه ما يغنيه عن كل عناء ورحلة للدرس، إلا أنه رغم ذلك سافر إلى كربلاء واتصل بالسيد كاظم الرشتي فتتلمذ على يديه ولازمه سنين عديدة واغترف من علومه وبقي مصنفا ومدرسا لما تعلمه من علوم واسرار آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

مؤلفاته.

يعتبر الحاج محمد كريم خان (أعلى الله مقامه) مجدداً في أغلب ما كتب سواء في كتبه العقائدية أو العلمية أو الأخلاقية.

وقد كتبت عدة كتب في ضبط فهارس مصنفاته وحياته، اتمها وأكملها ما كتبه حفيده الآغا أبو القاسم خان الإبراهيمي لصالح الاستانة الرضوية المقدسة وهو كتاب (فهرس كتب المشايخ العظام) وفيه ترجمة وافية له ولأستاذه الرشتي وكشاف شامل لمصنفاته، لذا سوف ندرج هنا نزراً منها ونحيل من أراد التفصيل إلى الفهرس المذكور وهو مطبوع، فمن أبرز مؤلفاته:

١ - فصل الخطاب الكبير والصغير (في الحديث).

٢ - الفطرة السليمة بثلاثة أجزاء (في العقائد والعرفان).

٣ - طريق النجاة بثلاثة أجزاء (في الاخلاق).

٤ - القواعد (في علم الأصول).

٥ - السوانح (في علم الأصول).

٦ - علم اليقين (في علم الأصول).

٧ - التذكرة في النحو.

٨ - التبصرة في الصرف.

٩ - جوامع العلاج (في الطب).

١٠ - حقائق الطب (في الطب).

١١ - دقائق العلاج (في الطب).

١٢ - تأويل الأحاديث (في تفسير الأحلام).

١٣ - المقتل (مقتل الإمام الحسين عليه السلام).

١٤ - شرح دعاء السحر.

١٥ - أبواب الجنان في حقوق الاخوان.

١٦ - إلزام النواصب.

١٧ - رجوم الشياطين (عقائد).

١٨ - الجامع لأحكام الشرايع (رسالة عملية).

١٩ - إزهاق الباطل (في الرد على الباب).

وغيرها أما بقية مصنفاته والتي تمثل النصف الآخر والأهم من مؤلفاته لأنه قد بث فيها أغلب اراءه المعرفية والعلمية فهي مجاميع رسائله والتي صدرت مطبوعة عن مطبعة السعادة بكرمان كما يلي:

٢٠ - مجموعة الرسائل (٦١) تحتوي على (١٦) رسالة.

٢١ - مجموعة الرسائل (٢١) تحتوي على (٧) رسائل.

٢٢ - مجموعة الرسائل (٢٤) تحتوي على(٤) رسائل.

٢٣ - مجموعة الرسائل (٧٢) تحتوي على (٥) رسائل.

٢٤ - مجموعة الرسائل (٦٤) تحتوي على (١٠) رسائل.

٢٥ - مجموعة الرسائل (٦٢) تحتوي على (٨) رسائل.

٢٦ - مجموعة الرسائل (٢٣) تحتوي على (٤) رسائل.

٢٧ - مجموعة الرسائل (٦٥) تحتوي على (٩) رسائل.

٢٨ - مجموعة الرسائل (٥٢) تحتوي على (١٤) رسالة.

٢٩ - مجموعة الرسائل (٦٧) تحتوي على (١١) رسالة.

٣٠ - مجموعة الرسائل (٨٧) تحتوي على (٣) رسائل.

٣١ - مجموعة الرسائل (٩٠) تحتوي على (٢) رسالة.

٣٢ - مجموعة الرسائل (٦٩) تحتوي على (٩) رسائل.

٣٣ - مجموعة الرسائل (٨٤) تحتوي على (٤) رسائل.

٣٤ - مجموعة الرسائل (٢٢) تحتوي على (١٠) رسائل.

٣٥ - مجموعة الرسائل (٤٢) تحتوي على(١٦) رسالة.

٣٦ - مجموعة الرسائل (٨٦) تحتوي على (٣) رسائل.

٣٩ - مجموعة الرسائل (٧١) تحتوي على (٤) رسائل.

وهناك كتب خطية كثيرة وبعض الرسائل المفقودة والكثير من المصنفات التي لا يسع المقام ذكرها.

وكل ما ذكرنا هنا هو المصنفات العربية اما كتبه بالفارسية فإنها كثيرة جداً أبرزها كتابه المعروف ارشاد أعوام.

ويعتبر الكرماني من شعراء العربية الكبار ومن الطبقة الأولى في زمانه فله منظومات شعرية منها في التوحيد وديوان مراثي للحسين عليه السلام، وقد نظم قصيدة في استقبال السيد الرشتي ومدحه ضمنها ألفية ابن مالك كلها.

وفاته

توفي الحاج محمد كريم خان الكرماني بكرمان عام (١٢٨٨) هجرية ونقل إلى كربلاء ودفن في رواق الشهداء عليهم السلام عند الحائر الحسيني حيث دفن أستاذه السيد الرشتي أيضاً، وأقيمت له المآتم في بلاد العرب والعجم ورثاه الشعراء حيث قال الحاج محسن الحميري يرثيه:

تداعى من الفخر العلى تمام　　وداری سنا شمس العلوم قتام

والبس بدر الدين ثوب كآبة وجلل صبح المكرمات ظلام
لموت كريم طبق الموت رزءه فهل ترتجي بعد الكريم كرام
فيا لك من رزء عظيم مصابه ونار لها بين الضلوع ضرام
تدع طود العلم يوم وفاته وقد جب منه غارب وسنام
فما هي إلا ان تذوب نفوسنا عليه غراما أين ذاك الغرام
نحن اليتامى وأرامل بعده فها هي بعد الكريم هيام
فمحرابه ينعاه والعلم والتقى ينوحان ما ناحت عليه حمام
لانسان عينه الفضل والعلم أرخوا تشيد أعلى النعيم مقام(١)

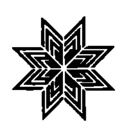
وقال الشيخ يوسف بريطم يرثيه:

من فل من مضر فقارا ونضال عزتها انكسارا
ولهاشم من سام علا مجدها السامي انحدارا
والعرش من أورى به للعالم العلوي نارا
والبدر من اودى به خسفا وجلببه غبارا
والشمس من غربت له وهوت كواكبها انتثارا
قالوا قضينا مذ سمعنا علم العلماء غارا
بحر خضم لا يعام ولا نحن له قرارا
أم المعالي طأطأت فرقى الغار بها وطارا
قد كان قطب الشريعة بل كان في الدنيا منارا
سل عنه ليلا مدجنا هل بالكرى عنه نوارا

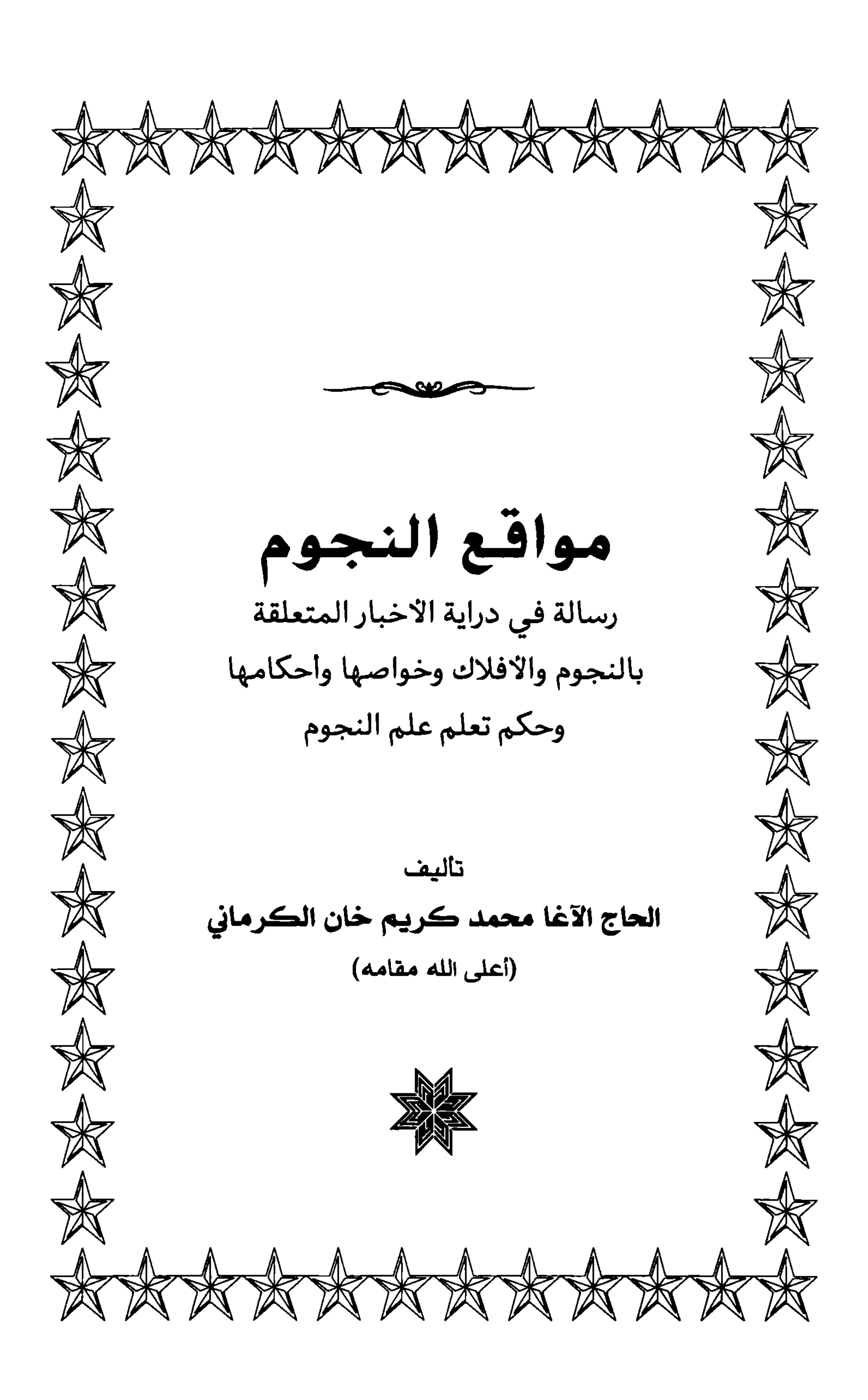
(١) شعراء من كربلاء ص ١٨٨.

وسل المساجد كلها هل اوجست منه احتضارا
بل واسأل التسبيح كان بغير مشعره شعارا[١]

وانطوت بوفاته صفحة عالم عامل وقد خلف أولاداً علماء حكماء أبرزهم القائم مقامه ولده الحاج الآغا محمد خان الكرماني وشقيقه الحاج زين العابدين الكرماني.



(١) شعراء من كربلاء ص ١٢٢.



مواقع النجوم

رسالة في دراية الأخبار المتعلقة

بالنجوم والأفلاك وخواصها وأحكامها

وحكم تعلم علم النجوم

تأليف

الحاج الآغا محمد كريم خان الكرماني

(أعلى الله مقامه)



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ورهطه المخلصين ولعنة الله على أعدائهم اجمعين.

وبعد يقول العبد الأثيم كريم بن إبراهيم ان الله سبحانه ببركات سادتنا محمد وآله الطاهرين وخواص شيعتهم المنتجبين قد أتانا من العلم ما لم يؤت كثيراً من العالمين واوقفنا مما عليه على نقطته وحقيقته فاطلعنا على قطبه الذي عليه يدور رحاه وتفصيل مبدئه ومنتهاه فاهتدينا بفضله وجوده في كل ما اهتدينا إليه من العلوم على سره وروحه كما يشهد به كتبنا في سائر العلوم ومن تلك العلوم علم النجوم وكيفية جريها مجاريها وتأثيرها في السفليات وتأثرها منها واستنباط احكام الحوادث من اوضاعها فقد كتب القوم في ذلك كتباً لا تحصى كثرة ولكن لا تزيد على المصادرات والدعاوى والرواية عن السلف وتقليد الماضين ونقل ما وجدوه وفيها من الغلط والخبط ما لا يحصى ولا يبتنى اكثرها على اصل محقق فاحببت ولا قوة إلا بالله ان اكتب في هذا العلم أيضاً ما يعرف به سر هذا العلم ومبدؤه ونقطة مركزه واستخرت الله سبحانه في ذلك فصدر الأمر به واسأل الله سبحانه ان يجعله امتثالاً لحكمه سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١] ولقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ولقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى

ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] وكاشفاً لقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] إلى غير ذلك من الآيات ويستدعي الوصول إلى المرام في هذا المقام رسم مقدمة وأبواب وسميته (بمواقع النجوم) ومن الله الاعانة في الاتمام.



في بيان أمور يجب تقديمها في معرفة حقيقة هذا العلم وسره ونقطته وفيها مقصدان.

المقصد الأول: في معرفة فضل هذا العلم وجواز تعلمه وتعليمه وعدم جوازهما وذكر بعض الأخبار الجارية في هذا المضمار والإشارة إلى بعض معانيها فإنها من المشكلات التي ما انحلت فيما أعلم وفي هذا المقصد فصول.





فصل
في أن علم النجوم حق

اعلم ان هذا العلم على الحقيقة هو العلم بجميع المبادئ والمنتهيات ومجاري الاقضية والتقديرات وهو علم الأنبياء والمرسلين والاوصياء المكرمين والخصيصين من الشيعة المنتجبين وهو من مكنونات علم الله ومخزوناته إذ به يستعلم ما كان وما هو كائن ويعلم ضمائر القلوب وخبايا الدفائن واحوال الموجودات كلية وجزئية وبذلك قد نطق الكتاب المستطاب وأخبار الأئمة الأطياب.

فقد قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٨].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ

مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦].

وقال: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

وقال: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

وقال: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧].

وقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٥-٧].

وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت: ١١-١٢].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥].

وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦].

وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ [نوح: ١٥-١٦].

وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥-١٦].

وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ١-٣].

وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].

إلى غير ذلك من الآيات المبينة لأمر السموات والنجوم الآمرة بالنظر فيها والعاتبة على ترك النظر في عجائبها وهذه الآيات وامثالها

أصول علم النجوم وكلياتها التي ترجع إليها الجزئيات وهي اقضية الله على المختلفين فيها وحكم الله بينهم وهي مما قد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

ومما قد روى ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله اصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال [(١)] ولا شك ان النظر فيها على نحو يفيد العلم بعجائبها والاستدلال بها والاعتبار عنها لا يمكن النظر في علم الحساب والهندسة والهيئة والطبيعيات الم تسمع قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ [نوح: ١٥] وانصف وفقك الله هل يمكن هذه الرؤية والعلم بالكيفية والنظر الذي اعجز الفلاسفة فاختلفوا في عدد السموات ونضدها وترتبها إلا بعد التدرب في العلوم المذكورة وتطبيقها مع الآيات والاخبار.

واما عجزهم فلاجل عدم تطبيقها مع الكتاب والسنة وآثار الأنبياء فاختلفوا وقد أمر الله الخلق على العموم ان يرجعوا إلى الحكام فيما قل وجل فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وفي قراءة الحق وأولي الأمر منكم [(٢)] وقال: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠] فلو لم يكن من الله ورسوله ما يفصل بين

---

(١) عن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه إثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال (المحاسن ج ١ ص ٢٦٨).

(٢) عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الاوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم هم الذين قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] (الكافي ج ١ ص ١٨٩).

كل محق ومبطل كيف يردون إليها في كل شيء وان كان فما المانع من النظر في آثارهما فتبين ان رؤية ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] لا يمكن إلا بعد العلوم المذكورة وكذا قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] فعدم الاعراض عن آياتها يحصل بالتفكر فيها على نهج يمكن فهمها والاعتبار عنها وهو لا يمكن على وجه الكمال الممكن للبشر إلا بعد العلوم المذكورة وكذا قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] فالنظر في كيفية بنائها لا يمكن إلا بعد التدرب في العلوم المذكورة وكذا وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فإن النظر في ملكوتها غير النظر في ظاهرها وإلا لم يكن فخر لإبراهيم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] فلما أراه الله ملكوتهما نظر في النجوم ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

بالجملة لا شك أن معرفة النجوم علم الكتاب التكويني الذي ليس بعد العلم بالكتاب والسنة علم أشرف منه ولا أعظم خطراً وأرفع منه.

فقد روى في البحار من كتاب النجوم من كتاب نزهة الكرام وبستان العوام تأليف محمد بن الحسين بن الحسن الرازي(١) روى أن هارون الرشيد بعث إلى موسى بن جعفر عليه السلام فأحضره فلما حضر عنده قال إن الناس ينسبونكم بني فاطمة إلى علم النجوم وان معرفتكم بها معرفة جيدة وفقهاء العامة يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ذكروا في

(١) قال عنه العلامة المجلسي: وهذا الكتاب خطه بالعجمية تكلفنا من نقله إلى العربية، فذكر في أواخر المجلد الثاني منه ما هذا لفظ من أعربه ثم ذكر الحديث، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٢ ح٣٦.

اصحابي فاسكتوا وإذا ذكروا القدر فاسكتوا وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا وأمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الخلائق بعلم النجوم وأولاده وذريته الذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها فقال الكاظم عليه السلام هذا حديث ضعيف واسناده مطعون فيه والله تبارك وتعالى قد مدح النجوم ولولا ان النجوم صحيحة ما مدحها الله عزوجل والأنبياء عليهم السلام كانوا عالمين بها وقد قال الله في حق إبراهيم خليل الرحمان ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الانعام: ٧٥] وقال في موضع آخر: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] ولو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها وما قال اني سقيم وادريس عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالنجوم والله تعالى قد اقسم بالنجوم ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦] وقال في موضع آخر: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١] إلى قوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات: ٥] ويعني بذلك اثني عشر برجاً وسبعة سيارات والذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عزوجل وبعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم وهو علم الأنبياء والاوصياء وورثة الأنبياء الذين قال الله عزوجل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] ونحن نعرف هذا العلم وما نذكره فقال له هارون بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهروه عند الجهال وعوام الناس حتى لا يشنعوا عليك ونفس العوام به وغط هذا العلم وارجع إلى حرم جدك ثم قال له هارون وقد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها فقال له سل فقال له بحق القبر والمنبر وبحق قرابتك من رسول الله أخبرني أنت تموت قبلي أو أنا أموت قبلك لأنك تعرف هذا من علم النجوم فقال له موسى عليه السلام

آمني حتى أخبرك فقال لك الامان فقال أنا أموت قبلك وما كذبت ولا اكذب ووفاتي قريب انتهى(١).

ومنه من كتاب ربيع الأبرار عن علي عليه السلام من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به ايماناً ثم تلا: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦] (٢).

ومنه نقلاً من كتاب مسائل الصباح بن نصر الهندي ومن أسئلته سؤال عن علم النجوم فقال عليه السلام (٣)هو علم في اصل صحيح ذكروا ان أول من تكلم في النجوم ادريس وكان ذو القرنين بها ماهراً واصل هذا العلم من عند الله عز وجل ويقال ان الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم فمن هنا صار علم النجوم بها وقد قال قوم هو علم من علم الأنبياء حظوا به لأسباب شتى فلم يستدرك المنجمون الدقيقة منها فشابوا الحق بالكذب انتهى(٤).

ولما كان ذلك بحضرة المأمون ذكر عليه السلام على نحو النقل تقية.

فقد روى من الكافي بسنده عن معلى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هو فقال نعم ان الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتى ظن انه قد بلغ ثم قال أين المشتري فقال ما أراه في الفلك وما أدري أين

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٢ ح ٣٦.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٢.
(٣) هو الإمام الضامن الرضا صلوات الله عليه.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٥ ح ٢٦.

هو قال فنحاه واخذ بيد رجل من أهل الهند فعلمه حتى ظن انه قد بلغ وقال انظر إلى المشتري أين هو فقال ان حسابي ليدل على انك أنت المشتري وقال فشهق شهقة فمات وورث علمه أهله فالعلم هناك انتهى[١].

والمراد بنزول المشتري نزول روحانيته والملك الموكل به فإنه ملك عالم بالعلوم مرب للعلماء فلما أراد الله سبحانه ابراز هذا العلم في الأرض ولم يبلغه عقول الرجال ابتداءً نزله لابتدائه في الأرض واظهاره ونزول الروحانيات أمر مسلم معلوم في علم تسخير الأرواح والسيميا[٢] وان لم يعرفه العلماء الظاهريون.

---

(١) الكافي ٨/ ٣٣٠.

(٢) قال صاحب الميزان: العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثيرة والقول الكلي في تقسيمها وضبطها عسيرة جدا، وأعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره: منها: السيمياء، وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الارادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية، ومنه التصرف في الخيال المسمى بسحر العيون وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر، ومنها الليمياء وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الارادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم، وهو فن التسخيرات، ومنها: الهيمياء: وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات، فإن للكواكب العلوية والاوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما ان العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الاشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان، وحياة فلان، وبقاء فلان مثلا مع الصورة المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم، ومنها: =

بالجملة ولأجل ذلك روى من الكافي بسنده عن جميل بن صالح عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن النجوم فقال ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند انتهى[(١)].

= الريمياء، وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الانحاء وهو الشعبذة، وهذه الفنون الاربعة مع فن خامس يتلوها وهو الكيميا الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية، قال شيخنا البهائي: أحسن الكتب المصنفة التي في هذه الفنون كتاب رأيته ببلدة هرات إسمه (كله سر) وقد ركب إسمه من أوائل إسماء هذه العلوم، الكيميا، والليميا، والهيميا، والسيميا، والريميا، إنتهى ملخص كلامه. ومن الكتب المعتبرة فيها خلاصة كتب بليناس ورسائل الخسرو شاهي والذخيرة الاسكندرية والسر المكتوم للرازي والتسخيرات للسكاكي واعمال الكواكب السبعة للحكيم طمطم الهندي. ومن العلوم الملحقة بما مر علم الاعداد والاوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الاعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص، ومنها: الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الاسماء واستخراج اسماء الملائكة أو الشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب ومن الكتب المعتبرة فيها عندهم كتب الشيخ أبي العباس التوني والسيد حسين الاخلاطي وغيرهما. ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسي واحضار الأرواح وهما كما مر من تأثير الارادة والتصرف في الخيال وقد ألف فيها كتب ورسائل كثيرة، (تفسير الميزان ج ١ ص ٢٤٤).

أقول: كل هذه العلوم وما كتب فيها جعليات ما لم يصدر شيء منها يوافق مراد وقول صاحب الشريعة فالحذر منها وما يدعي اربابها أفضل واحوط لدين المرء فإن الإمام عليه السلام يقول: كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو زخرف.

(١) الكافي ٨/ ٣٣٠، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٣ ح٢٣.

والأهل بيت من العرب هم آل محمد عليهم السلام ومن عسى ان يكون غيرهم والمراد انه لا يعرفها على وجه الكمال إلا آل محمد عليهم السلام .

وروى عن كتاب النجوم وجدت في كتاب عتيق عن عطاء قال قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام هل كان للنجوم أصل قال نعم نبي من الأنبياء قال له قومه إنا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدأ الخلق وآجاله فأوحى الله عز وجل إلى غمامة فأمطرتهم واستنقع[1] حول الجبل ماءً صافياً ثم أوحى الله عز وجل إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء ثم أوحى الله إلى ذلك النبي أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا على الماء حتى عرفوا بدأ الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار وكان أحدهم يعلم من يموت ومتى يمرض ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له فبقوا كذلك برهة من الدهر ثم ان داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فاخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد فقال داود عليه السلام رب أقاتل على طاعتك ويقاتل هؤلاء على معصيتك يقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل اني كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله وإنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد قال داود عليه السلام يا رب على ماذا علمتهم قال على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار قال فدعا الله عز وجل فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر

---

(١) استنقع الماء: اجتمع.

الزيادة فاختلط حسابهم وقال علي عليه السلام فمن ثم كره النظر في علم النجوم[١].

ومن الدر المنثور هذه الرواية أيضاً وفيه ان ذاك النبي يقال له يوشع ابن نون[٢].

أقول: جرى الشمس والقمر والنجوم في الماء اما على نحو انطباع مثلها فيقيسون في الماء مطالعها وتناظراتها بتعليم النبي عليه السلام وجه معرفتها فعبر عن جري مثلها بجريها كما عبر في حدث دخول السماء البيضة بدخولها في العين ولا تدخل إلا بمثلها أو بحدوث آثار منها في الماء باعجاز النبي على نحو سائر العلوم الانطباعية أو غيرها.

بالجملة يفهم منه نوع ما نحن بصدده من حقيقة علم النجوم وتحصيل معرفة مبادئ الخلق وآجاله ولا يعارض ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] فإن النجوم وان كان دلالة على الحوادث لكن البداء من ورائها وان الله سبحانه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وهذا هو قول أمير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] ويأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

وروى في العوالم من تفسير العياشي عن محمد بن غدافر الصيرفي عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى خلق روح

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٦ ح١٧.
(٢) كنز العمال١٠/ ٢٧٦.

القدس ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها وليست بأكرم خلقه عليه فإذا أراد أمراً ألقاه إليها فألقاه إلى النجوم فجرت به(١).

وهذا الخبر صريح نص في ان النجوم تجري بما يريد الله وانها أسباب مدبرة للعالم السفلي بأمر الله سبحانه حيث أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها فالعلم بها علم بمجاري التدبير وأسباب التقدير وسر الإيجاد وحقيقة المبدأ والمعاد وعلم المنايا والبلايا والآجال والحوادث وما كان وما يكون..

وفي جواهر الكلام عن يونس بن عبد الرحمان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو قال هو علم من علم الأنبياء قال فقلت كان علي بن أبي طالب يعلمه فقال كان أعلم الناس به(٢).

وعن محمد بن يحيى الخثعمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حق هي قال لي نعم فقلت: وفي الأرض من يعلمها قال وفي الأرض من يعلمها(٣).

وفي البحار عن المناقب لابن شهراشوب عن أبي بصير قال رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم فلما خرج من عنده قلت له هذا علم له أصل قال نعم الخبر(٤).

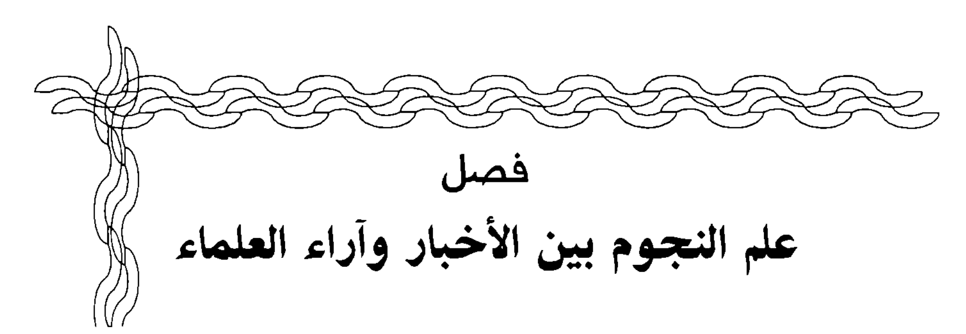
---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٢٧٠.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٥ح١٥.
(٣) مستدرك الوسائل ١٣/ ١٠٠.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٩ ح٣٢، وللحديث تكملة وقال العلامة المجلسي بعد ذكر تمام الخبر: لعل غرضه عليه السلام أن ذلك العلم له أصل، لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلا قدر ما تعلم به أوقات الفرائض، أو المعنى أن أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها.

وان الأئمة عليهم السلام أطباء النفوس لم يبالغوا في مدح هذا العلم لئلا يشتغل به عن العبادات والطاعات ولا يعتقد الجهلة بأنها مستقلة في تصريف هذا العالم ويشركوا بالله وحده وهم جديدوا العهد بالاسلام فيرتدوا إلى دين الصابئة والدهرية والكهنة والسحرة وأصحاب السيميا وغيرهم صلوات الله على محمد وآل محمد حيث هم اطباء النفوس وعلماء بصلاح العباد وفسادهم وإلا فأصل هذا العلم للموحد مما يزيد في إيمانه واعتقاده بعظمة ربه وبه يتسع ميادين تفكره في قدرة ربه والاعتبار عن آياته كيف وقد حرض الله عباده بالنظر في آياتها وعاتبهم بالاعراض عنها ولكن العلماء الظاهريين لا يعضون على هذه الأمور بضرس قاطع ولا يعرفون اللحن ويريدون ان يعرفوا اختلاف الأخبار وسر الآثار بصحة الاسانيد وضعفها والشهرة والندرة وعلم الرجال وهم غافلون عن حقيقة علم السياسة وسر أمرهم إذا أمروا ونهيهم إذا نهوا.

بالجملة لنعنون فصلاً آخر لنشرح الحال بلسان المقال حتى يتضح السابق في المجال.





فصل
علم النجوم بين الأخبار وآراء العلماء

اعلم ان الشيخ الحر رحمه الله قد عنون باباً في الوسائل في عدم جواز تعلم علم النجوم والعمل بها وتردد في النظر فيها وأورد روايات يأتيك نبؤها[١].

وقال في الكفاية وعلم النجوم حرمه بعض الاصحاب والأقرب الجواز الظاهر بعض الروايات المعتبرة[٢].

وصنف ابن طاوس رسالة أكثر فيها من الاستشهاد على صحته وجوازه[٣].

وقال في حياة القلوب[٤] للشيخ علي بن عبد الله بن يحيى البحراني والمشهور تحريم تعلم النجوم مطلقاً.

---

(١) وسائل الشيعة ١٧/ ١٤١.
(٢) كفاية الاحكام للمحقق السبزواري ٨٧.
(٣) هو كتابه فرج المهموم المشتهر بعلم النجوم.
(٤) قال عنه صاحب الذريعة ج ٧ ص ١٢٢: حياة القلوب الكبرى في تمام أبواب الفقه مع الاستدلال ونقل الأقوال للشيخ على ابن الشيخ عبد الله بن يحيى الجد حفصي تلميذ الشيخ حسين آل عصفور أحد المجازين عن عمه المحدث البحراني في (اللؤلؤة) والمتوفى (١٢١٦) حدثنى الشيخ محمد صالح ابن الشيخ أحمد آل طعان الستري أن نسخته موجودة في مكتبته بالقطيف.

واختار ابن طاوس الجواز مطلقاً لمرسل جميل وخبر ربيع الأبرار وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

والرضي حرمه إلا ما يهتدى به في بر أو بحر لحديث النهج.

واختاره شيخنا واستثنى أيضاً ما خرج من أهل البيت الإذن فيه واحتمل ان يكون التحريم لمن اعتقد تأثيرها أو قطع بما يخبر به المنجم كما يرشد إليه خبر الاحتجاج وخبر هشام وغيرهما.

وعد في الدرر والغرر من المكاسب المحرمة الستة والسبعين تعلم النجوم والعمل بها والنظر فيها..

وقال الكاشاني من المعاصي الإخبار عن الغائبات على البت لغير النبي أو وصي نبي سواء كان بالتنجيم أو الكهانة إلى ان قال وان كان الأخبار على سبيل التفأل من غير جزم فالظاهر جوازه.

وقال في جواهر الكلام واما علم النجوم فقد يظهر من الكتاب والسنة صحته في الجملة ثم ذكر آياً واخباراً (ثم قال) إلى غير ذلك من النصوص التي لا يمكن حصرها بل منها يستفاد وجه الجمع بينها وبين ما دل على النهي عن الركون إلى النجوم وذم المنجم على وجه صار به كالكاهن والساحر ونحوهما بأن المراد اعتقاد كونها ذوات إرادة وفاعلة مختارة أو مؤثرة أو غير ذلك مما هو معلوم فساده كالعلم بكفر معتقده أو فسقه لا ان المراد النهي عن اتخاذها امارة دالة على ما جرت العادة من فعل الله في هذا العالم وان جاز تغييرها بالصدقة والدعاء وغيرهما على حسب ما توافقه حكمته فان: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] لكن الإحاطة بتمام دقائق هذا العلم لا يتيسر إلا لخزان علم الله دون غيرهم (الى ان قال) لكن ذلك لا يمنع من النظر فيما دونوه من بعض أحوالها الجارية مجرى الغالب ولا من

العمل بما يقوله أهلها على وجه الاحتياط وعلى ذلك يحمل تعلم جماعة من الشيعة وغيرهم ومنهم العلماء والمحدثون وغيرهم من الشيعة ثم عد أسماءهم إلى أن قال والتحقيق ما عرفت من انه لا بأس بالنظر في هذا العلم وتعلمه وتعليمه والإخبار عما يقتضيه مما وصل إليه من قواعده لا على جهة الجزم بل على معنى جريان عادة الله تعالى بفعل كذا عند قواعده لا على جهة الجزم بل على معنى جريان عادة الله تعالى بفعل كذا عند كذا وعدم اطراد العادة غير قادح فإن ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] قد يتوقف في الكراهة فضلاً عن الحرمة بل يمكن حصول زيادة العرفان بمعرفته والترقي إلى بعض درجات الايمان بممارسته ودعوى ان فيه تعريضاً للوقوع في المحظور من اعتقاد هذا التأثير فيحرم لذلك أو لأنه احكامه تخمينية كما ترى خصوصاً.

الثاني ضرورة عدم حرمة مراعاة الظنون في امثال ذلك بل لعل المعلوم من سيرة الناس وطريقتهم خلافه في الطب وغيره والتعريض المزبور مع انه ممنوع لا يكفي في الحرمة وإلا لحرم النظر في علم الكلام الذي خطره أعظم من ذلك فلا ريب في رجحان ما ذكرناه بل لا يبعد ان يكون النظر فيه نحو النظر في هيئة الأفلاك الذي يحصل بسببه الاطلاع على حكمة الله وعظم قدرته نعم لا ينبغي الجزم بشيء من مقتضياته لاستئثار الله بعلم الغيب وكذا الكلام في الرمل والفأل ونحوهما من العلوم التي يستكشف بها علم الغيب فإنها تحرم مع اعتقاد المطابقة لا مع عدمه وقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة بل ورد عنهم صلوات الله وسلامه عليهم امور كثيرة كالاستخارة وبعض الحسابات وغيرهما مما يستفاد منه كثير من المغيبات لكن لا

على وجه الجزم واليقين ولعل ذلك كله من فضل الله على عباده وهدايته لهم انتهى[١].

ذكرته بطوله مع ما فيه من الاختلالات الكثيرة لبعض ما فيه مما يوافق الحق.

وفي البحار عن المرتضى رحمه الله انه بالغ في المنع وقال كيف يشتبه على مسلم بطلان أحكام النجوم وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم ومعلوم من دين الرسول صلى الله عليه وآله ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه صلى الله عليه وآله من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذا عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين ويعدونها ضلالاً ومحالاً وما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يغتر بخلافه منتسب إلى الملة ومصل إلى القبلة[٢].

وعن العلامة رحمه الله في كتاب منتهى المطلب التنجيم حرام وكذا تعلم النجوم مع اعتقاد انها مؤثرة أو ان لها مدخلاً في التأثير بالنفع والضر وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية كافر واخذ الاجرة على ذلك حرام واما مس يتعلم النجوم فيعرف قدر سير الكواكب وبعده وأحواله من التربيع والكسف وغيرهما فإنه لا بأس به[٣].

(١) جواهر الكلام ٢٢/ ١٠٨.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٨٨.
(٣) منتهى المطلب ٢/ ١٠١٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٩.

وعن الشهيد في الدروس وأما علم النجوم فقد حرمه بعض الاصحاب ولعله لما فيه من التعرض للمحظور من اعتقاد التأثير أو لأن أحكامه تخمينية واما علم هيئة الأفلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحباً لما فيه من الاطلاع على حكم الله وعظم قدرته[١].

وعن المحقق الشيخ علي التنجيم الإخبار عن احكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية التي مرجعها إلى القياس والتخمين إلى ان قال وقد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلم النجوم بأبلغ وجوهه إذا تقرر ذلك فاعلم ان التنجيم مع اعتقاد ان للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله اما التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرز عن الكذب فإنه جائز فقد ثبتت كراهية التزويج وسفر الحج في العقرب وذلك من هذا القبيل نعم هو مكروه ولا ينجر إلى الاعتقاد الفاسد وقد ورد النهي مطلقاً حسماً للمادة[٢].

وعن الشيخ البهائي رحمه الله ما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالاجرام العلوية ان زعموا ان تلك الاجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو انها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده وعلم النجوم المبتنى على هذا كفر والعياذ بالله وعلى هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير من علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته وان قالوا ان اتصالات تلك الاجرام وما يعرض لها

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩١.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩١.

من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجده الله سبحانه بقدرته وارادته إلى ان قال فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده وما روى من صحة علم النجوم وجواز نقله محمول على هذا المعنى[١].

وقال المجلسي رحمه الله في البحار بعد نقل الأقوال والأخبار واما تعليمه وتعلمه والعمل به فأقسام منها استخراج التقاويم والأخبار بالأمور الخفية والمستقبلة وأخذ الطوالع والحكم بها على الاعمار والاحوال والظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له وما ورد انها دلالات وعلامات لا يدل على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع ذلك من المعصومين عليهم السلام وما دل على الجواز فأخبار اكثرها ضعيفة ويمكن حمل بعضها على التقية بشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلاطين في أكثر الاعصار وتقرب المنجمين عندهم وربما يؤمئ بعض الأخبار إليه ويمكن حمل أخبار النهي على الكراهة الشديدة والجواز على الاباحة أو حمل أخبار النهي على ما إذا اعتقد التأثير والجواز على عدمه كما فعله السيد ابن طاوس وغيره لكن الأول اظهر واحوط ومنها الاعتناء بالساعات المسعودة والمنحوسة إلى ان قال وهذا أيضاً يحتمل الكراهة والحرمة واما سعادة الكواكب والبروج ونحوستها فتحتمل الأخبار الواردة فيها امرين أحدهما ان يكون لها سعادة ونحوسة واقعية إلى ان قال وثانيهما ان يكون تأثيرها من باب الطيرة ومنها تعليم هذا العلم بوجهيه المتقدمين وتعلمه والنظر والتفكر فيه وهو أيضاً يحتمل الحرمة والكراهة واحتمال الكراهة هنا اقوى

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩١.

ومنها علم الهيئة والنظر في هيئة الأفلاك وحركاتها وجوازه لا يخلو من قوة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات والأخبار إلى ان قال ومنها الحكم بالكسوف والخسوف واوائل الاهلة والمحاق وأشباه ذلك فالظاهر جوازه وان كان الاحوط اجتناب ذلك أيضاً انتهى(١).

هذا ما وقع إلي عجالة من أقوال العلماء في المسألة والسبب في اختلافهم اختلاف قرائحهم واختلاف الأخبار الواردة على حسب مصالح العباد والبلاد فلنسرد ما اطلعنا عليه من الأخبار ثم نذيلها بما يظهر بلا غبار.

اما ما يدل على الجواز ففي الوسائل عن الكليني بسنده عن عبد الرحمن بن سيابه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ان الناس يقولون ان النجوم لا يحل النظر فيها وهي تعجبني فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني وان كانت لا تضر بديني فوالله اني لاشتهيها واشتهي النظر فيها فقال ليس كما يقولون لا تضر بدينك ثم قال انكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به(٢).

وعن السيد ابن طاوس انه روى هذا الحديث اصحابنا في المصنفات والأصول ورواه محمد بن عبد الله في أماليه ورواه محمد بن يحيى اخو مفلس عن حماد بن عثمان(٣).

أقول: يظهر من هذا الخبر ان القول بالحرمة مذهب العامة فإن الناس يستعمل غالباً في الأخبار في العامة وانكاره عليه السلام عليهم يؤيده بل قوله عليه السلام لا تضر بدينك ينفي الكراهة أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٣٠٩.

(٢) الكافي ٨/ ١٩٥، بحار الأنوار ٥٥/ ٤٤١ح ٢١.

(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٢.

ويؤيد ان القول بالحرمة مذهب العامة.

ما رواه في البحار عن كتاب النجوم بإسناده عن بياع السابري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ان لي في النظرة في النجوم لذة وهي معيبة عند الناس فإن كان فيها اثم تركت ذلك وان لم يكن فيها فإن لي فيها لذة قال فقال تعد الطوالع ثم سأله عن اشياء لا يعلمها ثم قال هذا شيء إذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة في الاجمة ثم قال ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند انتهى(١).

فذلك أيضاً شاهد على ان المنع من الناس ولذلك لم يفته بالجواز تقية ولم يمنعه عنه مع استفتائه عنه.

ومن الكتاب المذكور بسنده عن محمد وهارون ابني أبي سهل وكتبا إلى أبي عبد الله عليه السلام ان ابانا وجدنا كانا ينظران في النجوم فهل يحل النظر فيها قال نعم(٢).

وفيه أيضاً انهما كتبا إليه نحن ولد بنو نوبخت المنجم وقد كنا كتبنا إليك هل يحل النظر فيها فكتبت نعم إلى ان قال فكتب نعم ما لم يخرج من التوحيد انتهى(٣).

وفي هذا الخبر دلالة على ان المنع من جهة الذهاب مذهب الصابئة والايمان بالنجوم واتخاذها مدبرة للعالم بالاستقلال..

ومن الكتاب المذكور نقلاً من كتاب ربيع الابرار عن علي عليه السلام من

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠ح ٣٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠ح ٣٥.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠ح ٣٦، وانظر تتمة الخبر في اخر الكتاب فإن فيه فوائد مهمة.

اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به ايماناً ويقيناً ثم تلا: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦] [١].

ويؤيد التقية الروايات التي وردت من طرق العامة.

كما رواه في البحار من الدر المنثور عن قتادة انكار ذلك[٢].

وعن مجاهد لا بأس ان يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر ويتعلم منازل القمر[٣].

وعن أبي هريرة قال نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم [٤].

وعن ابن مسعود عنه ﷺ إذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا[٥].

وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ أخاف على أمتي خصلتين تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم[٦].

وعن ابن عباس من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد[٧].

وعن ابن عباس ان قوماً ينظرون في النجوم ويحسبون أبا جاد وما أرى للذين يفعلون ذلك من خلاق[٨].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٤ح ٤١.
(٢) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٣) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٤) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٥) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٦) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٧) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٨) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.

وعن ميمون بن مهران قال قلت لابن عباس أوصني قال أوصيك بتقوى الله واياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة[١].

إلى غير ذلك من رواياتهم المختلفة فلا شك ان الخبر الذي يوافق أخبارهم ويخالف آيات القرآن الآمرة بالنظر فيها العاتبة على تركه لا يجوز العمل به ويجب حمله على التقية.

واما الأخبار الناهية عنه.

فقد روى في الوسائل عن الكليني بسنده عن أبي الحصين قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال عند ايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر[٢].

أقول لا شك ان المراد الايمان بالنجوم بأنها المدبرة المستقلة والتكذيب بأن الأمور بتقدير الله عز وجل فلا دلالة فيها على ان طلب معرفة أسباب أفعال الله السماوية حرام ولا القول بأن ما يحصل لي منها الظن بأن فلاناً كذا وكذا والله أعلم بعواقب الأمور ولا يزيد المنجم المسلم على هذا.

ومنها ما روي في مناهي النبي صلى الله عليه وآله انه نهى عن النظر في النجوم[٣].

ومنها ما روي عن الصدوق بسنده عن نضر بن قابوس قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول المنجم ملعون الخبر[٤].

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٣٤، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٥.
(٢) الخصال ١/ ٣٠، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٤ح٦.
(٣) الخصال ١/ ٣٥، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٦ح٧.
(٤) الخصال ١/ ١٤٠، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٦ح٧.

وقال قال عليه السلام المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله من صدق كاهناً أو منجماً فهو كافر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله[2].

وفي هداية الامة[3] نهى عليه السلام عن اتيان العراف وقال من اتاه وصدقه فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله[4].

وقال علي عليه السلام لا تأخذ بقول عراف ولا قائف ولا لص[5].

أقول العراف المنجم كما يظهر من خبر البصائر.

وقال علي عليه السلام لمنجم أتدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنثى فقال ان حسبت فقال عليه السلام من صدقك على هذا القول فقد كذب القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية ما كان محمد يدعي ما ادعيت أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء والساعة التي من سار فيها حاق به الضر من

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٢٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٠/ ٢٩٧.

(٣) قال عنه في الذريعة ج ١٤ ص ١٧٢: هداية الامة إلى أحكام الأئمة انتخبه الشيخ المحدث الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ من كتابه (تفصيل وسائل الشيعة) بحذف الاسانيد والمكررات، قدم اثنتي عشرة مقدمة في الأصول ثم اثني عشر كتاباً في الفقه من العبادات إلى آخر أبواب الفقه، ورتب المطالب في كل كتاب على اثني عشر باباً أو فصلاً أو غيرهما، ولذا يقال له الاثنا عشر بابا، وفرغ من تأليفه ليلة الاضحى في سنة ١٠٩١، وعندنا منه نسخة.

(٤) الفقيه ٤/ ٦.

(٥) وسائل الشيعة ٨/ ٢٦٩.

صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ في ذلك الوجه وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه وينبغي له ان يوليك الحمد دون ربه عَزَّوَجَلَّ فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله نداً وضداً بل نكذبك ونسير في الساعة التي نهيت عنه[١].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ اياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله[٢].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نظر إلى الكواكب والقمر والشمس واستدل بأفول كل منها على حدثه وبحدثه على محدثه ثم علمه بأن الحكم بالنجوم خطأ[٣].

أقول لا شك ولا ريب في ان المنجم بنفسه لا يحصل العلم بالحادث في المستقبل لأن اسباب علمه اكثرها ظنية هذا والبداء لله سبحانه من ورائه هذا والاسباب السماوية علل فاعلة بأمر الله سبحانه ومشيئته وقبول القابل شرط في التأثير كما يأتي وهو لا يحيط بالقوابل واسباب البداء فكيف يقدر ان يحصل علماً بوقوع الحادث فإذا كان كذلك كيف يجوز له البت على الوقوع فإذا لم يجز لنفسه البت على الوقوع كيف يجوز لغيره ان يصدقه فغاية أمر المنجم المسلم العارف بل العالم بالنجوم على قدر الإمكان هي الاخبار عن ظنه الحاصل له في نفسه وهو صادق في اخباره ان كان صادقاً واما الأخبار عن الواقع

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٤ ح٥، الكتاب المبين ٤/ ١١٩.
(٢) الكتاب المبين ٤/ ١١٩.
(٣) بحار الأنوار ١٢/ ٦٧.

فلا يفعل ذلك إلا كاذب فاسق حاكم بظنه على الله سبحانه طلب حطام الدنيا أو جاهل بعلم النجوم كما هو وذلك هو الممنوع المحرم كما أشار إليه الخبر فيمن ادعى العلم بما في بطن الدابة أو يكون المنجم مؤمناً باستقلال النجوم مكذباً بالقدر نعوذ بالله فإنه المشرك الكافر بلا شك فالمنجم الملعون والنجوم المذمومة هما ما ذكرنا.

وربما كانوا ينهون عنه لأجل أن لا يولع الناس بشيء قل نفعه ولا يشتغلوا به عن العبادات والطاعات أو يؤول أمرهم إلى وثوق بعلمهم الناقص فيغتروا بالاسباب أو يحصل لهم ضعف نفس عند رؤية نحوس فيشتد تأثيرها من باب اشتداد الطيرة عند الاعتداد بها.

وهذه الجهات جهات الكراهة في الأمر ويكشف عن مجموع ذلك لحن الأخبار بلا غبار.

فقد روى في الوسائل عن الطبرسي في الاحتجاج عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام ان زنديقاً قال له ما تقول في علم النجوم قال هو علم قلّت منافعه وكثرت مضاره لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور ان أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز عن القضاء وان أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه انه يرد قضاء الله عن خلقه[1].

تدبر في هذا الخبر الشريف الكاشف عن حقيقة الأمر ولا شك في كفر منجم يضاد الله في علمه ويزعم انه يرد القضاء فهذا هو الممنوع واما حقيقة ما بأيدي الناس فهي كما أخبر قلّت منافعه وكثرت مضاره لمن اغتر به أو تطير واما من لم يغتر به ولم يخرجه عن التوحيد وعلم

---

(١) الاحتجاج ٢/ ١٩١، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٣ح ٣.

إن الكواكب كالعقاقير وعلمها كالطب والأمر بقدر الله وقضائه وحصل له ظن فأخبر عن ظنه واستثنى مشيئة الله فلا يضر بدينه وهو حلال محلل كما مر في الأخبار المجوزة وقد مرت فمن عرف لحن الخبر عرف انه لا اختلاف بين الأخبار واعتبر من تفسيره للمنجم واعرف ان الذي هو كالكاهن هو هذا المفسر لا غير من صدر الخبر الذي تركه صاحب الوسائل ان الزنديق سأل أبا عبد الله عليه السلام قال ما تقول فيمن زعم ان هذا التدبير الذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة قال عليه السلام يحتاجون إلى دليل ان هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر وسائرة لا تقف ثم قال وان كل نجم منها موكل مدبر فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال قال فما تقول في علم النجوم الخبر كما مر فتدبر وتفهم ان المنجم الملعون هو من يزعم كذلك وعلم النجوم المنهي هو ما كان كذلك والنهي الإطلاقي عنه للتنزيه لأن كثيره لا يدرك وقليله لا ينفع واما من نظر في العلم للاعتبار ومعرفة أبعاد الاجرام وسعتها وكبرها لدرك الميسور من عظمة الله سبحانه وعرف أوضاع الكواكب عالماً بأنها أسباب التقدير وأيدي التدبير لله سبحانه علماً بأنه سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها وان النجوم كالعقاقير وان الله سبحانه يضر بها وينفع وحده لا شريك له وعرف نقصان علمه وحصل له ظن ببعض الحوادث واخبر عن ظنه غير بات على الحكم فلا بأس به قطعاً وعلى ذلك تجتمع الأخبار بلا غبار ولا يمنع من حليته عدم احاطة الخلق به فإن الخلق لا يحيطون بشيء من العلوم علماً ولا يمنع منه عدم حصول

العلم به فإن علم الطب أيضاً من الظنون بل على قول أكثر الفقهاء جل فقههم من الظنون ولا يحيطون بحقائقه علماً.

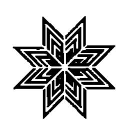
بل أقول: إن الله الحكيم الذي خلق كل شيء بقدر وجعل في كل شيء علوماً لا تحصى اظهر للناس بقدر صلاح دينهم ودنياهم من تلك العلوم واخفى منها بقدره فلو حجب هذه العلوم بالكلية لم يظهر كمال تقديره وحسن تدبيره وسعة قدرته وعجيب حكمته وربما كان يظن ان اكثرها لغو ولا ارتباط لها ولا دلالة فيها على صانعها ولو اظهر الكل كما خلق لفسد عليهم دينهم ودنياهم وزعموا لانفسهم الاستقلال وقدروا على جلب كل منفعة ودفع كل مضرة وعلموا الضمائر والدفائن وكل غيب في علمهم به فسادهم فأظهر منها شيئاً يصيبون فيه مرة فيعلمون انه أمر واقعي حق ويذعنون لحسن تقدير الله وعجيب تدبيره وغريب حكمته في خلقه ويخطئون مرة فيقرون بعجزهم وجهلهم بحقائق الأشياء ثم خالف في العلوم بحسب حاجتهم فما كان صلاحهم فيه ان يعلموه أكثر علمهم منه أكثر وما كان صلاحهم ان يعلموه أقل علمهم أقل فمن هذا الباب ما وسع لهم من الخياطة والزراعة والحياكة وغيرها وما روي عنهم من الجفر والرمل والنجوم والكيميا والسيميا وذلك تقدير العزيز الحكيم فتبارك الله أحسن الخالقين.

فصلاح العباد من علم النجوم ظهور ما أظهر منها لهم وخفاء ما اخفاه ولا محظور فيما اظهر بل في هذا القدر صلاحهم وصلاح دينهم ودنياهم فيعلمون به ان الله سبحانه خلق السموات والأرض بالحق وان في كل جزء منها خواص وفوائد ثم يصيبون في بعضها فينتفعون به ويخطئون في بعض فيجري عليهم التقدير كالطب فلو لم يخطئ الطبيب

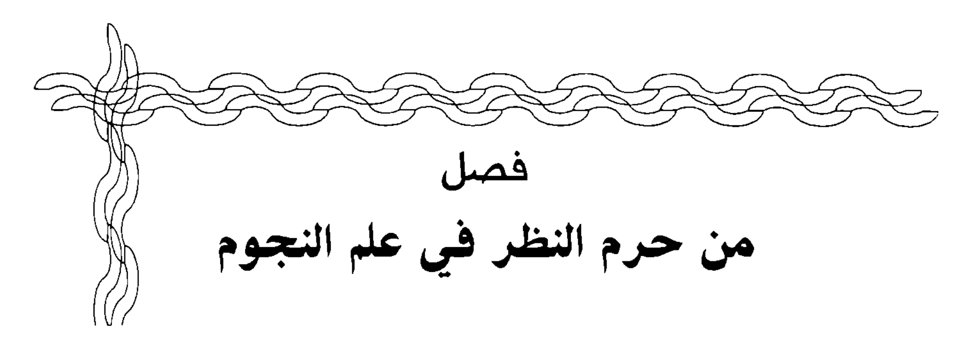
لما مات مريض فإن الله سبحانه وان كان قدر لكل أحد اجلاً إلا انه خلق لكل داء دواءً وأجرى الأجل أيضاً بأسباب خلافها يقتضي تأخير الاجل بتقديره سبحانه وألزم كل شيء مقتضاه وهو قادر ان يؤخر ما يشاء ويقدم ما يشاء إلا انه يقدر ويؤخر ويقدم الاسباب فلو عرف الخلق تلك الاسباب وهم مختارون لدفعوا عنهم مقتضياتهم بتحصيل أضدادها فقدر الله سبحانه عليهم وقضى أن يجهلوا أشياء ليجري عليهم التقدير مع انه كان قادراً ان يجريه مع علمهم ولكن أبى ذلك وان يعلموا اشياء فيدفعوا عنهم ما شاء الله فمن الاسباب علمهم وجهلهم وسائر اوضاع السموات والأرض ويفعل الله سبحانه ما يشاء بما يشاء كيف يشاء.

اعتبر من قوله سبحانه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الزمر: ٢١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وهذا معنى ما في الخبر أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها(١).



(١) الكافي ١/ ١٧٧.



فصل
من حرم النظر في علم النجوم

لقد تصدى قوم بنفي هذا العلم ونفي حقيقته مطلقاً وقوم بنفي التأثير عن الكواكب واختلفوا اختلافات عجيبة واستدلوا بأدلة غريبة ولعمري مثلهم كقوم صم انتحلوا علم الموسيقى وجعلوا يتكلمون فيه حتى بارعوا بزعمهم وكتبوا فيه كتباً حشوها بمبادئ وأصول وفروع ونقض وإبرام ومنع ودفع وبحث حتى ملأوا منها الاسماع وحشوا بها الاصقاع فمنهم من قال ان الحداء ابيض بهذا الدليل ومنهم من قال احمر ورد دليل الآخر ومنهم من قال انه اسود ومنهم من قال انه حلو ومنهم من قال انه مر وهكذا فتشاجروا حتى تنازعوا وتعادوا وتلاعنوا فإذا جاء سميع منهم بينهم وسمع ضوضاءهم رأى طبق قول الشاعر:

ونــحــن بــواد والــعــذول بــواد

فقال يا قوم ان الحداء من عالم الاصوات وأنتم صم وجميع تشاجركم نفخ في غير ضرام فأرى الآن مثل هؤلاء كما ذكرت فاذكر هنا بعض ما ذكروا للاعتبار.

فعن المفيد رحمه الله ان الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام نارية لا حياة لها ولا موت ولا تميز خلقها الله ليتنفع بها عباده وجعلها زينة لسمواته إلى ان قال فاما الاحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام مدلول حركاتها فإن العقل لا يمنع منه ولسنا ندفع ان يكون الله تعالى اعلمه بعض أنبيائه وجعله علماً على صدقه غير أنا لا نقطع عليه ولا

نعتقد استمراره في الناس إلى هذه الغاية إلى ان قال وهذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل[١].

وعن الشيخ محمد بن الحسين الكيدري ما حاصله انهم لا يحيطون بالفواعل والقوابل فلا يمكنهم الحكم ثم اعترض بالتوأمين وانه لو كان الأمر كما يولون لكان الواجب ان يتفقا في جميع صفاتهما واحوالهما وبأن الكلي يغلب الجزئي وهم لا يحيطون بالاسباب الكلية وبأنه يلد ولد لسوقى ولملك في آن واحد ولا يتفقان فيما هما عليه وباختلاف الزيجات[٢].

وعن الشيخ إبراهيم بن نوبخت قول المنجمين يبطله قدم الصانع واشتراط اختياره ويلزم عليهم ان لا يستقر الفعل على حال من الاحوال وقول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك[٣].

وعن العلامة ﵀ اختلف قول المنجمين على قسمين أحدهما قول من قال ان الكواكب السبعة حية مختارة والثاني قول من قال انها موجبة والقولان باطلان اما الأول فلأنها أجسام محدثة واما الثاني فلأن المريخ إذا كان مقتضياً للحرب لزم دوام وقوع الهرج والمرج في العالم وان لا يستقر افعالهم على حال[٤].

وعن المرتضى ﵀ ان المنجمين يذهبون إلى ان الكواكب تفعل في الأرض ومن عليها افعالاً يسندونها إلى طباعها إلى ان قال وقد فرغ المتكلمون من الكلام في ان الكواكب لا يجوز ان تكون فينا فاعلة

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٨.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٨٩.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٨١.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٨١.

وتكلمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبائع التي يهذون بذكرها واضافة الافعال إليها وبينا ان الفاعل لا بد وان يكون حياً قادراً وقد علمنا ان الكواكب ليست بهذه الصفة وكيف تفعل وما يصحح الأفعال مفقود فيها ثم نقل دليلاً ان الحياة تنفيها الحرارة الشديدة وحرارة الشمس اقوى من حرارة النار فيستحيل كونها حياً ثم قال لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وإذا قطعنا على نفي الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة وأتى بدليل آخر انه لا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بينها وبيننا فكيف تكون فاعلة فينا فإن ادعى ان الوصلة بيننا هي الهواء فالهواء أولاً لا يجوز ان يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ثم استدل بدليل آخر وهو ان ذلك يقتضي سقوط الأمر والنهي والذم عنا ثم قال ومما أفحم به القائلون بصحة الاحكام انه ان قيل خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ أو يترك فبأيهما حكموا خولفوا إلى ان قال ومن ادل الدليل على بطلان احكام النجوم ان من المعجز الاخبار عن الغيب وهو خارق عادة فلو كان الحكم بالنجوم صواباً لم يكن خارقاً للعادة[١].

وعن العلامة التنجيم حرام وكذا تعلم النجوم مع اعتقاد انها مؤثرة أو ان مدخلاً في التأثير بالنفع والضر وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية كافر[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٨١.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٠.

وعن الشهيد في القواعد كل من اعتقد في الكواكب انها مدبرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب انه كافر وان اعتقد انها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي واما ما يقال من استناد الافعال إليها كاستناد الاحراق إلى النار وغيرها من العاديات بمعنى ان الله أجرى عادته انها إذا كانت على شكل مخصوص يفعل ما ينسب إليها فهذا لا يكفر معتقده ولكنه مخطئ لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم(١).

وعن المحقق الشيخ أعلم ان التنجيم مع اعتقاد ان للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام وكذا تعلم النجوم بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه(٢).

وعن الشيخ أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي في كنز الفوائد في رد كون النجوم عللاً موجبات ما حاصله انها ان كانت عللاً للحوادث فهي كائنة لا مغير لها فلا فائدة في الحكم وان قلتم ان الإنسان يمكنه التحرز فقد أبطلتم دعواكم ثم قال إن تسمية البروج الاثني عشر لا اصل لها وإنما وضعها الراصدون وكذلك جميع الصور التي عن جنبي منطقة البروج ثم قال ان صور البروج تنتقل(٣).

ونقل عن الصوفي في كتاب الصور ان مواضع هذه الصور التي على منطقة فلك البروج كانت منذ ثلاثة آلاف سنة في غير هذه الاقسام وان

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٠.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩١.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٤.

صورة الحمل ما كانت في القسم الأول وكان يسمى الأول من البروج الثور ولما جددوا الارصاد في أيام طيموخارس وجدوا صور الحمل قد انتقلت إلى القسم الأول غيروا اساميها فسموا القسم الأول الحمل ولا يخالفنا أحد في ان هذه الصور تنتقل إلى ان قال الشيخ إعلم أيدك الله إن الشمس والقمر والنجوم أجسام محدثة من جنس أجسام مؤتلفة من أجزاء تحلها الأعراض وليست بفاعلة في الحقيقة ولا ناطقة ولا حية قادرة[١].

وعن شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي في ذكر علم النجوم وابطال كونها عللاً موجبة يبطل ذلك بكل ما يبطل به دعوى المجبرة بأننا غير مختارين[٢].

وعن علي بن طاوس انه صنع رسالة وبالغ في الانكار على من اعتقد ان النجوم ذوات إرادة أو فاعلة أو مؤثرة واستدل على ذلك بدلائل كثيرة وأيده بكلام جم غفير من الافاضل[٣].

وقال المجلسي رحمه الله ان القول باستقلال النجوم في تأثيرها بل القول بكونها علة فاعلية بالارادة والاختيار وان توقف تأثيرها على شرائط كفر ومخالفة لضرورة الدين والقول بالتأثير الناقص يحتمل وجهين الأول تأثيرها بالكيفية كحرارة الشمس وإضاءتها فلا سبيل إلى انكار ذلك لكن الكلام في انها مؤثرات أو معدات لتأثير الرب أو انه تعالى أجرى العادة بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذاة الشمس مثلاً وإلا

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٤.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٨.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٩٨.

كثر على الأخير والثاني كون حركتها وأوضاعها ومقارناتها واتصالاتها مؤثرة ناقصة في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدمة فلا ريب ان القول به فسق وقول بما لا يعلم إلى ان قال واما انه ينتهي إلى حد الكفر فيشكل الحكم به وان لم يكن مستبعداً والكراجكي رحمه الله لم يفرق فيما مر من كلامه بين هذا الوجه والوجه الأول وإنما النزاع في الثاني دون الأول واما كونها امارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون والفساد فغير بعيد عن السداد انتهى[١].

وأنت إن كنت من أبناء الحكمة ونظرت إلى هذه الأقوال المنحرفة عرفت انهم لم يتكلموا إلا فيما ليس لهم مشعر فيه ولم يدخلوا البيت إلا من ظهره وعرفت ان اتفاق من ليس من أهل علم ومقام واختلافهم بمنزلة واحدة فأقول يا قوم ان الحداء صوت فاتبعوا من له أذن ولا تضيعوا الاعمار ولا تحكموا فيما لا تعلمون وإنما ذلك مثل اختلافهم في معنى السحر وحقيقته أين أنتم من هذه العلوم ولم تتكلموا فيما ليس لكم فيه حظ فإن كنتم لا تعلمون العلوم تعرفون أنفسكم أقلاً وتعلمون أنكم جاهلون بها أقلاً.

يا باري القوس برياً لست تحسنه   لا تفسدنها واعط القوس باريها

وستعرف في خلال ما يأتي من البيان حقيقة الأمر والله المستعان فاقدم هنا كلاماً مجملاً مختصراً لتعرف حقيقة الأمر عاجلاً ان كنت تنبيه بالاشارة وإلا فترقب ما يأتي من تفصيل العبارة.

اعلم ان الله سبحانه ذات أحدية لا تثنى بوجه من الوجوه يمتنع معها

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٣٠٨.

سواها فكمال توحيده نفي الصفات عنه وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وليس كنه ذاته سبحانه علة الخلق لا مختارة ولا موجبة.

وفي الدعاء كان عليماً قبل إيجاد العلم والعلة.

وإنما ذلك لاجل ان العلية صفة والعلة ذات ظاهرة بالعلية ولا شك ان مفهوم قولك علة شيء زائد على مفهوم قولك الذات فغيب الذات اجل من ان يكون علة للاشياء ثم ان كانت موجبة لزم قدم الخلق وعدم تخلفها عن الذات وان كانت مختارة ان شاءت فعلت وان شاءت لم تفعل لزم قدم المشيئة فيها أيضاً ويتعدد القدماء مع ان المعروف من مذهب أهل البيت عليهم السلام حدوث المشيئة.

قال الصادق عليه السلام خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة[١].

فالذات محال ان تكون علة والعلة فيها ذكر المعلول وإلا لا تكون علة والله سبحانه يمتنع معه ذكر سواه فإذا امتنع كونه علة فما سواه خلقه.

قال الرضا عليه السلام حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما[٢].

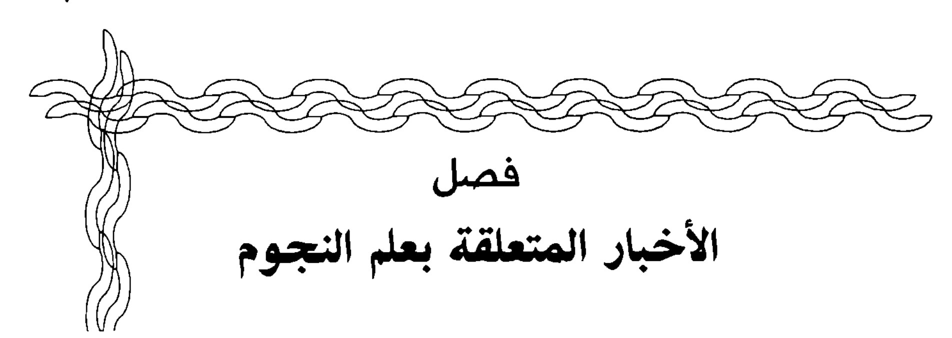
فالعلة محدثة وهو محدث العلة بلا علة ومسبب الاسباب من غير سبب ومحدث العلة بلا علة ولا كيف اجل من نفس العلة فمهما خلق الله العلة كان المعلول معها بلا تأخر فالمشيئة هي علة العلل احدثها الله سبحانه أولاً بنفسها ثم خلق الأشياء بها وخلق فعله سبحانه والمشيئة هي فعله وليس حركة صدر من الذات غيرها وهي لم تصدر أيضاً من

---

(١) الكافي ١/ ١١٠.
(٢) اللمعة البيضاء ص ١٥٢.

أمره وهي الأمور المفعولية كما يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وأنت وان كنت من أبناء الحكمة يكفيك هذا الكلام المجمل المفصل وإلا فترقب حتى يأتي الله بأمره.





فصل
الأخبار المتعلقة بعلم النجوم

من الأخبار الجارية في هذا المضمار المشكلة.

ما رواه في البحار عن الكافي بسنده عن سليمان بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحر والبرد ممن يكونان فقال لي يا أبا ايوب ان المريخ كوكب حار وزحل كوكب بارد فإذا بدأ المريخ في الارتفاع انحط زحل وذلك في الربيع فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحط زحل درجة ثلاثة اشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط فيجلو المريخ فلذلك يشتد الحر فإذا كان في آخر الصيف واوان الخريف بدء زحل في الارتفاع وبدء المريخ في الهبوط فلا يزالان كلما ارتفع زحل درجة انحط المريخ درجة حتى ينتهي المريخ إلى الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع فيجلو زحل فذلك في أول الشتاء وآخر الصيف فلذلك يشتد البرد وكلما ارتفع هذا هبط هذا وكلما هبط هذا ارتفع هذا فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس هذا تقدير العزيز العليم وانا عبد رب العالمين[١].

انظر في هذا الحديث الشريف هل يقول المنجم المسلم ازيد من

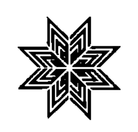
(١) روضة الكافي ٨/ ٣٠٦، بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٦ح ٢٧، الكتاب المبين ٤/ ١٢٦.

ذلك ان الفعل للنجم الفلاني وسبب الحر النجم الفلاني وسبب البرد النجم الفلاني وتدبر في قوله هذا تقدير العزيز العليم كما شرحنا وبينا ثم تبرأ من الاعتماد عليها فقال وانا عبد رب العالمين لست بصابئي ولا دهري.

بالجملة لا شك في جواز نسبة الفعل إلى الفاعل والاسباب تقول كتبت وكتبت يدي وكتب قلمي قال الله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] وقال: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] فالنجوم فاعلة مؤثرة مدبرة ولا كفر ولا شرك لمن فهم ما يقول والفاعل هو الله بفعله وهي فعله ونحن قد شرحنا هذا الخبر في رسالة على حدة من أراد تفصيل معناه فعليه بها ونشير هنا مجملاً.

ان المريخ كوكب حار فتأثيره الحرارة وزحل كوكب بارد فتأثيره البرودة في العالم وهما كوكبان علويان لهما التأثير الكلي كما ان التأثيرات الجزئية للسفلية فالمريخ هو المدبر للصيف وزحل هو المدبر للشتاء ويشتركان في تدبير الخريف والربيع والمراد بالارتفاع والهبوط هو اشرافهما على الاثر واستيلائهما على التدبير وما لم يستول المؤثر على الاثر لم يؤثر فيه فالارتفاع ارتفاع معنوي والهبوط هبوط معنوي كما يقال فلان رفيع الشأن رفيع القدر وليس المراد الرفعة المكانية الصورية فكذلك المريخ كلما ارتفع واستولى بالتدبير سخن الهواء وكلما هبط وسقط وارتفع زحل واستولى برد ألا ترى انه لو كان المراد الرفعة المكانية لكان اللازم برد الهواء بتباعد المريخ وحر الهواء بتباعد زحل فالمراد هو رفعة الاستيلاء كما يقال ان المولود في الشهر الأول يدبره زحل وفي الثاني يدبره المشتري وفي الثالث يدبره المريخ وهكذا

وليس بأن الكواكب تنتقل من مواضعها وتقارن المولود للتدبير بل هي في مواضعها وتستولي واحداً بعد واحد على المولود وتدبره فكذلك تدبير زحل والمريخ للشتاء والصيف واما الحر في الشتاء والبرد في الصيف فهما جزئيان ينتقلان سريعاً فهما من الشمس والقمر صدق عليه السلام وله الحكم والأمر وان قلت ان الصيف يسخن بارتفاع الشمس والقمر يبرد بانحطاطها قلت لا ينافي ذلك قوله عليه السلام ذلك فإن التدبير والتربية لزحل والمريخ وان كان السبب المقارن الشمس كما ان شهر المولود بسبب الشمس والقمر ومرور الزمان عليه ولكن يدبره في كل شهر كوكب.





فصل
في أحوال الشمس

في البحار من الكافي بسنده عن الاصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ان للشمس ثلاثمائة وستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد ثم ترد إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها وان وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض ولو كان وجهها لأهل الأرض لاحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها ومعنى سجودها ما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] انتهى[١].

أقول: المراد بالبروج الدرج المشار إليها في قوله تعالى في تفسير ظاهر الظاهر ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥] وعدد الرفيع ثلاثمائة وستون كل برج منها مثل جزيرة تشبيه للسعة ونزول العرب فيها في مراحلها إذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد.

اعلم ان الشمس دائماً تغيب عن قوم وتطلع على قوم فهي دائماً في المغيب بالنسبة إلى قوم دائماً تنتهي إلى حد بطنان العرش فإنه مبدؤها ومنتهاها فهي في الطلوع تبتدي منه أبداً وفي الغروب تنتهي إليه أبداً

---

(١) الكافي ٨/ ١٥٧ الكتاب المبين ٤/ ١١١.

لأن نورها من نور العرش كما روى[١] وهي دائماً في الغروب والطلوع فمنه بدؤها وإليه منتهاها فهي دائماً ساجدة لله سبحانه خاضعة له وقد أشار إليه في آخر الخبر فسجودها كسجود الشجر والدواب ومعها ملكان يهتفان معها فالظاهر أن المراد ما روي من الاختصاص أنه قال الصادق عليه السلام ملك موكل بالشمس عند طلوعها ينادي يابن آدم لد للموت وابن للخراب واجمع للفناء[٢].

فلنعم ما قيل:

لنا ملك ينادي كل يوم   لدوا للموت وابنوا للخراب

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتم وأبشر وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض انتهى[٣].

ويحتمل ان يكون سقط شيء من خبر الكافي وان وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض الظاهر ان المراد وجهها إلى مبدئها وهو باطنها المخصوص بأهل القيامة والسماء فإن أثر باطنها في السماء أكثر كما أن أثر ظاهرها في الأرض أكثر لاختلاف القوابل وتأثر اللطيف من اللطيف وعدم تأثر الكثيف منه والمراد بقفاها ظهرها وظاهرها الدنياوي والأعراض الدنياوية أو برد الزهرة والقمر ورطوبات الجو هي الماء الذي ينضحه الملك عليها لئلا تحرق الأرض.

---

(١) الكافي ١/ ٩٨، الكتاب المبين ٤/ ١١٣.
(٢) الكافي ٢/ ١٣١.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ١٤٣ ح٢، الكافي ٤/ ٤٢.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام إن للشمس مائة وثمانين منزلاً في مائة وثمانين يوماً ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها انتهى[(١)].

والمراد المدارات اليومية لها بين مدار رأس الجدي ورأس السرطان فإنها مائة وثمانون فتمر عليها ستة أشهر ثم تعود عليها ستة أشهر.

ويذهب مذهب الخبر الأول ما روي.

عن التوحيد بسنده عن أبي ذر الغفاري رحمه الله قال كنت آخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتماشى جميعاً فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت فقلت يا رسول الله أين تغيب قال في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخر فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ثم تقول يا رب من أين تأمرني اطلع امن مغربي أم من مطلعي فذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع قال فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم ينطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأني بها وقد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتؤمر أن تطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢] والقمر كذلك من مطلعه

---

(١) الكتاب المبين ٤/ ١١١.

ومجراه في افق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش وجبرئيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي فذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] الخبر [(١)].

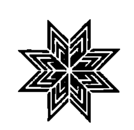
فقوله عليه السلام في السماء ظاهر فإنها تغيب عنا وهي في السماء واما رفعها من سماء إلى سماء فإنها دائمة الرفع عوداً في توجهها إلى العرش واستمدادها منه ودائمة الهبوط بدءاً أي نورها يمد دائماً من العرش فلو قطع عنها طرفة عين لزال نورها وهي دائمة التحلل عنها وتحتاج إلى مدد جديد وهي في استمدادها متوجهة إلى العرش خاضعة تحته ساجدة لله سبحانه ولا شك انها أبداً تغيب عن قوم وتطلع على قوم فهي دائماً تؤتى بحلة من العرش ودائماً ترفع إلى العرش كلما يرتفع منها ذرة تؤتى بذرة من الحلة على نحو السيلان فرفعها ونزول الحلة إليها كالنهرين الجاريين في جميع الانات وهي في كل جزء من السماء دائمة الاستئذان في الاستقبال والاستدبار وهما الطلوع من المشرق والمغرب فإنها دائماً في المشرق ودائماً في المغرب والاستشهاد بالاية يمكن ان يكون لاجل المستقر ويكون المراد ان مستقر الشمس تحت العرش فتجري مرفوعة في السموات إلى مستقر لها أو يكون المراد من المستقر منطقة البروج فهي تجري في مستقرها ليس لها تخلف عنها وحبسها مقدار ثلاث ليال قبل ظهور الإمام وكذلك حال طلوع القمر وغروبه إلا ان نور الشمس من العرش وان كان بواسطة الكرسي كما يظهر من خبر آخر ونور القمر من الكرسي وان كان بواسطة الشمس وذلك ان العرش هو مقام العقل وباطن النبوة والكرسي هو مقام النفس

(١) التوحيد ص ٢٠٣، بحار الأنوار ٥٥/ ١٤٤ ح٣، الكتاب المبين ٤/ ١١٤.

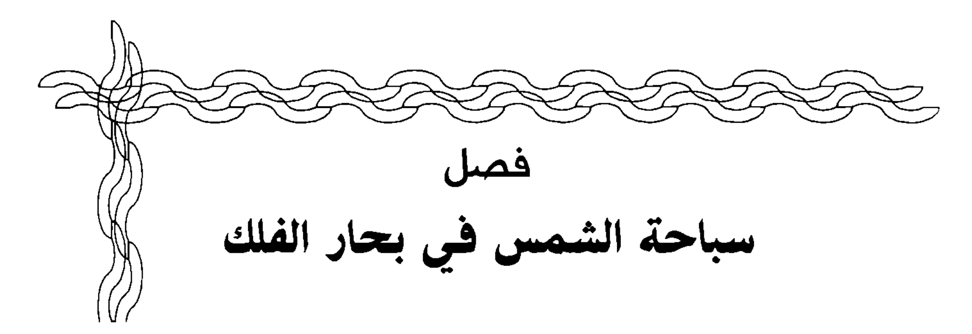
وباطن الولاية والشمس هي مقام المادة الثانية وظاهر النبوة والقمر مقام الصورة والمثال وظاهر الولاية.

وروي عن علي عليه السلام تغرب الشمس في عين حامئة في بحر دون المدينة التي تلي المغرب يعني جابلقا انتهى[١].

أقول ذلك البحر الماء الذي كان العرش عليه وهو السموات فهي تغيب فيها وهي العين الحامئة فإن قرئ الحامية بالياء فتلك العين اي عين السموات حامية تمنع غيرها من الوصول إليها أو حامية من الحمى أي ساخنة لأن الأفلاك دخان وان كانت من الحماء مهموزاً فالحماء المختلط بتلك العين سواد الليل وظل الأرض أو جميع ما تحت العرش ماء وحماؤه الأرض فالشمس تغيب وراء الحماء في العين وقد أشرنا بكثير مما في الخبر على نحو الاشارة وهذه الأخبار مما قد تحير فيه العلماء.



(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٢ ح١٩.



فصل
سباحة الشمس في بحار الفلك

وفي البحار عن تفسير علي بن إبراهيم بسنده عن الحكم بن المستنير عن علي بن الحسين عليه السلام قال ان من الآيات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض قال وان الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب ثم قدر ذلك كله على الفلك ثم وكل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك فهم يدبرون الفلك فإذا دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه فنزلت في منازلها التي قدرها الله فيها ليومها وليلتها فإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعتبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه قال فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي يجري الفلك فيه فينطمس ضوؤها ويتغير لونها فإذا أراد الله ان يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يحب الله ان يخوف خلقه بالاية فذلك عند شدة انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر فإذا أراد الله ان يخرجهما ويردهما إلى مجراهما أمر الملك الموكل بالفلك ان يرد الشمس إلى مجراها فيرد الملك الفلك إلى مجراه فيخرج من الماء وهي كدرة والقمر مثل ذلك ثم قال علي بن الحسين عليه السلام انه لا يفزع لهما ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله وارجعوا قال وقال أمير

المؤمنين عليه السلام الأرض مسيرة خمسمائة عام الخراب منها مسيرة اربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة والشمس ستون فرسخاً في ستين فرسخاً والقمر اربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً بطونهما تضيئان لأهل السماء وظهورهما لأهل الأرض والكواكب كأعظم جبل على الأرض وخلق الشمس قبل القمر وقال سلام بن المستنير قلت لأبي جعفر عليه السلام لم صارت الشمس أحر من القمر قال الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار فمن هنالك صارت أشد حرارة من القمر قلت فالقمر قال إن الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس انتهى[(١)].

وهذا الخبر من المشكلات وغفل عن صعوبة كلامهم فحملوه على الظاهر وغفلوا عن ان الحكيم إذا تكلم في علم لأهله لا يجب ان يتكلم بحيث يعرفه كل من ليس من أهل ذلك العلم ألا ترى انهم علموا الجابر تمام الكيميا وخطب أمير المؤمنين بفقرات في علم الكيميا فلم يعرفه كل أحد وكذلك في مقاماتهم العجيبة فليس يعرفها كل أحد وإنما على الحكيم ان يتكلم مع كل سائل بحيث يفهم ذلك السائل ان شاء تفهيمه.

ولرب حامل فقه وليس بفقيه ولرب حامل فقه إلى من هو افقه منه[(٢)].

(١) تفسير القمي ٢/ ٣٧٩، بحار الأنوار ٥٥/ ١٤٦ ح٤، الكتاب المبين ٤/ ١٢٤.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخيف فقال: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها من لم يسمعها، =

ولذا روى ان كلامنا صعب مستصعب[1].

فقد خبط أهل الظاهر خبطاً ظاهراً حيث زعموا انه يجب ان يكون كلامهم على الظاهر أبداً.

وقد روي أنهم يتكلمون ويريدون منها أحد سبعين وجهاً لهم من كلها المخرج[2].

وقد حققنا ذلك في سائر كتبنا مفصلاً فلا موجب لحمل كلامهم في غير ما يعم منه به البلوى على متفاهم جميع الناس.

قال المجلسي: في بعض النسخ بدل الآيات الأوقات وعن الكافي من الأوقات.

بالجملة ان كانت الآيات صحيحة فلأنهم يرون آيات البحر وليس يرون البحر ليكون بنفسه آية والظاهر ان الأوقات سهو وان كان الاقوات صحيحة فلأن ذلك البحر سبب الاقوات فالبحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض هو صفو الماء الذي بين العرش والفرش فإن الله سبحانه خلق عرشه أولاً وجعله على الماء ثم خلق من بخار الماء وصفوه السموات السبع ومن زبده وغليظه ومنعقده الأرض فالماء الذي بين السماء والأرض هو صفو الماء والسماء هو العرش الأعلى

= فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصحية لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم. (الكافي ج ١ ص ٤٠٣).

(١) بصائر الدرجات ص ٦٥.

(٢) بصائر الدرجات ص ٣٤٨.

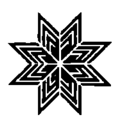
وذلك البحر والماء هو الذي فيه مجرى الشمس والقمر والنجوم والكواكب المركوزة في الفلك الثامن قوله: [ثم قدر ذلك كله] أي النجوم المذكورة على الفلك أي خلق لها أفلاكاً وهي تدويراتها أو خوارج مركزها فذلك الفلك يجري في ذلك البحر دائماً واستقامة جريها ان يكون كل واحد منها نيراً ظاهراً للناظر ينتفع به لأنها خلقت لذلك ولتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ولتكون زينة فإذا أراد الله سبحانه تخويف عباده أمر الملك الموكل ان يزيل الفلك عن مجرى استقامته بأن يجري بحيث لا ينتفع بكوكبه ولا يهتدى به فيزيله الملك فتصير الشمس في ذلك البحر أي بحر السموات مخفية عن الابصار بحجب جرم القمر إياها ويصح أنها غابت في السماء كما مر في خبر أبي ذر انها تغيب في السماء مع ان الأرض تحجبها وكذا هنا تغيب في البحر مع ان القمر يحجبها ألا ترى انه قال انها في الفلك والفلك يجري في البحر فالبحر لطيف شفاف ودائماً هو حاجب بين الناظر وبينها إلا انها عند ارادة الله تخويف العباد تنحجب في السماء وتغيب في السماء هذا والقمر والفلك الأول كلاهما من أجزاء ذلك البحر لانهما خلقا من ذلك الماء فإذا احتجب الشمس بالقمر فقد احتجبت ببعض أجزاء ذلك البحر فصح انها احتجبت في البحر وكذلك يفعل بالقمر فإن القمر أيضاً يغيب في السماء وهي من ذلك البحر وان كان بحجب الأرض بينها أي بين الشمس وبين القمر فإذا أراد الله رفع التخويف أمر الملك فيخرجهما من ذلك البحر أي من ذلك الجزء من البحر الذي احتجبا فيه إلى الجزء غير الحاجب فإن مجرى الأفلاك في البحر كما شهد به صدر الخبر فليس كل البحر بحاجب لها بل جزء منه.

واما تحديده الأرض بمسيرة خمسمائة عام فإنه تحديد تعظيم إذ لا حد

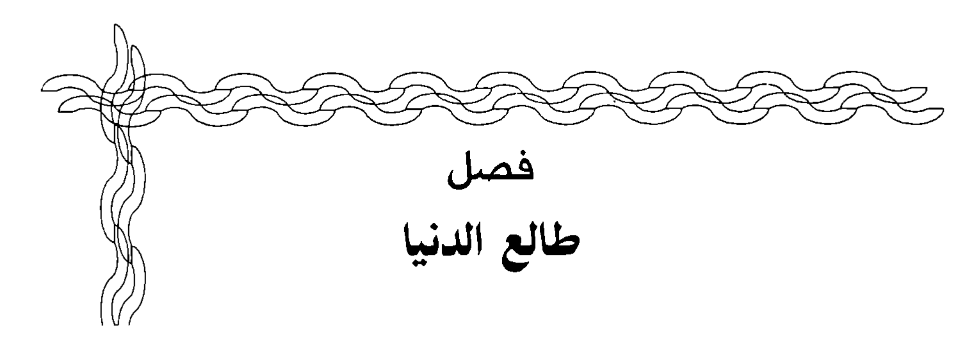
ــــير يعرف. واما كون الشمس ستون فرسخاً والقمر اربعون فلا يعلم حد الفرسخ اهو من فراسخ السماء أو الارض.

هذا وفي رواية اخرى سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن طول الشمس و القمر وعرضهما قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ انتهى(١).

فلما كان مدار المساحة على المقياس فإذا كان المقياس مجهولاً يجهل المساحة وأما كونهما من سبع طبقات من صفو الماء ونور النار فعلم ان الشمس آية الطبيعة وهي حارة يابسة وهي طبقة ثم بعدها المادة الباردة ثم بعدها الأظلة ثم الجسم ثم العرش ثم الكرسي فأعلى خزائن الشمس الطبيعة وآخر شهودها ما ترى والقمر أعلى خزائنه المادة الباردة الرطبة ويأتي إلى الكرسي إلى الشمس وآخر شهوده ما ترى فالشمس بدئت من النار وانتهت إليها والقمر بدئ من الماء وانتهى إليه في السابعة فافهم واحمد الله على هذه الحكم.



(١) عيون الأخبار ١/ ٢٤١، علل الشرايع ٢/ ٢٨٠، بحار الأنوار ٥٥/ ١٥٨ ح٩، الكتاب المبين ٤/ ١١٢.



فصل
طالع الدنيا

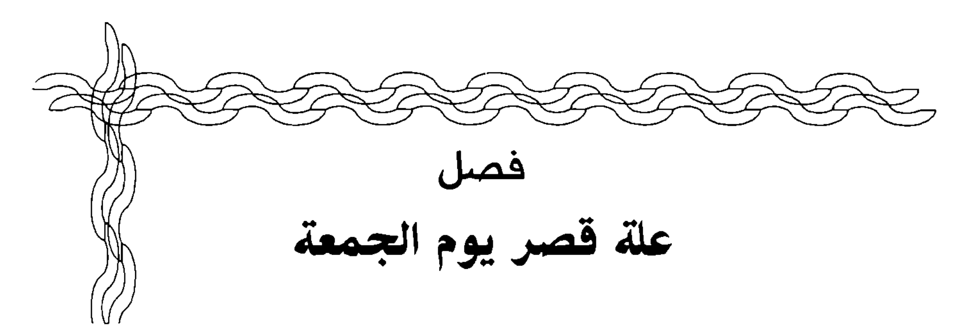
في البحار عن كتاب النجوم بسنده إلى ابن ذي العلمين قال كنت واقفاً بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبو الحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل النهار أيهما خلقا قبل فخاضوا في ذلك واختلفوا ثم ان ذا الرياستين سأل الرضا عن ذلك وعما عنده فيه فقال له اتحب ان أعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك فقال أريده أولاً من جهة الحساب فقال أليس تقولوا ان طالع الدنيا السرطان وان الكواكب كانت في شرفها قال نعم قال فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت والقمر في الثور والشمس في وسط السماء في الحمل وهذا لا يكون إلا نهاراً قال نعم فمن كتاب الله قال قول الله عزّ وجلّ : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠] أي النهار يسبقه انتهى[1].

وفي هذا الحديث اشكالات عديدة منها انه أين الدنيا والمراد طالع أي بقعة وتقدم النهار على الليل في أي بقعة والشمس في عاشر أي بقعة. نحن قد كتبنا له رسالة أخرى مفصلة ونذكر هنا مجملاً فأقول على الظاهر ان أول جزء خلق من الأرض موضع الكعبة ودحيت الأرض

(١) تحف العقول ص ٤٤٧.

من تحتها فيعتبر الطالع من هناك إذا أريد بالدنيا الأرض أو أريد بها السموات الثمانية والأرض فإنها حين وضعت وضعت بحيث كان الطالع في مكة برج سرطان وفهم المنجمين لا يزيد على هذا المراد وإن أريد بالدنيا مجموع عالم الأجسام الزمانية كما هو الظاهر فالبرج الطالع حين تولد عالم الأجسام له تأويل فإن المشرق حينئذ جهة المبدأ والمشيئة وجهة شروق نور شمس الأزل وأول برج طلع منه الماء فإنه أول ما خلق الله وهو برج السرطان المائي شرف المشتري صاحب الطالع كوكب النفس وباء بسم الله التي خلق منها الموجودات وهو جسم الكل كما ان طالع عالم المثال الجوزاء وعالم الهيولى الثور وعالم الطبائع الحمل لوجوه ليس ههنا موضعها والكواكب في اشرافها أي في غاية قوتها وكمالها لأنه لم يختلطها أعراض ووبال وهبوط بعد وكانت دهرية عرية عن الأعراض المضعفة وإن أردت التفصيل فراجع تلك الرسالة إن أمكنك واحذر أن تحمل علوم آل محمد عليهم السلام في جميع الموارد على متفاهم العوام فتبتلى باختلافات لا تعالج. هذا وهم صرحوا بأن كلامهم له سبعون وجهاً ولهم من كلها المخرج.





فصل
علة قصر يوم الجمعة

روي في البحار عن الكافي بسنده عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال: قلت له بلغني ان يوم الجمعة أقصر الأيام قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذلك قال ان الله تعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس فإذا ركدت عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود[(١)].

وعن الاختصاص بسنده عن أبي الصباح الكناني قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] الآية فقال ان للشمس أربع سجدات كل يوم وليلة سجدة إذا صارت في طول السماء قبل ان يطلع الفجر قلت بلى جعلت فداك قال ذاك الفجر الكاذب لأن الشمس تخر ساجدة وهي في طرف الأرض فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر ودخل وقت الصلاة واما السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبة وارتفع النهار ركدت قبل الزوال فإذا صارت بحذاء العرش ركدت وسجدت فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فتدخل وقت صلاة الزوال واما السجدة الثالثة أنها إذا غابت

---

(١) الكافي ٣/ ٤١٦، بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٣ ح٢٢، الكتاب المبين ٤/ ١١٤.

من الأفق خرت ساجدة فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل كما انها حيت زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار انتهى[١].

والظاهر انه سقط عن النسخ في آخر الخبر بين قوله سجودها وبين زوال الليل فقرات فكانه كان إذا ارتفعت من سجودها دخل وقت صلاة المغرب واما السجدة الرابعة انها إذا انتصف الليل مقابل انتصاف النهار بالجملة في معنى الركود عند انتصاف النهار اشكال فإنها لو ركدت بمعنى وقفت لزم منه سكونها دائماً فإنها دائماً في حال انتصاف النهار بالنسبة إلى بقعة وما معنى ركودها في غير الجمعة.

اعلم ان الركود بمعنى الثبات والسكون وان الشمس إذا قيست بالاسطرلاب أو بالمقياس في أي بقعة يدرك لها حركة صاعدة قبل الزوال وهابطة بعد الزوال وفي طرفي خط نصف النهار لا يدرك حركتها لسعة كرة السماء ووقوع حركتها على الاستقامة بالنسبة إلى الناظر فلا يدرك له في دائرة الاسطرلاب لها حركة وانتقال من درجة إلى درجة إلى زمان يعتد به وفي الأرض في ظلها وهو بحسب الظاهر ركود الشمس وثباتها عند الزوال وهو المشار إليه في خبر أبي الصباح الكناني وهذا الركود في كل يوم الجمعة أو غيرها كما نص عليه عموماً في الخبر المذكور ففي تلك الساعة أي ساعة الركود لا يجوز الصلاة فإنها شرعت إذا زالت فلا بد وان يصبر الإنسان إلى ان تزول فساعة الركود تحسب من قبل انتصاف النهار وبعد الزوال يشرع في النافلة ثم يشرع في الصلاة ثم ينتشر في الأرض واما يوم الجمعة فلا يراعى لها ركود لضيق الوقت بكثرة الاعمال ورجوع من حضر للجمعة إلى

---

(١) الاختصاص ص ٢١٣، بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٤ ح ٢٣.

أوطانهم وكثرة الدعاء والسنن فيه فضيق اليوم لكثرة الاعمال فيه فيتضايق بها.

انظر إلى ما رواه في الوسائل عن زرارة قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ان من الأمور أموراً مضيقة وأموراً موسعة وان الوقت وقتان والصلاة مما فيه السعة فربما عجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وربما اخر إلا صلاة الجمعة فإن صلاة الجمعة من الأمر المضيق إنما لها وقت واحد تزول ووقت العصر يوم الجمعة وقت الظهر في سائر الايام[١].

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الجمعة حين تزول قدر شراك ويخطب في الظل الأول فيقول جبرئيل يا محمد قد زالت الشمس فانزل فصلِّ[٢].

وعن محمد بن أبي عمر قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة يوم الجمعة فقال نزل بها جبرئيل مضيقة إذا زالت الشمس فصلها الخبر[٣].

وعن عبد الأعلى بن اعين عن أبي عبد الله عليه السلام ان من الأشياء أشياء مضيقة ليس تجري إلا على وجه واحد منها وقت الجمعة ليس لوقتها إلا حد واحد حين تزول الشمس[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام وقتها في السفر والحضر واحد وهو من المضيق وعن رزيق عن أبي عبد الله عليه السلام إذا زالت الشمس يوم

(١) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.
(٢) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.
(٣) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.
(٤) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.

الجمعة فلا نافلة وذلك ان يوم الجمعة يوم ضيق وكان اصحاب محمد ﷺ يتجهزون للجمعة يوم الخميس لضيق الوقت [١].

وعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له قول الله عزّ وجلّ ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] قال اعجلوا وعجلوا فإنه يوم مضيق على المسلمين والله لقد بلغني ان أصحاب النبي ﷺ كانوا يتجهزون للجمعة يوم الخميس انه يوم مضيق على المسلمين[٢].

بالجملة يوم الجمعة يوم مضيق للاداب المتقدمة على الزوال والسير إلى موضع الجمعة والدعوات بعدها والعودة إلى الأوطان فلأجل كثرة وقوع السنن فيه وتزاحمها صار ضيقاً بخلاف سائر الأيام فإنها موسعة وأعمالها وسننها قليلة ولا شك انه عند كثرة الأعمال وضيق الوقت يحسّه اقصر وعند الفراغ يطول الوقت أكثر كما هو واضح وليس للشمس ركود يعني لا يعتبر ركودها فيها ويبادر إلى الخطبة التي هي من الصلاة ثم يصلي أول الزوال فلا يراعي ركودها كما سمعت من كلامهم.

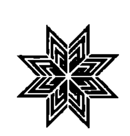
وأما تعذيب أرواح المشركين في غير يوم الجمعة فاعلم ان الشمس مربية الطبيعة في السفليات ومظهر الطبيعة الدهرية ومنها حرارتها ويبوستها وما كان يقال انها صاحبة المادة الثانية فهي الطبيعة ان لوحظت بلا مثال وهي ان لوحظت مع المثال وفيه ان المشركين والكفار مقرهم نار الطبيعة وفيها يعذبون وإليها يهبطون ومن جنة سماء النفوس القدسية يحرمون فهم يجتمعون في البرزخ تحت عين الشمس

(١) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.
(٢) وسائل الشيعة ٧/ ٣١٦.

ويعذبون فشمس الطبيعة لها ركود وثبات في سائر الأيام لعمل الناس بمقتضاها فيشتد حرها في سائر الأيام ويعذب بها أرواح المشركين بولي الله وأرواح المشركين اهواؤهم واراؤهم مع الله سبحانه وبسببهم يشتد على سائر المشركين الذين هم فروع هؤلاء ومن طينتهم ومن جنسهم ويرضون بعملهم.

واما يوم الجمعة فيخالفون الطبيعة ومقتضياتها قهراً فلا يجتمعون تحت عين الشمس ولا يشتد حرها عليهم فلا تركد ولا تثبت في عذابهم ولما كان في الباطن كذلك طالت سائر الأيام في الظاهر بفراغهم وضاق يوم الجمعة باشتغالهم بالاعمال الصالحة طوعاً وكرهاً فقصر عليهم ويرفع عنهم العذاب يوم الجمعة ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩] فهم باشتغالهم بالمعاصي في سائر الأيام يجتمعون تحت عين الشمس فتركد عليهم للتعذيب وباشتغالهم بالطاعات الجمعة لا تركد عليهم بالعذاب فانطبق الظاهر والباطن على حد سواء والحمد لله.

واما حديث سجود الشمس فهي دائماً في هذه الحالات بالنسبة إلى البقاع وسجودها كسجود الظل والنبات وهو خضوعها عند ربها بالانقياد تحت مشيئته والتصرف عن أمره ونهيه إلا انه عليه السلام عد هذه الحالات لظهور التصرف فيها والتغير البيّن في حالها وظهور أثر التدبير عليها.

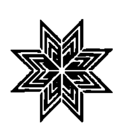


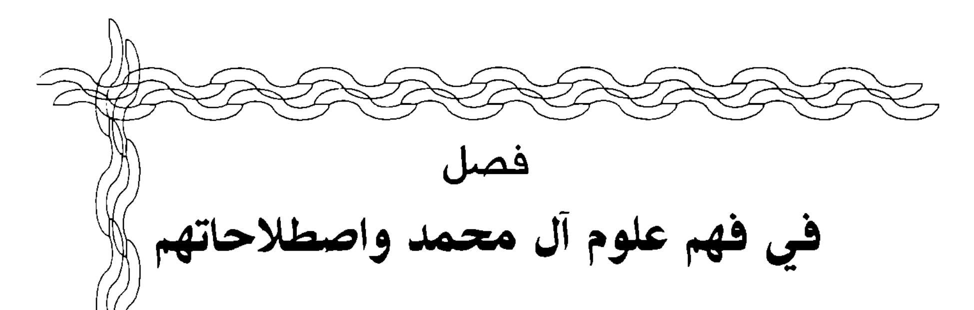
المقصد الثاني: في ذكر كيفية حدوث البسائط الزمانية وحقائقها والاسطقسات المركبة وكيفية تأثير الأجسام العلوية وفي الأجسام السفلية وحصول المواليد فيها ففي هذا المقصد مطلبان وفي كل مطلب فصول.

٥

المطلب الاول:

في ذكر كيفية حدوث البسائط الزمانية وحقائقها والاسطقسات المركبة وفيه فصول.





فصل
في فهم علوم آل محمد واصطلاحاتهم

ان معرفة حدوث الأجسام البسيطة مما اشكلت معرفتها على العلماء وتحيروا فيها وطال التشاجر فيها بين العلماء الظاهريين والحكماء الفلسفيين ولم يصب أحد منهم معنى الحقيقة الحق فيها إلا قليل فإنهم لم يدخلوا البيت من بابه اما العلماء الظاهريون فاخطأوا الباب حيث زعموا ان كلمات المعصومين عليهم السلام لا بد وان تحمل على متفاهم العوام وان تكلموا في أغيب العلوم وأعلى الحقائق وقد حققنا هنا وفي سائر كتبنا أن هذا التوهم اشتباه محض وان الأئمة عليهم السلام علماء حكماء قد تكلموا في كل علم بلسان اهله وبما يليق به بل تكلموا في العلم الواحد والمسألة الواحدة بحسب افهام السائلين فالجواب الذي أجابه لأفضل الحكماء ليس يعرفه البدوي البوال على عقبيه على انه مسلم مكلف وان كان الأمر كذلك فلم يبق لهم بتفقههم درجة ولا فضل لهم فيه فإن كان الفقه الذي هو اصل تكليف العباد لا مخرج فيه إلا للفقهاء العلماء العارفين باللحن المطلعين على معاريض الكلام فليكن كلامهم في الحكمة أيضاً كذلك فليكن له أهل وليكن الفقهاء منه أجانب فإنه غير علم الفقه وكذلك ليكن كلامهم أيضاً في الكيميا كذلك وليكن له أهل وليكن الفقهاء منه اجانب.

وكما لفقههم اصطلاحات ليس يعرفها غيرهم ليكن في سائر العلوم أيضاً اصطلاحات يعرفها الفقهاء فهم قد اخطأوا خطأً عظيماً ليس بهين

حيث بنوا أمر اعتقادهم في علوم أخبر عنها الأئمة عليهم السلام من غير تكيلف العام على متفاهم العوام وحملوا الأخبار عليه ثم فسروها بلسانهم وأشاعوا حتى شنع عليهم وعلى أئمتهم أهل ذلك العلم وحملهم على أنهم أجانب من هذا العلم.

أليس إذا فسروا أخبار جبل قاف على المعروف[١]وهو جبل من زمردة خضراء محيط بالأرض أسفله في الأرض ورأسه منته إلى السماء منه يضحك عليهم أهل الجغرافيا ويقولون إنا سرنا جميع الأرض ومسحناها شعيرة شعيرة ولم نجد جبلاً كذلك فظهر ان نبيكم ما كان يعرف علم الجغرافيا وقد غركم وعللكم نعوذ بالله وهل وقع هذا التشنيع إلا من جهة تفسيرهم الأخبار على متفاهم العوام.

أليس إذا فسروا أخبار يأجوج ومأجوج على ما هو الظاهر ضحك عليهم أهل هذا العلم فإنهم يقولون انهما اقليمان في الدنيا وعددهم بعد الملائكة أكثر من كل الخلق مع ان عدد الملائكة أكثر من عدد الرمال بما لا يحصى وهم أصناف منهم طولهم كالنخل ومنهم إحدى أذنيه بساطه والأخرى لحافه وهكذا ومثل هذا الخلق الكثير كيف يمكن أن يخفى على من مسح الأرض شبراً شبراً وشرحوا خلقها ودولها ومذاهبها وأتوا بجرايد حوادثها وليس هذا التشنيع إلا من جهة تفسيرهم أخبار آل رسول الله عليهم السلام في العلوم الغريبة على متفاهم العوام.

---

(١) كما ذكر السيد هبة الدين الشهرستاني في رسالة له عنوانها جبل قاف بانه (أي جبل قاف) الظل الممتد في قارة آسيا من جبال الهملايا وراجع كتابه الهيئة والاسلام ففيه كثير من هذا النوع من الكلام.

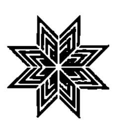
ومثل تفسيرهم لجابلقا وجابرسا وأربعين شمساً وأربعين قمراً وغروب الشمس في عين حمئة في المغرب وهكذا.

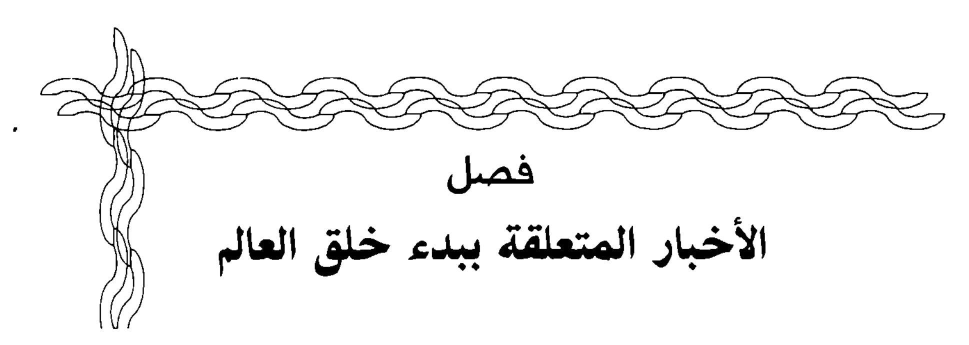
وكان الأحسن عليهم ان يقولوا ان هذه الأخبار رموز ومن علوم اخر وليس نعرفها وإنما حظنا من أخبارهم الفقه حسب ولكنهم أبوا إلا التصرف في جميع العلوم بمحض كلمات في الأصول عرفوها ومن هذا الباب شنعوا على العلماء بسائر العلوم وقالوا انكم خرجتم عن إجماعنا وعن الأخبار وليس الأمر كذلك وانهم خرجوا عن أخطائكم واشتباهكم وأصابوا معنى حقيقة الحق وغفلتهم والواجب عليكم ان ترجعوا إلى قولهم لا عليهم وانهم يشنعون عليكم كما تشنعون عليهم.

فيا بارئ القوس برياً لست تحسنه   لا تفسدنها واعط القوس باريها

وأما الحكماء الفلسفيون فاخطأوا حيث استبدوا بآرائهم الناقصة وعقولهم السخيفة ولم يستندوا في علومهم إلى المعصومين الذين اشهدهم الله خلق السموات والأرض فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فالعالم كل العالم والحكيم كل الحكيم من أخذ جميع علومه عنهم عليهم السلام ولكن دخل في كل علم من بابه وعرف اصطلاحاتهم في العلوم بتعليمهم أو بتعليم من علموه فعرف الموصول والمفصول وعرف الكيف والكم وعرف حقائق الأشياء بتعليمهم وتعريفهم صلوات الله عليهم ولم يأول كلامهم إلى كلام الحكماء وخرافاتهم ولا إلى خيالات المتصوفة والمتسمين بالعرفاء بل جعل كلامهم باصطلاحهم قدوته وامامه واتبعهم فيما وافقهم من سائر الأقوال أخذ به وما خالفهم تركه وسلك في أخذ العلم عنهم الشروط المرسومة في محلها بالجملة ليس الحق إلا منهم وعنهم وإليهم وفيهم وبهم فما كان منهم فهو حق وإلا فهو باطل.

فدع عنك قول الشافعي ومالك   وأحمد والمروي عن كعب الأحبار
وخذ عن اناس قولهم وحديثهم   روى جدنا عن جبرئيل عن الباري





فصل
الأخبار المتعلقة ببدء خلق العالم

فلنسرد أولاً الأخبار الواردة في هذا المقام ثم ننظر فيما رزقنا الله تعالى من معانيها ببركاتهم صلوات الله عليهم.

ففي البحار من الكافي بسنده عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشر قبل الخير وفي يوم الأحد والإثنين خلق الأرضين وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء وخلق السموات يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩] [١].

ومن التوحيد بسنده عن جابر الجعفي في مسائل الشامي عن أبي جعفر عليه السلام سأله عن أول ما خلق الله إلى ان قال عليه السلام كان خالقاً ولا مخلوق فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء فقال السائل خلقه من شيء أو لا من شيء فقال خلق الشيء لا من شيء كان قبله ولو خلق الشيء من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله عز وجل إذاً ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء معه فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء[٢].

---

(١) الكافي ٨/ ١٤٥.
(٢) التوحيد ص ٦٧.

ومن الاحتجاج في حديث احتجاج رسول الله ﷺ على الدهرية ثم قال ﷺ أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه فإن قلتم متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله وان قلتم انه متناه فقد كان ولا شيء منها(١).

ومن تفسير علي بن إبراهيم وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء وذلك في مبتدأ الخلق ان الرب تبارك وتعالى خلق الهواء ثم خلق القلم فأمره ان يجري فقال يا رب بما اجري فقال بما هو كان ثم خلق الظلمة من الهواء وخلق النور من الهواء وخلق الماء من الهواء وخلق العرش من الهواء وخلق العقيم من الهواء وهو الريح الشديد وخلق النار من الهواء وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهواء فسلط العقيم على الماء فضربته فأكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء فلما بلغ الوقت الذي أراد قال للزبد اجمد فجمد فقال للموج اجمد فجمد الزبد أرضاً وجعل الموج جبالاً رواسي للأرض فلما اجمدهما قال للروح والقدرة سوّيا عرشي على الماء فسوّيا عرشه على الماء وقال للدخان اجمد فجمد ثم قال له ازفر فزفر فناداها والأرض جميعاً ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقبضهن سبع سموات في يومين ومن الأرض مثلهن فلما أخذ في رزق خلقه خلق السماء وجناتها والملائكة يوم الخميس وخلق الأرض يوم الأحد وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين وهما اليومان اللذان يقول الله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوام في

(١) الاحتجاج ١/ ٢١.

يوم الثلاثاء وخلق الجان وهو أبو الجن وخلق الطير في يوم الأربعاء وخلق آدم في ستة ساعات من يوم الجمعة ففي هذه الستة أيام خلق الله السموات والأرض وما بينهما[١].

ومن التفسير بسنده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث كان عرشه على الماء والماء على الهواء والهواء لا يحد ولم يكن يومئذ غيرهما والماء يومئذ فرات فلما أراد ان يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً ثم ازبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد دحا الأرض من تحته فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد ان يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزبدت بها فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء فجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب وكانتا مرتوقتين ليس لها أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات[٢] الخبر.

ومنه في تفسير ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية قال في ستة أوقات ثم استوى على العرش أي علا على العرش. ومن العيون بسنده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال كان علي عليه السلام في جامع الكوفة إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال أخبرني عن أول ما خلق الله قال خلق

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم ١/ ٣٢٢.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم ٢/ ٧٠.

النور قال فمم خلقت السماوات قال من بخار الماء قال فمم خلقت الأرض قال من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الأمواج[١].

ومنه بسنده عن أبي الصلت الهروي قال سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧] الآية فقال ان الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم انه على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات السبع ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه وكان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فتستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة [٢] الخبر.

ومن قصص الراوندي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ان الله لما خلق الأرضين خلقها قبل السموات[٣].

وفي رواية خلق الأرض قبل السماء ثم استوى على العرش لتدبير الأمور[٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين ١/ ١٤٨.
(٢) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٢٣.
(٣) بحار الأنوار ٥٤/ ٨٥ ح٦٧.
(٤) بحار الأنوار ٥٤/ ٨٥.

ومن العياشي عن عيسى بن أبي حمزة قال قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك ان الناس يزعمون ان الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون ان الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام ثم بدأ لله بداء فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ولا من الملائكة ولا من الانس وقدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها فدمر الله عليهم تدميراً ثم تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها الجن وقدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] كما سفكت بنو الجان فأهلكهم الله ثم بدا لله فخلق آدم وقرر له عشرة آلاف وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام ومائتان وأنتم في آخر الزمان[١].

ومن تفسير الإمام الباقر عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عزوجل ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] ان الله عزوجل لما خلق الماء فجعل عرشه عليه فقبل ان يخلق السموات والأرض وذلك قوله عزوجل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] يعني كان عرشه على الماء قبل ان يخلق السموات والأرض فأرسل الله الرياح على الماء ففجر البحر الماء من أمواجه فارتفع عنه الدخان وعلا فوق الزبد فخلق من دخانه السموات السبع فخلق من زبده الأرضين السبع فبسط الأرض على الماء وجعل الماء على الصفا والصفا على الحوت والحوت على الثور والثور على الصخرة التي ذكرها لقمان لابنه فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ

(١) تفسير العياشي ١/ ٣١.

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦] والصخرة على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله[1].

وعن العياشي عن محمد بن عمران العجلي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] قال كانت مهاة بيضاء يعني درة[2].

ومن تنبيه الخواطر لورام عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ان الله أول ما خلق الخلق خلق نوراً ابتدعه من غير شيء ثم خلق منه ظلمة وكان قديراً ان يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتة غلظة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماءً مرتعداً ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء الخبر[3].

ومن تفسير فرات بسنده عن علي عليه السلام ما ملخصه قال عليه السلام كان عرشه على الماء ثم بدا له ان يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله فبنى بها سماء رتقاء ثم دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار ثم فتقها بالبنيان وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة ثم استوى إلى

(١) بحار الأنوار ٥٤/ ٨٧ح ٧٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٤/ ٨٩ ح٧٦.
(٣) تنبيه الخواطر، ٢/ ٥، بحار الأنوار ٥٤/ ٩٠ ح ٧٨.

السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي انشأ من تلك البحور فجعلها سبعاً طباقاً ثم خلق الشمس والقمر فجعلهما شمسين فبعث جبرئيل عليه السلام إلى إحدى الشمسين فمسح بها جناحه فاذهب منها الشعاع والنور وترك فيها الضوء وجعلهما يجريان في الفلك والفلك بحر فيما بين السماء والأرض مستطيل في السماء استطالته ثلاثة فراسخ يجري في غمرة الشمس والقمر كل واحد منهما على عجلة يقودهما ثلاثمائة ملك بيد كل ملك منها عروة يجرونها في غمرة ذلك البحر لو برز واحد منهما من غمر ذلك البحر لأحرق كل شيء على وجه الأرض حتى الجبال والصخور وما خلق الله من شيء الخبر(١).

ومن الكافي بسنده عن داود الرقي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] فقال ما يقولون قلت يقولون ان العرش كان على الماء والرب فوقه فقال كذبوا من زعم هذا فقد صير الله محمولاً إلى ان قل ان الله حمل دينه وعلمه الماء قبل ان تكون أرض أو سماء أو جن أو انس أو شمس أو قمر الخبر(٢).

ومنه حديث عن أبي جعفر عليه السلام كان ذا لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثم طواها

---

(١) تفسير فرات ٦٥، بحار الأنوار ٥٤/ ٩٠ ح ٧٩.
(٢) الكافي ١/ ١٣٢، بحار الأنوار ٥٤ / ٩٥ح ٨٠.

فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله ان يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا نقب وذلك قوله ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩] قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثم طواها فوضع فوق الأرض ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عز ذكره ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] يقول بسطها فقال له الشامي يا أبا جعفر قول الله عز وجل ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الأنبياء: ٣٠] الآية فقال له أبو جعفر فلعلك تزعم انهما كانتا رتقاً مرتوقتين ففتقت إحداهما عن الأخرى فقال نعم فقال أبو جعفر عليه السلام استغفر ربك فإن قول الله عز وجل كانتا رتقاً يقول كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحب فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كل دابة ففتق السماء بالمطر والأرض بالحب الخبر[1].

ومنه بسنده عن محمد بن مسلم قال قال لي أبو جعفر عليه السلام كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر الله جل وعز الماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السموات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد[2].

ومنه بسنده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال ان الله عز وجل خلق الجنة قبل ان يخلق النار وخلق الطاعة قبل ان يخلق المعصية وخلق الرحمة قبل الغضب وخلق الخير قبل الشر وخلق

---

(١) الكافي ٨/ ٩٤، بحار الأنوار ٥٤/ ٩٧ ح ٨١.
(٢) بحار الأنوار ٥٤/ ٩٧ ح ٨١.

الأرض قبل السماء وخلق الحياة قبل الموت وخلق الشمس قبل القمر وخلق النور قبل ان يخلق الظلمة[١].

ومن الاختصاص قال يونس بن عبد الرحمن يوماً لموسى بن جعفر عليه السلام أين كان ربك حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية قال كان نوراً في نور ونوراً على نور خلق من ذلك النور ماءً منكدراً فخلق من ذلك الماء ظلمة فكان عرشه على تلك الظلمة قال إنما سألتك عن المكان قال كلما قلت أين فأين هو المكان قال وصفت فأجدت إنما سألتك عن المكان الموجود المعروف قال كان في علمه لعلمه فقصر علم العلماء عند علمه قال إنما سألتك عن المكان قال يا لكع أليس قد اجبتك انه كان في علمه لعلمه فقصر علم العلماء عند علمه[٢].

ومن المحتضر في حديث عن علي عليه السلام حيث سأله السائل فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء قبل ان يخلق الأرض والسماء قال أتحسن ان تحسب قال نعم قال لعلك لا تحسن قال بلى اني لاحسن ان احسب قال علي عليه السلام أفرأيت لو صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ثم إذن لمثلك على ضعفك ان تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب ثم مد في عمرك واعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل ان يخلق الأرض والسماء وإنما وصفت لك بعض عشر عشير العشير من جزء من مائة ألف واستغفر الله من

(١) الكافي ٨/ ١٤٥، بحار الأنوار ٥٤/ ٩٨ح ٨٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٤/ ١٠١ ح ٨٥.

القليل في التحديد قال فحرك الرجل رأسه وشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله ﷺ [١].

وفي إرشاد المصلين عن جامع الأخبار عن النبي ﷺ قال ان موسى بن عمران سأل ربه عزّوجلّ ان يعرفه بدو الدنيا منذ كم فأوحى الله إلى موسى عليه السلام تسألني عن غوامض علمي فقال موسى يا رب أحب أن أعلم ذلك فقال الله يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرات وكانت خراباً خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام ثم خلقت فيها خلقاً على مثل البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام ثم أمتهم كلهم في ساعة واحدة ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام لا شيء مجاجاً في الدنيا ليشرب ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك لبحر فشربته بنفس واحد ثم خلقت خلقاً أصغر من الزنبور وأكبر من البق فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلذعها فقتلها فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام بدأت في عمارتها فمكثت الدنيا خمسين ألف سنة ثم خلقت الدنيا كلها آجام القصب وخلقت فيها السلاحف وسلطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق فيها شيء ثم أهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت في الدنيا ثلثين آدم بثلثين ألف سنة من آدم إلى آدم ألف سنة فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري ثم خلقت فيها خمسين ألف ألف مدينة من الفضة البيضاء وخلقت في كل مدينة مائة

---

(١) المحتضر ص ٨٩.

ألف ألف قصر من الذهب الأحمر فملأت المدن خردلاً عند الهواء والخردل يومئذٍ ألذ من الشهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج ثم خلقت طيراً واحداً اعمى وجعلت طعاماً له في كل سنة حبة من الخردل يأكلها حتى فنيت ثم خربتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة في خمسين ألف عام ثم خلقت أباك بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم اخلق من الطين غيره وأخرجت من صلبه النبي محمد ﷺ [١].

ومن كتاب بحار الأنوار عن علي عليه السلام في حديث طويل بعد خلق محمد ﷺ ثم خلق من نور محمد ﷺ جوهرة وقسمها فنظر إلى القسم بعين الهيبة فصار ماءً عذباً ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح وخلق من نور اللوح القلم إلى ان قل ثم نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت فخلق من دخانه السموات ومن زبدها الأرضين الخبر[٢].

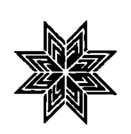
ومن كتاب أبي سعيد العصفري عن أبي جعفر عليه السلام خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام الخبر[٣].

ومن البحار عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام هل كان في الرض خلق من خلق الله يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريته ثم ساق الحديث إلى أن قال عليه السلام لما خلق الله الأرضين خلقها قبل

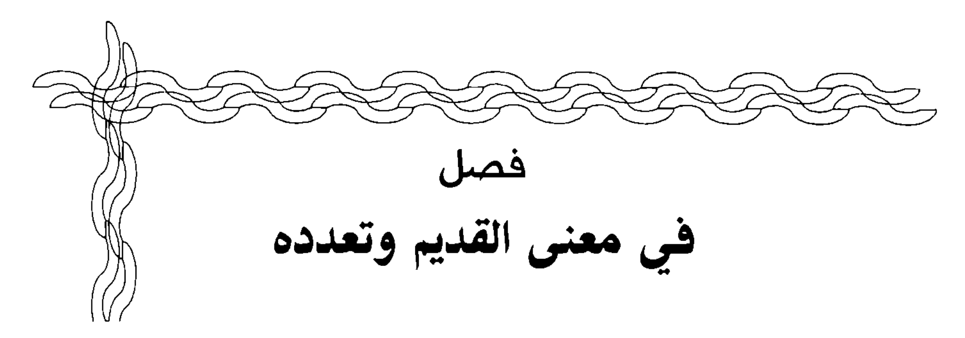
(١) بحار الأنوار ٥٤/ ٣٣١.
(٢) بحارالأنوار ٥٤/١٩٨ ح ١٤٥.
(٣) الأصول الستة عشر ص١٧.

السموات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم بين أطباق السموات إلى ان قل ثم خلق في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم ان يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين طباق الأرضين السبع وفوقهن إلى ان قال ثم خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم وليسوا بانس وأسكنهم أوساط الأرض إلى ان قل ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس يدبون كما يدب الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما يأكل الأنعام من مراع الأرض كلهم ذكران إلى ان قال ثم أراد الله ان يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر لهم مدينة انشأها لهم تسمى جابرسا إلى ان قال وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة وانشأها تسمى جابلقا إلى ان قال فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس إلى ان ذكر بعدها خلق آدم عليه السلام انتهى[1].

أقول هذا بعض ما وصل إليّ من الأخبار ذكرتها لأنها وردت بألفاظ مختلفة وفي كل واحد إشارة إلى جزء من المطلب وسينشرح لك تفسيرها فيما بعد ان شاء الله.



(١) بحار الأنوار ٥٤/ ٣٢٢ح ٥.



فصل
في معنى القديم وتعدده

قد أطنب الحكماء والعلماء في قدم العالم وحدوثه أو قدم هيولاه وحدوث صورها وحدوثها الزماني والذاتي وغير ذلك وأكثرهم خابطون خبط عشواء لا يدري أحدهم ما يدعي ولماذا يرد وعلى ماذا يرد لما قدمنا آنفاً في أول هذا المقصد ولو رجعوا إلى أصول وضعها آل محمد عليهم السلام وفرعوا عليها الفروع لاستقاموا ولكنهم لم ينتبهوا بذلك وغفلوا لوجوه يطول ذكرها فبعد ما أيقظنا الله سبحانه عن رقدة الغفلة يجب علينا اتباع آثار آل محمد عليهم السلام سواء طابق الأقوال أم خالف وسواء طابق اتفاق آرائهم أم خالف فإن ما صدر عن آل محمد عليهم السلام بالضرورة هو الحق لا ما فهمه القوم منه فاستمع لما يتلى عليك ببركاتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعلم ان الله سبحانه هو القديم الذي ليس له وقت ممتد ولا مكان ممهد إذ هو موقت الوقت ومؤين الأين فليس له سبحانه امتدادات ماضية ولا آنات آتية ولا حالة بين الحالتين موجودة وليس معنى قدمه انه كان فيما مضى أزلاً ويكون فيما سيأتي أبداً فإن ما مضى وما سيأتي من خلقه وهو موجود الماضي والمستقبل والحال فلا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود فيه ما هو أبداه، بل معنى قدمه انه قائم بنفسه لنفسه غني عما سواه ليس على وجوده سابق ولا له بعده لاحق ولا معه شيء

مساوق بل هو ذات مستقلة قائمة بنفسها لا وقت ولا مكان إذ هما من الحوادث وهو محدث فلم أزد في نعته على انه ذات صرفة أحدية كمال توحيدها نفي الصفات والحدود والنهايات عنها، وهو كان إذ لا شيء سواه من ذوات الحوادث وصفاتها وجواهرها وأعراضها وهيولاها وصورها، ولم يكن يمر عليه سبحانه قبل احداثها أوقات متطاولة كان فيها منفرداً ثم خلق الخلق فصار معه موجوداً نعوذ بالله بل هو كما كان ولم يكن معه شيء كذلك يكون أبداً وليس معه شيء إذ الخلق لا يكون مع الخالق ولكن الخالق جل شأنه هو مع خلقه بلا نهاية كما قال: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وإنما صار هو معهم لعدم تناهيه ولم يكونوا معه لامتناعهم معه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً فإذا كان جل جلاله منفرداً بأحديته ويكون لم تتغير حالاته كالحوادث فينفرد عن غيره ويجتمع مع غيره بل هو أبداً منفرد متوحد ولم يمر عليه أوقات في الانفراد ثم تنقضي أيام انفراده فيخلق الخلق وكذلك جميع ما سواه خلقه لأن ما لم يكن قائماً بنفسه يكون قائماً بغيره وكل ما سوى الغني فقير البتة ولذا قال الرضا عليه السلام وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما فكل ما سواه من شهادي أو غيبي جسماني أو روحاني خارجي أو ذهني واقعي أو اعتباري محقق أو فرضي وكل ما يعبر عنه بشيء خلقه كما.

روى كل ما عبرته الالسن أو عملته الأيدي فهو مخلوق ما خلا الله[١].

---

(١) الكافي ١/ ١١٣.

وروى إنما سمى الشيء شيئاً لأنه مشاء[١].

فكل ما يطلق عليه لفظ الشيء ويمكن ان يشار إليه بحس ظاهر أو باطن وعقل فهو غيره وخلقه ومن لم يقر بذلك فقد ادعى وجود القدماء وبطلأنه من الظهور بمحل.

بالجملة كل ما هو غير الليس المحض والامتناع الصرف مما سوى الواجب الأحد جل شأنه مخلوق احدثه الله سبحانه لا من شيء فإذا ليس بينه سبحانه وبين جميع ما سواه فصل ولا وصل اما الفصل فإنه ان كان ممتنعاً فليس وان كان ممكناً فايس وهو من الخلق والكلام فيما سوى الواجب جل شأنه واما الوصل فإن الخلق لا يصل إلى الواجب ولا يشاكله فيتصل به ويرتبط تعالى عن ذلك علواً كبيراً فلم يسبق ما سوى الله سبحانه شيء من وقت أو مكان محقق أو موهوم فليس الخلق بمسبوق بالعدم كما ظنه الجهال فإن العدم ان كان ممتنعاً ليس بسابق ولا نريد من عدم السابق إلا هذا وان كان ممكناً فهو من الخلف ولا يقال ان الذات عدم خلقها فإن عدم الخلق معنى نسبي وفيه ذكر المنسوب إليه والله سبحانه ليس فيه ذكر غيره وليس من المعاني فإذا الخلق ليس بمسبوق بالعدم يقيناً.

هذا وقد حققنا في محله انه لو كان مسبوقاً بالعدم لامتنع حدوثه فإن الذات لا تتغير عما كانت وما سواها معدوم ولا اقتضاء للمعدوم هذا

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الغدير والجمعة: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نزعت عن إخلاص الطوى ونطق اللسان بها عبارة عن صدق خفي أنه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ليس كمثله شيء إذ كان الشيء من مشيئته فكان لا يشبهه مكونه، (مصباح المتهجد ص ٧٥٢).

والخلق كمال الخالق ونوره واسماؤه وصفاته ولم يكن الخالق بلا كمال ونور واسم وصفة فإذا عرفت ذلك وتبينت ما هناك فاعرف ان الخلق من حيث المجموع في محله ثابت دائم إلا انه مقرون بوقت ومكان ألا ترى ان من الخلق اسماء الله وصفاته وعلمه ونوره ولم يكن الله سبحانه بلا صفة وعلم ونور البتة ومنه مشيئته سبحانه وإرادته ولم يكن الله سبحانه بلا مشيئة في محلها ولا يلزم من ذلك قدم الخالق فإني قلت انه فقير قائم بأمر الله إلا انه لم يسبقه عدم والله الذي لم يسبقه عدم ولا أول له ولا آخر يقدر ان يخلق خلقاً ثابتاً مستمراً في مكان وجوده ووقت شهوده فالخلق فقير إليه سبحانه لأنه قائم بأمره أبداً بلا نهاية لأوله ولا غاية لآخره.

وهذا المراد من الدعاء: الله يا ذا الملك المتأيد بالخلود[١].

وفي الدعاء عن النبي ﷺ اللهم اني أسألك بملكك القديم الدعاء[٢].

وفي الزيارة السلام على الأصل القديم[٣].

وهو من خلق الله وليس بقديم قائم بنفسه لنفسه البتة.

وفي خطبة الغدير والجمعة لعلي عليه السلام في صفة محمد ﷺ انتجبه في القدم على سائر الأمم[٤].

---

(١) من دعاء زين العابدين عليه السلام بعد صلاة الليل (مفتاح الفلاح ص ٢٦٩).
(٢) مصباح المتهجد ص ٧٥.
(٣) بحارالأنوار ٩٧/ ٣٠٥.
(٤) مصباح المتهجد ص ٧٥٢.

وفي بعض الخطب أنا صاحب الأزلية الأولية[١].

وفي اخرى كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين[٢].

وفي الدعاء اللهم ببرك القديم [٣].

وهو قوله سبحانه: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

بالجملة الثبات في محل الخلق غير معنى القدم وكل ما هو غير القديم حادث ولكن جميع ما سوى الله حادث بالذات وحادث سرمدي بمعنى الفقير بالذات إلى أمر الله سبحانه والقيام به ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥].

وفي الدعاء كل شيء سواك قائم بأمرك.

بالجملة جميع ما سوى الله حادث ذاتي لم يسبقه عدم البتة فلم يأت في حده وقت لم يكن هو موجوداً بإيجاد الله سبحانه ومع ذلك لم يكن مستغنياً عن إيجاد الله سبحانه فإنه ليس بموجود مستقل بنفسه بل المراد ان إيجاد الله سبحانه عليه مستمر بلا أول ولا آخر وأنت محدود وتعجز عن إدراك حدوث مثل ذلك ولكن الله سبحانه فوق ما لا نهاية له بما لا نهاية له ويقدر ان يحدث ما لا نهاية له ففي هذا النظر لا يعقل ان يكون شيء ثم يكون وهو عرصة علمه سبحانه الذي لا يزيده ولا ينقص ولا يصل ربي ولا ينسى وهو اللوح المحفوظ عنده سبحانه الذي لا يحيط به احداً إلا بما شاء.

---

(١) مشارق أنوار اليقين الخطبة التطنجية.

(٢) مشارق أنوار اليقين خطبة الاقاليم.

(٣) مصباح المتهجد ص ٧٥.

وهذا الذي يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء فيظهر منه البداء والبداء أيضاً منه وهذه عرصة السرمد والواجدية والاشياء مذكورة هناك بالنفي موجودة بالوحدة لم يشذ عنها شاذ ذاتاً وصفة كوناً وعيناً وهو المن القديم المذكور.

وفي الدعاء اللهم إني أسألك من منّك بأقدمه وكل منّك قديم[١].

ومنّ الله غير الله وقد اثبت له القدم وهو البر القديم المذكور في الدعاء ولا شك أن لا قائم بالنفس غير الله سبحانه فهذا هو القديم الخلقي الذي لا أول له ولا آخر وهو محتاج فقير إلى القديم القائم بنفسه الغني عما سواه والقدم الممنوع إثباته لغير الله عقلاً ونقلاً الاستقلال والغنى عن غيره.

بالجملة إن جميع ما سوى الله سبحانه سرمدي حادث ذاتي فقير ذاتي إلى الله سبحانه ممكن يرى واجب ووجود من غيره لا من نفسه ولكنه مع ذلك ليس بمسبوق بالعدم وليس معنى الحادث منحصراً في المسبوق بالعدم وليس كلمات الأئمة عليهم السلام الجارية في المطالب الغامضة الحكمية جارية على متفاهم العوام وقد اخطأ من زعم ذلك ويكذبه هذه الخطب المشكلة والأحاديث الغامضة واستفاضة إن حديثهم صعب مستصعب عنهم صلوات الله عليهم هيهات وكلام كل متكلم دليل علمه وهذا الظن يبطل أسرارهم وينفي صعوبة كلامهم.

ثم إذا قطعت النظر عن الجملة ونظرت إلى مراتب الخلق فإن نظرت إلى الذوات المتعالية على الصفات فهي دهرية وان نظرت إلى الصفات المتدانية عن الذوات فهي زمانية فالذوات الدهرية بجملتها قديمة دهرية

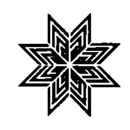
---

(١) مصباح المتهجد ص ٧٦١ دعاء السحر وقد شرحه المصنف مفصلاً.

أي مخلوقة مع الدهر ولا دهر قبلها فتخلق فيه فهي والدهر حادثان لا يسبق إحداهما الأخرى ولم يأت وقت دهري لم يكن ذات ولكنها حادثة سرمدية يعني أتى وقت سرمدي لم يكن ذات فهي مسبوقة بعدم سرمدي إذ السرمد نفيها ولكن لم يسبقها دهري وهذا هو معنى القديم الدهري فجميع الذوات الدهرية في كل الدهور ثابتة في محالها وتدرجات الدهريات طولية أي من الأسفل إلى الأعلى بالاستمداد والامداد وليس لها تدرجات عرضية وليس فيها ماض ومستقبل وحال كالزمانيات فالسرمد عرضاً وطولاً بالفعل والدهر عرضاً بالفعل وطولاً بالقوة اما الزمان فهو عرضاً وطولاً بالقوة وليس منه بالفعل إلا الحال ومجموع الزمان والزمانيات حادث دهري وقديم زماني لأنه لم يكن زمان للزمان ولم يكن الزمانيات بأجمعها موجودة وإنما خلقت الزمانيات مع الزمان نعم أتى وقت دهري لم يكن زمان وزماني ولكن لم يأت زمان كذا واما أجزاء العالم الزماني فهي حادثة زمانية وكل جزء منها مسبوق بعدم وقد أتى لكل جزء زمان لم يكن هو فيه بموجود ولكن العلماء الظاهريين ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] والحكماء الكاملون ان عبروا عما سوى الزمانيات بالقدم فإنما أرادوا ذلك وكفرهم العلماء من حيث لا يشعرون وهم أجل من أن يسموا المخلوق المركب المؤلف بالقديم على معنى القائم بالنفس للنفس ولكن العلماء معذورون لأنهم لا يعرفون.

بالجملة لم يأت زمان محقق ولا موهوم لم يكن العالم الجسماني بأجمعه موجوداً ولم يكن فراغ خلو من العرش فما فيه يخلق فيه الأجسام ولم يكن امتداد قديم وليس الجسم بجسم فخلق في آخر جزء منه الجسم وهذه الأمور أمور يلوكها الظاهري بين لهواته من غير شعور

ويزعمه الإخلاص في متابعة أهل العصمة سلام الله عليهم اجمعين فجميع الزمانيات في محالها والدهريات في محالها والسرمديات في محالها أنوار ثابتة وكمالات دائمة مخلوقة لله سبحانه بأمر لا بداية له ولا نهاية فتعالى الذي يخلق الدائم الباقي الذي لا بداية له ولا نهاية وهو الواسع الاحدي العليم فإذا لا بد لنا من النظر في ان هذه الأمور المذكورة في الأخبار من الأحداث والتدرجات أحداث وتدرج ذاتي دهري أو زماني وأيها يطابق الأصول الملقاة عنهم اليقينية وأيها لا يطابق وأيها المراد منها الظاهر وأيها المراد منها التأويل فلنعنون لذلك فصلاً آخر.





فصل
حدوث المواليد

إذا تدبرت في هذا العالم وجدت فيه أفلاكاً وعناصر ومواليد بينهما أما المواليد فيشهد بأنها حوادث زمانية كل واحد منها لم يكن في زمان وكان في زمان فكل واحد منها مسبوق بالعدم بلا شك ومجموعها أيضاً متناهية ينتهي إلى أول ومبدأ له لم يكن قبله من ذلك الجنس شيء، وليس كما زعمه الدهرية ان قبل كل طير بيض وقبل كل بيض طير وقبل كل نبت حب وقبل كل حب نبت وهكذا بل لكل نوع من أنواع المواليد مبدأ لم يكن قبله من ذلك النوع شيء وذلك لأجل دليل استدل به النبي ﷺ على الدهرية الذي حاصله أنها معدودة وكل معدود متنقص وكل متنقص متناه ولا يقبل العقل السليم ان يكون آخر معدود قد يكون عندنا ولم يكن تناه لأوله فهذا الدليل الذي لا ينقض ينتهي جميع الاناسي إلى آدم لم يكن قبله إنسان وجميع الحيوانات إلى مبادئ أنواعها وجميع النباتات إلى مبادئ أنواعها وجميع الجمادات إلى مبادئ أنواعها فقد كان زمان البتة كانت العناصر والأفلاك موجودة وليس بينهما شيء من المواليد قطعاً ويشهد بذلك الأخبار وصحيح الاعتبار.

واما هذه العناصر الموجودة المرئية والأفلاك المرئية فإنها أيضاً حادثة في الزمان يعني كان الزمان لم يكن التراب هكذا أو الماء هكذا والهواء هكذا والنار والأفلاك هكذا فإن هذه العناصر مركبة من عناصر

بسيطة بالنسبة والأفلاك مركبة من أفلاك بسيطة بالنسبة وشاهد ذلك إستحالة كل عنصر إلى كل عنصر وحدوث تراب وماء وهواء ونار كالبواقي لم تكن في زمان ثم كانت في زمان وانقلابها إلى المواليد ثم عودها إليها بالبداهة وعمل كل عنصر في كل عنصر واستخراج كل عنصر من كل عنصر واما الأفلاك فقد تغير مزاج كل واحد بعمل كل واحد غيره فيه وسيأتي تحقيق ذلك في محله ان شاء الله.

فكما ان التراب هذا مركب من جميع العناصر، فالفلك الواحد أيضاً مركب من طبائع سائر الأفلاك والقول بأن الأفلاك لا تتغير كلام باطل وعن حلية الاعتبار عاطل، بل الفلك البارد يبرد سائر الأفلاك والحار يسخنها واليابس يجففها والرطب يرطبها، والقول بأن الأفلاك لا طبائع لها كلام باطل لا أصل له وإنما هي لا طبائع لها من جنس الطبائع العنصرية وإنما طبائع جوهرية وهي مركبة منها وتتغير وتتبدل وتبطئ ومن انكر ذلك منها فقد انكر أخبار آل محمد عليهم السلام.

بالجملة الأفلاك يؤثر بعضها في بعض وسبب اختلاف حدوث الحوادث المختلفة الجديدة اختلاف طبائع يحدث فيها بسبب اختلاف القرانات كما يأتي إن شاء الله.

بالجملة نحن نشاهد عياناً في العناصر استحالتها إلى المواليد وفنائها في زمان وما يفنى في زمان فكونه في زمان وآخر مدة كونه عندنا فله بدء كون في زمان لم يكن قبله، وما لم نشاهد له بدء كون وفناء كون فيكفي مشاكلته لما هو كذلك وإمكان فنائه في زمان فإن القديم الزماني لا يمكن تعقل فناء كونه في زمان فإن القديم الزماني هو الجسم المساوق للزمان وبفنائه يفنى الزمان وبوجوده وجد الزمان لأنه امتداد كونه المقدر بمكاييل الزمان.

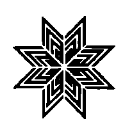
بالجملة هذه العناصر وهذه الأفلاك الموجودة مركبات من جنس المواليد وسائر الجمادات وهي مسبوقة بعناصر جديدة بسيطة فكان ولا شيء من هذه العناصر والأفلاك وعليه اتفاق آثار آل محمد عليهم السلام وأدلتهم وبراهينهم المتواترة والآيات المتضافرة وقد بلغت حداً من أنكرها فقد كذب الله فوق عرشه.

انظر إلى ما روي من تفسير العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال احتج رسول الله صلى الله عليه وآله على الدهرية فقال ما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال إلى ان قال أولستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر فقالوا نعم فقال أوترونهما لم يزالا ولا يزالان فقالوا نعم فقال أفيجوز لكم اجتماع الليل والنهار فقالوا لا فقال عليه السلام فإذن ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده قالوا كذلك هو فقال قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار لم تشاهدوهما فلا تنكروا الله قدرة ثم قال عليه السلام أتقولون ان ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه فإن قلتم غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله وإن قلتم انه متناه فقد كان ولا شيء منهما قالوا نعم قال لهم أقلتم إن العالم قديم ليس بمحدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه قالوا نعم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فهذا الذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض يفتقر لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به كما ترى البناء محتاجاً بعض اجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما ترون قال فإن كان هذا المحتاج بعض إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني ان لو كان محدثاً كيف كان يكون وماذا كانت تكون صفته قال فبهتوا وعلموا

انهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا انه قديم فوجموا وقالوا سننظر في أمرنا الخبر[١].

انظر رحمك الله في هذا الخبر وكيفية استدلاله ﷺ ولا تكن كالجهلة الذين يظنون أخبار آل محمد عليهم السلام نقلية وكلام الجهال المنتحلين عقلية.

فتبين وظهر ان كل شيء آخره عندك وقد انقطع ويأتي بعده ازمان وهو مفقود فهو لأوله بدء لم يكن قبله بموجود وأنت تشاهد ان هذه العناصر تستحيل وتفنى ويأتي بعدها الزمان وهي مفقودة فلا بد وان يكون لها بدء لم تكن قبله بشيء وكذلك أمر السموات فإن كل مشاكل يعين مشاكله منها وكل مضاد يبطل اثر ضده منها وهي أجسام كالأجسام السفلية مصاقعة معها فهي أيضاً مثلها هذا والأيام والشهور والسنون تكميل أوقاتها وكل مكيل يزيد وينقص وكل ما يزيد وينقص متناه وكل متناه له طرفان فهذا العالم المشهود حادث كما نص عليه الكتاب وأخبار الأطياب عليه صلوات الله الملك الوهاب.



(١) الاحتجاج ١/١٠٩، بحار الأنوار ٥٤/٦٨ ح٤٥.



فصل
في الجسم والمكان والزمان

اعلم ان الجسم هو جوهر محدود بالحدود الكثيفة المعروفة مطلقه محدود بمطلقاتها أي الكيف والكم والجهة والرتبة والوقت والمكان لمطلقه ومقيده محدود بحدود خاصة كالكيف الخاص والكم الخاص والجهة والرتبة والوقت والمكان الخاصة وتلك الحدود لازمة للجسم.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام كل ما بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه[١].

فهي مساوقة للجسم لا وجود لها بدون الجسم ولا وجود للجسم بدونها فلا يسبقها الجسم فيكون موجوداً بدونها ولا تسبق الجسم فتكون موجودة بدونه فهما مساوقان في الوجود وان كان الجسم معروض هذه الكيفيات ويكون تحققها به وظهوره بها فإذا وجد الجسم وجد الزمان والمكان معه وان لم يوجد لم يوجدا بوجه.

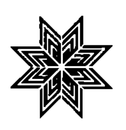
فالزمان الموهوم قبل وجود الأجسام كلام لا معنى له والتوهم المخالف للخارج باطل والزمان الخارجي وقت الجسم تابع له مساوق معه لا يتخلف أحدهما عن الآخر فالزمان والمكان المطلقان لازمان

(١) من خطبة الدرة اليتيمة أوردها الشيخ أحمد الاحسائي في كشكوله.

للجسم المطلق والزمان والمكان الخاصان لازمان للجسم المقيد وذلك ان الزمان هو امتداد كينونة الجسم والأيام والسنون مكاييلها كما روي عن الصادق عليه السلام في حديث مفضل بن عمر رحمه الله[1].

والمكان الذاتي هو بعد امكاني هو شاغله أي هو حصة من الإمكان قد حل عليها ما به يسمى الجسم جسماً وذلك البعد لا يفارقه ولا يمكن خروجه عنه إلى غيره وحلول غيره فيه كخروج شيء عن شيء ودخول شيء في شيء فالجسم المطلق مكانه إطلاقي وزمانه إطلاقي والجسم المقيد مكانه مقيد وزمانه مقيد.

تدبر فيما قلت تعرف الرجال بالمقال فنحن وان لم نذكر أقوال الناس يتبين للحكيم مقدار كلامنا وفضله على كلماتهم وبطلانهم وحقيقته فتدبر فيه وتفهم.



(١) توحيد المفضل بن عمر بحار الأنوار ٣/ ٨٧.



فصل
وجود المطلق وتمثلاته

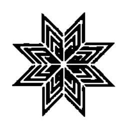
اعلم ان المطلق موجود في الخارج ولكن لا متعرياً عن التمثل بالمقيدات فهو يلزمه دائماً نعم يتقدم المطلق على المقيد تقدماً دهرياً فهو مهيمن عليها مستعل عليها متقدم عليها تقدم الاستعلاء لا تقدماً زمانياً والتقدم الدهري الاستعلائي ليس باستعلاء مكاني مباين مفارق كاستعلاء السماء على الأرض بل هو استعلاء ذاتي وهو أقرب إلى المقيدات من أنفسها داخل فيها لا بمقارنة وخارج عنها لا بمباينة فهو داخل فيها لا كدخول مقيد في مقيد وخارج عنها لا كخروج مقيد عن مقيد بل هو داخل بالنفوذ والطي والإحاطة وخارج عنها بالتوحد والتفرد والتنزه عن كثرتها.

فالمطلق وجوده التمثلي نفس المقيدات فهو موجود بالوجود التمثلي بها فلا وجود له بغيرها وهي مساوقة معه في الوجود إلا انها زمانية وهو دهري فإن تكن المقيدات موجودة في رتبتها كان موجوداً في رتبته وان لم تكن لم يكن وكذا ان كان موجوداً في رتبته كانت موجودة في رتبتها وان لم يكن لم تكن فليس في الخارج إلا هي فإن نظرت إليها قاطعاً للنظر عن الخصوصيات فليس إلا المطلق وان نظرت إليها بعين الخصوصيات وتباين واحد عن الآخر فليس إلا المقيدات.

فإذاً لا موجود في هذا العالم إلا الجسم ولا موجود السموات

والأرض وما بينهما وتفصيل ذلك يطلب من سائر كتبنا وقد حققناه في سائر مباحثاتنا[١].

فإذا هذه السموات والأرض وجود الجسم في الخارج وتمثله ان وجد فهكذا يوجد وان لم يوجد فلا مطلق ولا مقيد فلو لم يكن في الدنيا فرد من أفراد الماء أبداً لم يكن ماء مطلق في الدهر معين ممتاز عن التراب بل يكون في قوة الجسم بلا فعلية فإذا وجد قطرة ماء وجد الماء المطلق وخرج عن قوة الجسم إلى الفعلية ففعلية الجسم في أفراده ووجوده وتمثله فيها فكذلك إذا صعدت صاعداً وحسبت الجسم فرداً من أفراد الوجود كالعقل والروح والنفس وغيرها فلا وجود مطلقاً إلا في هذه الأفراد فبذلك ينتهي الأمر إلى ان المطلق الأول لا تمثل له إلا في مطلقات دونه ولا تتمثل لها إلا بمطلقات ثالثة ولا تمثل لها إلا بمطلقات رابعة وهكذا إلى ان ينتهي الأمر إلى الأفراد الجزئية المشهودة فجميع ما دخل عرصة الوجود هو تمثل المطلق الأول ووجوده الخارجي ان كان كانت وان لم يكن لم يكن وان كانت كان وان لم تكن لم يكن وهذه كلية سديدة وباب من أبواب العلوم.



(١) ينظر كتابه الفصول طبع ضمن مجموعة الرسائل العشرة.



فصل
في تعدد الموجود

اعلم ان الموجود حق وخلق لا ثالث غيرهما ولا ثالث بينهما فالحق أحد ازلي لا يثنى ولا يغير ولا يحدث فيه حادث والخلق حادث قائم بأمره سبحانه إلا انه حادث بالذات ولم يكن ان لم يكن إذ لو فرض عدمه لزم امتناعه لعدم تغير الذات عما لو كانت عليه وعدم حدوث مقتض فيها وعدم داع باعث إلى الإيجاد فبذلك يكون الخلق ثابتاً في مقامه بأحداث من الله سبحانه ثابت دائم وذلك قوله عليه السلام في الدعاء الله يا ذا الملك المتأبد بالخلود وقوله في الزيارة السلام على الأصل القديم والفرع الكريم وقوله في الخطبة انتجبه في القدم على سائر الامم وفي الخطبة كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين وفي الخطبة أنا صاحب الأزلية الأولية[1] الى غير ذلك من الاشارات المحجوبة عن الاغيار الشاهد لها صحيح الاعتبار.

فالملك في مقامه ملك دائم ثابت مخلوق بأمر الله الدائم الثابت ففي الخطبة لم يكن خلواً من ملكه قبل انشائه ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه والمراد بالقبل هو القبل الذاتي والقبل الخلقي من الملك كالبعد فأفهم.

---

(١) قد مر تخريج أغلب هذه الأخبار فراجع.

فإذا وجب ان يكون المطلق الأول موجوداً دائماً وجب ان يكون المطلقات دونه موجودة فإنها تمثله ولولاها لم يكن وكذا ما دونها من المطلقات إلى أن ينتهي الأمر إلى الأفراد الجزئية فإذا جميع عرصات الملك في محالها موجودة ثابتة إلا انه إذا قست صفة بصفة ينتزع عنها الزمان وان قستها بالذات ينتزع عنها الدهر وان نظرت إلى الذات فوقتها السرمد فالزمان والجسم والمكان في حدها ومقامها موجودة ثابتة لم يكن سرمد في محله ان لم تكن في محلها فعالم الزمان اجزاؤه بمقايسة بعضها إلى بعض حوادث زمانية وجميعها مع أزمنتها وأمكنتها حادثة دهرية وثابتة زمانية دائمة فلا يمكن ان يذهب الزمان قهقرى إلى ان ينقطع ولا يمكن ان يمر الزمان في المستقبل إلى ان ينقطع إذ لا يمكن ان لا يكون الجسم والزمان والمكان في محلها وليس معنى حدوثها انها لم تكن محلها ثم كانت نعم لم تكن في الدهر المستعلي عليها المساوق معها القائم فوقها نعم كل جزء من الزمانيات متأخر عن جزء سابق زماني متقدم على جزء لاحق زماني وليس معنى قولنا هذا ان قبل كل طير بيضاً وقبل كل بيض طيراً وقبل كل نبات حباً وقبل كل حب نباتاً وقبل كل ولد أبا وقبل كل اب أبا آخر وهكذا فإن هذه المواليد تنتهي إلى مبدء لها البتة وهذا الليل والنهار ينتهيان إلى مبدء بل هذه العناصر المركبة أيضاً تنتهي إلى أول لها فيسبق هذه الموجودات المولدة بسائط العالم البتة كما يشهد به صحيح الاعتبار والايات والاخبار.

واما البسائط فهي من عالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وعناصرها هي الاقليم الثامن المذكور في كلام العرفاء وهورقليا الذي معناه الملك الآخر وافلاكها هي عالم المثال الذي يأوي إليه الأرواح بعد فراقها

الدنيا ويبقى أبدانها في أرض عناصرها إلى ان تنتقي وتحيي في الرجعة وهي أرض عالم الرجعة وفيها جنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي ألطف من محدب العرش ويأتي تفصيله ان شاء الله.

فالبسائط البرزخية ليس لمددها مبدء زماني دنياوي ولكنها أيضاً مركبة من عناصر جوهرية دهرية ولها مبدء برزخي ومقطع برزخي يتحدد طرفاها به ومع ذلك للبرزخ بكرة وعشي كما قال الله سبحانه ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وقال: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] فالبرزخ لا يخلو من ليل ونهار ودوران أفلاك وأيام واسابيع وشهور وسنين فالليل والنهار الدنياويان يتناهيان إلى أول حدوث هذه الدنيا دار الاعراض وهو يوم هبوط آدم من الجنة ومن ذلك اليوم يحسب عمر الدنيا.

بالجملة عالم البرزخ والبسائط أيضاً يمتد إلى نفخة الصور فيموت من في السموات والأرض ويتفرق تركيبهم الروحاني والجسداني ويردون إلى الطبائع الجوهرية ويبدل الأرض بأرض خالية عن الأعراض البرزخية والسموات كذلك ويظهر السموات الاصلية الخالية عن الأعراض وارضوها ثم تجتمع الأبدان الاصلية المتطهرة عن الأعراض والأرواح المتطهرة وتلج فيها وتقوم إلى رب العالمين فتلك الأبدان والأرواح من عناصر جوهرية واجزاء ذاتية وهي متشاكلة متمازجة متحدة وليس تركيبها تركيباً اقترانياً ولا ملاطياً وتداخلياً تمازجياً بل اتحادياً خالداً لا يقبل التفكك وليس لاجزائها تقدم خارجي عليها بل هي وجدت حين وجدت مركبة وسبق الاجزاء عليها دهري يجدها النفس بالتوجه إلى كل واحدة بدون الأخرى إذ كل مركب لاجزائه استقلال ووجود خارجي تركيبه عرضي وليس بواحد

حقيقي بل واحد تأليفي عرضي واشياء لا شيء واحد ولتحقيق هذه المعاني مقام آخر وقد حققناها في الفطرة السليمة[١] وغيرها فراجع ان شئت والغرض هنا تحقيق أمر السموات والأرض الدنياوية.



(١) الفطرة السليمة ١/ ٢٩٣ مطبعة السعادة كرمان.



فصل
تفريق الأخبار بحسب المواليد

إعلم ان الدنيا لفظ يطلق على هذه الأعراض العنصرية والسماوية التي غطت البسائط فإن موضوع الأرض في اللغة والعرف هذه الأرض وموضوع الماء هذا الماء وهكذا موضوع كل لفظ هذا المعنى المعروف منه وقد عرفت ان هذه العناصر وهذه السموات حادثة ولها بدءٌ وان هذه الأيام والليالي التي تحدث من دوران هذه الأفلاك حادثة لها بدءٌ فهذه الأعراض قد عبر عنها بالزبد والدخان الذي هو مكلس الزبد ولطيفه وهذا الزبد قد حدث في ماء البسائط التي هي مادة هذه الكرات فتلك البسائط هي ماء مختلف الاجزاء غلائظه راسبة وهي العناصر ولطائفه طافية وهي الأفلاك وسميت بالماء لأنها رقيقة لطيفة سيالة وهي كانت تحت العرض وكان العرش عليها بلا نهاية زمانية كما يدل عليه خبر كون العرش على الماء وقد مر فراجع.

فدار ذلك العرش على ذلك الماء المختلف المراتب وحركه ومخضه مخض السقاء وضرب بعضه ببعض فتعاكست مراتبه وتفاعلت وأثر بعضه في بعض حتى حدث في كل واحد من اجزائه طبع كل واحد بالعرض فحصل فيها زبد صار غلائظه في العناصر ولطائفه التي هي الدخان في الأفلاك فخلق الله من الدخان الأفلاك العرضية ومن الزبد الغليظ الأرضين فمن الأخبار ما ينسبك على هذه الأرضين وهذه

السموات وهي التي خلقت في الأيام المعلومة فإنها كانت ما كانت البسائط.

فزال الاشكال الذي تحيروا فيه ان الأيام أين كانت ولا سموات ولا أرض فتلك الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض الدنياوية هي من الأيام البرزخية الحاصلة من دوران أفلاك البرزخ وهي الأفلاك البسيطة كما أشرنا إليها.

ومن الأخبار ما ينسبك على خلق البسائط فالماء الذي خلقت منه هي البسائط الدهرية فإن ذلك الماء كان مختلف المراتب كماء البحر الظاهر فإن أجزاء هذا الماء بل الماء الذي في المصنع أو الكأس مختلف المراتب البتة إذ لولا ان بعض اجزائه اثقل واغلظ لما رسب ولولا ان بعض أجزائه ألطف وارق لما صعد حتى ان ماء خزانة الحمام إذا امتح فيها ماء بارد رسب الماء البارد وطفى الماء الحار لأن الماء البارد اغلظ واثقل والماء الحار ارق واخف وذكرنا ذلك تقريباً للاذهان الناقصة فالماء الذي ورد في الأخبار انه خلق منه السموات والأرض مختلف المراتب وليس فيها انه كان متشاكل الاجزاء ومن البين عدم وقوع الترجيح بلا مرجح من نفس الاثر من الحكيم فلم يصعد بعض أجزاء الماء إلا لخفته ولم يرسب بعضها الآخر إلا لغلظته فهو مختلف المراتب لا محالة وخفافه اسرع مطاوعة لفعل الفاعل وغلاظه أبطأ مطاوعة البتة فخفافه احكى لفعل المبدئ وصفاته وثقاله اشد حجباً ومن البين ان خفافه في الخفة بلغت صفاء الأفلاك وحيزها وثقاله في الثقل بلغت كدورة العناصر وحيزها.

فإذاً البسائط السماوية والارضية الدهرية هي الماء الأول الذي كان عرش البسائط عليه فدار عليها حتى حركها ومخضها حتى ازبد جميع

مراتبه فالزبد الحاصل من الغلاظ صار منه أرض البرزخ والزبد الحاصل من الخفاف صار منه سموات البرزخ وعبر عنه بالدخان فإنه في الرقة واللطافة كالدخان ومن البين ان البسائط كلما صارت اخلى من الأعراض صارت أشد تشاكلاً وكلما مازجها العرض صارت اشد تبايناً فالبسائط الدنياوية في التباين على ما ترى والبسائط البرزخية اشد تشاكلاً منها واما البسائط الجوهرية الاخروية فهي اشد تشاكلاً من البسائط البرزخية.

ومن الأخبار ما ينسبك على خلق البسائط الدهرية فهي لشدة لطافتها ولطافة وقتها ومكانها وفعلية جميع أوقاتها وحضورها في محضر واحد وعدم تمانعها مبدؤها مبدأ دهري فهي مسبوقة بماء دهري سبقاً دهرياً فماؤه المادة الأولى النازلة من سحاب المشيئة فخلق الله سبحانه أول الماء وهذا الماء اختلاف مراتبه أقل وتشاكلها أكثر وهو المادة الأولى وكان عرش مشيئته عليه فدارت عليه حتى مخضته وضربت بعضه ببعض حتى حدثت منه السموات والارضون الدهرية فالارضون من زبده الغليظ والسموات من زبده اللطيف الذي هو الدخان الصاعد.

بالجملة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الملك: ٣] وفي كل عالم خلق أولاً الماء ثم خلق من زبده ودخانه الأرض والسماء حتى ان خلق عالم السرمد أيضاً كذلك فخلق الله سبحانه أولاً ماءه ثم خلق من زبده ارضه وسماءه إلا انهما متحدتان متشاكلتان في الخارج والذهن واما في الدهر فهما متشاكلتان متحدتان.

في الجملة في الخارج لا في الذهن واما في البرزخ فهما متشاكلتان وليستا بمتحدتين لا في الخارج ولا في الذهن واما في الدنيا فليستا بمتشاكلتين وبينهما تباين فلاجل ذلك يكون المركب الدنياوي مركباً

بالعرض لأن اجزاءه قبل التركيب أشياء مستقلة موجودة والكلي المبرهن عليه ان المركب من شيئين لا يكون بشيء واحد إلا انه شيء واحد ائتلافي لا حقيقي.

فالمركب الدنياوي لا يكون شيئاً واحداً إلا بالائتلاف فستفترق اجزاؤه وتعود إلى كونها اشياء واما المركب البرزخي فهو أقرب إلى الوحدة وأثبت وأدوم وأجله أطول إلا أنه مركب من اشياء حقيقة فستعود إلى ما كانت اشياء واما المركب الدهري الاخروي فهو شيء واحد في الخارج وان كان الذهن يدرك له أجزاء ويتصور كل جزء وحده إلا انه في الخارج لا يوجد اجزاؤه منفردة قبل التركيب ولا يمكن ان توجد إلا مركبة لا قوام لواحد منها إلا بالآخر ولذلك يكون مركبه مخلداً مجاوراً للمركب الآخر بعد العود ولا يمازج غيره فإذ ليس من اشياء مستقلة وإنما هو من ابعاض الشيء الواحد.

فافهم هذه العبارات المكررة المرددة العجيبة الغريبة وان تنبهت باشاراتها عرفت انك لم تسمعها من خطاب ولم ترها في كتاب.

واعلم ان الهواء المذكور في الأخبار انه خلق قبل الماء هو هواء الإمكان ولذا روى ان الهواء لا يحد والماء هو ماء الكون المخلوق من الإمكان وخلق العرش أيضاً من الهواء أي من الإمكان والنور والظلمة المخلوقان من الهواء هما الوجود والماهية.

بالجملة على ما ذكرنا ينسبك جميع الأخبار بلا غبار فهذه الارضون والسماوات حادثة ولها مُبدئ وينقطع إليه أيامها ولياليها وقبلها كانت سماوات وأرض وكان تلك الأرض جنة ابينا آدم عليه السلام وكانت الجن في تلك الأرض فلما خلق الله سبحانه آدم اسكنه في تلك الجنة فأكل من الشجرة المنهية وادبر فحصل للسموات والأرض فتور حتى قبلت

الأعراض فتكثف بدن آدم وهو هبوطه وتكثفت السموات والأرض بقبول الأعراض حتى قال آدم عليه السلام :

تـغـيـرت الـبـلاد ومـن عـلـيـهـا ووجـه الأرض مـغـبـر قـبـيـح[١]

فكان أول حدوث هذه الدنيا يوم هبوط آدم وحدوثها كان بالتدريج كما يشهد به الأخبار فكان ذلك في ستة أيام من أيام البرزخ ثم هذه الدنيا تستمر إلى ابان الرجعة فبدولة الحق وقيام العدل تتقوى بنية مراتب العالم وتدفع عنها الأعراض شيئاً بعد شيء إلى ان تتصفى عند رجعة النبي صلى الله عليه وآله وقتل الشيطان الساكن في الأعراض وقتل اتباعه فيصفو الزمان ويعود برزخياً ويطول الأيام والليالي والاعمار ويظهر بركات الأرض والسماء ثم يظهر ثانياً الجنتان المدهامتان من وراء الكوفة إلى ما شاء الله كما كان أولاً ويأكلون المؤمنون منها ثم يستمر إلى نفخ الصور فيموت عالم البرزخ ويصفو ويبدل الأرض غير الأرض والسموات ثم ينفخ فيه اخرى فتقوم القيامة[٢].

---

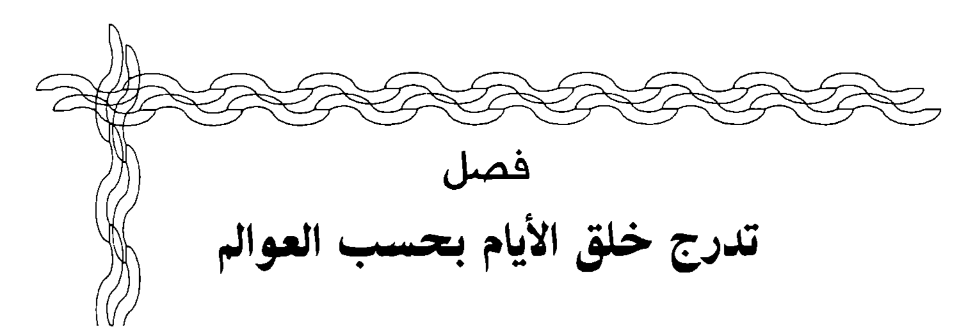
(١) علل الشرايع ٢/ ٣٧٨.

(٢) عن عبد الكريم بن عمر والخثعمي قال سمعت أبا عبد الله يقول إن إبليس قال : ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] فأبى الله ذلك عليه فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين فقلت وإنها لكرات قال نعم إنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يديل الله المؤمن من الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها الروحا قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالا لم يقتتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين فكأني انظر إلى أصحاب =

. . . .



= علي أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم وكأني انظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عزوجل ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصا على عقبيه فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت فيقول: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] فيلحقه النبي فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يعبد الله عزوجل ولا يشرك به شيئاً ويملك أمير المؤمنين أربعا وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي ألف ولد من صلبه ذكرا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله. مختصر بصائر الدرجات ص٢٧.



فصل
تدرج خلق الأيام بحسب العوالم

إن الناس قد تحيروا في الأيام التي خلقت الدنيا فيها لاجل زعمهم ان الأيام مخصوصة بهذه الدنيا فكيف خلقت الدنيا في الأيام وغفلوا عن هذا التحقيق الذي ذكرناه وان هذه الأيام من أيام البرزخ والبرزخ قد يعد من الدنيا ولذا يسمي جنته بجنة الدنيا.

ويقال عمر الدنيا مائة ألف سنة مع ان أيام الرجعة فيها وقد يحسب من الآخرة على ان من مات فقد قامت قيامته(١).

بالجملة الأيام من أيام البرزخ والآخرة وقد كانت قبل الدنيا وهي وقت البسائط على ما بينا والذي يظهر من الأخبار ان يوماً من تلك الأيام كألف سنة من سني الدنيا كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] يشهد ان تلك الأيام كل يوم منها بألف انه مع ما روي عن أبي جعفر عليه السلام إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى اخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى اهبطهما الله من يومهما ذلك (٢).

وسئل أبو عبد الله عليه السلام كم لبث آدم وزوجه في الجنة حتى اخرجهما منها خطيئتهما فقال ان الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه

---

(١) حديث نبوي شريف انظره في بحار الأنوار ٧/٥٨.
(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٤٢.

بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من اسفل اضلاعه ثم اسجد له ملائكته واسكنه جنته من يومه ذلك فوالله ما استقر فيها إلا ست ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله فاخرجهما الله منها بعد غروب الشمس وما باتا فيها وصيرا بفناء الجنة حتى اصبحا فبدت لهما سوآتهما الخبر[١].

وروي عن الحسن بن علي المجتبى عليه السلام قال جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه أخبرني عن الله لاي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت - إلى أن قال - وأما صلاة العصر فهي الساعة التي اكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة - إلى أن قال - وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم وكان بين ما اكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة الخبر[٢].

فإذا كان اليوم ألف سنة كان ربعه ست ساعات مائتين وخمسين سنة فكان له ست ساعات من النهار وساعة من الليل كما في رواية اخرى انه ظل فيها سبع ساعات فكان ذلك ثلاثمائة سنة والرواية الدالة على ان تلك الساعات من ساعات الدنيا فهي على ان البرزخ قد يعد من الدنيا وكانت جنته جنة الدنيا.

كما روي عن الصادق عليه السلام قال إنها كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١١ / ١٨٨.
(٢) بحار الأنوار ١١ / ١٦٠.
(٣) تفسير نور الثقلين ١/ ٦٢.

بالجملة الأيام التي قبل آدم عليه السلام كل يوم منها بألف سنة فخلقت الأعراض الدنياوية في ستة آلاف سنة ولا بد فيه من هذا التدريج كما يعود بالتدريج إلى الصفاء ثانياً كما بدأكم تعودون فتلك الأيام من أيام الآخرة على ان البرزخ قد يعد من الآخرة وان يوماً منه كألف سنة.

فإذا عرفت ذلك فاعلم انه قد اشكل على بعض آيات سورة السجدة حيث تدل على ان السموات والأرض خلقت في ثمانية أيام لأنه يقول أولاً ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] وقال بعد ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠] ثم قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] فيصير المجموع ثمانية.

والحال انه سبحانه يقول ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨] وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] وفي أخرى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فظنوا فيهما ظنوناً.

فمنهم من قال ان اليومين اللذين خلقت الأرض فيهما من جملة الاربعة أيام.

ومنهم من قال ان اليومين اللذين خلقت فيهما السموات هما اليومان اللذان خلقت فيهما الأرض ففي اليوم الأول خلق اصل السموات والأرض وفي اليوم الثاني ميز بعض اجزائهما عن بعض.

ومنهم من قال ان أيام سورة السجدة غير الستة الأيام وتأيد بلفظ الخلق والجعل فقال خلق الأرض في يومين وكذا السموات في يومين وخلق ما بينهما في يومين ثم خلق ما سوى المذكورات وتقدير الأقوات وسائر المخلوقات في أيام اخر وتأيد بما روى ان دحو الأرض كان بعد خلقها بألفي سنة.

أقول ان لليوم اطلاقات عديدة كما رسمناها في رسالة اخرى ومن تلك الاطلاقات الوقت وهو المسمى بيوم الشأن لقوله سبحانه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فالمراد بأيام سورة السجدة أيام الشأن ويشهد بذلك ما روي من تفسير علي بن إبراهيم حيث فسر خلق الأرض في يومين في وقتين ابتداء الخلق وانقضاؤه والأربعة أيام بأربعة أوقات وهي الفصول الأربعة وفسر قبضهن سبع سموات في يومين بوقتين ابتداء وانقضاء[1].

فعلى ذلك لا اشكال ولا حاجة إلى التكلفات والمراد بوقت الابتداء والانقضاء وقت المادة التي هي ابتداء الخلق ووقت الصورة التي هي انقضاء الخلق واما الستة الأيام في سائر الآيات.

فقد روي من الكافي بسنده إلى عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ان الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشر قبل الخير وفي يوم الأحد والإثنين خلق الأرضين وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء وخلق السموات يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قوله عز وجل : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩] [2].

ومن تفسير علي بن إبراهيم بعد خلق السموات والأرض فلما أخذ في رزق خلقه خلق السماء وجناتها والملائكة يوم الخميس وخلق الأرض يوم الأحد وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين وهما اليومان اللذان يقول الله : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوام في يوم الثلاثاء

(١) تفسير علي بن إبراهيم ٢/ ٧٦.
(٢) الكافي ٨/ ١٤٥.

وخلق الجان وهو أبو الجن وخلق الطير في يوم الأربعاء وخلق آدم في ستة ساعات من يوم الجمعة ففي هذه الستة الأيام خلق الله السموات والأرض وما بينهما[1].

ومن العلل في خبر ابن سلام قال أخبرني عن أول يوم خلق الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحد قال لم سمي يوم الأحد قال لأنه واحد محدود وقال فالإثنين قال هو اليوم الثاني من الدنيا قال والثلاثاء قال الثالث من الدنيا قال فالأربعاء قال يوم الرابع من الدنيا قال الخميس قال هو يوم الخامس من الدنيا وهو يوم انيس لعن فيه إبليس ورفع فيه إدريس قال فالجمعة قال هو يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ويوم شاهد ومشهود قال فالسبت قال يوم مسبوت وذلك قوله عز وجل في القرآن ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فمن الأحد إلى الجمعة ستة أيام والسبت معطل الخبر[2].

وهذا الخبر شارح لسر خصوص الأيام كما يأتي.

واعلم انه لا تنافي بين شيء من هذه الأخبار ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] إذ لخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام معان كثيرة كلها واقعية.

فمرة نقول انها خلقت في ستة اطوار وأيام شأنية كما ان العالم الصغير يخلق في ستة أيام و﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] يوم نطفة ويوم علقة ويوم مضغة ويوم عظام ويوم اكساء لحم ويوم انشاء خلق آخر وبذلك يتم خلقة الولد.

---

(١) تفسير نور الثقلين ٢/ ٣٣٧.
(٢) علل الشرايع ٢/ ٤٧١.

فكذلك خلقت السموات والأرض في ستة اطوار من مبدأ كينونتها الى تمامها.

يوم العقل.

ويوم الروح.

ويوم النفس.

ويوم المادة.

ويوم المثال.

ويوم الجسم.

وبذلك تم خلق العالم والطبع هو المادة من حيث عدم الاقتران بالمثال وليس بشيء خارج متأصل.

ومرة يقال انها خلقت في ستة أطوار وهي مواد كيانها الثلاثة وصورها.

ومرة يقال انها خلقت في ستة أطوار المادة والصورة والطبائع الأربع وهو يوافق تفسير علي بن إبراهيم.

ومرة يقال خلقت في ستة أطوار يومين للأرض لوجودها وماهيتها ويوم لأقواتها وهو يوم تشريعها وامدادها الشرعية ويومين للسماوات لوجودها وماهيتها ويوم لأقواتها وهو يوم امدادها التشريعية فيومان لكونها ويوم لشرعها.

ومرة يقال خلقت في ستة اطوار يوم للأرض نفسها ويوم لدحوها تحت السماء أي قبولها الامداد وتزويجها بها ويقال دحا الرجل المرأة إذا فرشها للنكاح ويوم للسماء نفسها ويوم لتزوجها وتوجهها ودورانها وامدادها للأرض ويومان لما بينهما من الامداد النازلة والحوائج والدعوات الصاعدة.

ومرة يقال في ستة أطوار السماء والأرض وما بينهما من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والى هذا ينظر ما في تفسير علي بن إبراهيم إلا أن في ألفاظه اختلالاً ويتراءى منه السهو في الرواية ألا ترى انه يذكر خلق السموات والأرض وتمامهما ثم يقول فلما أخذ في رزق خلقه ثم يذكر خلق أعيانها وقدم الخميس على الأحد ثم يقول هذه هي الأيام التي خلقت السموات والأرض فيها.

بالجملة قد جرت الأخبار على هذه المعاني وامثالها وما لم يذكروا أكثر مما ذكروا فسميت وقت ايجادها بالأيام على معنى يوم الشأن وسميت بأيام الأسبوع نظراً إلى ترتيب الوجود في الكون أو الشهود فسمى الأول بالأحد اياً ما كان والثاني بالإثنين وهكذا كما في خبر ابن سلام يوم الجمعة على أي حال يوم التمام والكمال واجتماع العلل والمعلولات فلا اشكال ولا تنافي والحمد لله في الاخبار.

وليس هذا المختصر مقام التفصيل ازيد من ذلك فخلق الله كل واحد من هذه الاطوار في ألف سنة وما شاء الله وكل تلك المدة يوم من أيام الشأن واليوم يوم دهري برزخي وان اردت تفصيل هذه الأمور فعليك بسائر كتبنا.

بقي شيء وهو ان تعلم ان آدم عليه السلام أيضاً خلق في أيام طويلة من مبدأ وجوده إلى منتهى تمامه كما يشهد به الأخبار ولكن العالم خلق في ستة آلاف سنة كما عرفت فلا بد وان يكون الله سبحانه شرع في خلق العالم قبل شروعه في خلق آدم فشرع الله في خلق العالم حتى إذا تم وكان يوم خلق الإنسان بين السماء والأرض وخلق آدم وبه تم العالم بسماواته وأرضه وما بينهما في ستة أيام فتولد ولد العالم تام المراتب كامل المقامات.

٥

المطلب الثاني:

في كيفية تأثير الاجرام العلوية في الأجسام السفلية وحصول المواليد فيها وبعض ما يتعلق به في هذا المطلب أيضاً فصول:





فصل
آراء العلماء في حياة الأفلاك

إعلم أن منتحلي العلم اختلفوا في تأثير الكواكب في الأرض فمنهم من أنكره رأساً ومنهم من أنكر الاطلاع عليه.

فمن المنكرين السيد المرتضى رحمه الله حيث نقل عنه في الغرر والدرر كلام طويل في جواب من سأله عنه قال فيه وقد فرغ المتكلمون من الكلام في ان الكواكب لا يجوز ان تكون فينا فاعلة وتكلمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبائع التي يهذون بذكرها واضافة الافعال إليها وبينا ان الفاعل لا بد وان يكون حياً قادراً وقد علمنا ان الكواكب ليست بهذه الصفة وكيف تفعل وما يصحح الأفعال مفقود فيها وقد سطر المتكلمون طرقاً كثيرة في انها ليست بحية ولا قادرة اكثرها معترض واشف ما فيها ما قيل في ذلك ان الحياوة معلوم ان الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى من حرارة النار بكثير لأن الذي يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حياً واقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياءً السمع والاجماع وانه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانه مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة وإذا قطعنا على نفي الحياة والقدرة عن

الكواكب فكيف تكون فاعلة وعلى اننا قد سلمنا لهم استظهاراً في الحجة انها قادرة ان الجسم وان كان قادراً فإنه لا يجوز ان يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بينها وبيننا فكيف تكون فاعلة فينا فإن ادعى ان الوصلة بيننا هو الهواء فالهواء أولاً لا يجوز ان يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء تحركنا بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حركناه بآلة على ان في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز ان يفعل بآلة ولا يتولد عن سبب كالارادات والاعتقادات واشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا وهي لا تصح ان تكون مخترعة للافعال لأن الجسم لا يجوز ان يكون قادراً إلا بقدرة[1].

إلى آخر كلامه الذي ينسبك على هذا السبك وقد سودنا القرطاس بكتبه لتعرف الرجال بالمقال ولا حاجة بنا إلى رده لانا لو سعينا غاية جهدنا في إظهار سخافته بأكثر مما أظهره هو بتحقيقه ما قدرنا وهو بنفسه كاف في تعريف شأنه وشأن قائله.

وعن الشيخ المفيد ﵀ ان الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام نارية لا حياة لها ولا موت ولا تميز إلى ان قال فاما الاحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام على مدلول حركاتها فإن العقل لا يمنع منه ولسنا ندفع ان يكون الله تعالى أعلمه بعض انبيائه وجعله علماً له على صدقه غير أنا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس إلى هذه

---

(١) رسائل المرتضى ٢/ ٣٠٣.

الغاية واما ما نجده من احكام المنجمين في هذا الوقت واصابة بعضهم فيه فإنه لا ينكر ان يكون ذلك بضرب من التجربة وبدليل عادة وقد تختلف أحياناً وتخطئ المعتمد عليه كثيراً ولا يصح اصابته فيه أبداً فإنه ليس بجار مجرى دلائل العقول ولا براهين الكتاب وأخبار الرسول وهذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل وإليه ذهب بنو نوبخت رحمهم الله من الإمامية وأبو القاسم أبو علي من المعتزلة انتهى[١].

وهو أيضاً كما ترى.

وعن العلامة رحمه الله التنجيم حرام وكذا تعلم النجوم مع اعتقاد انها مؤثرة أو أن لها مدخلاً في التأثير بالنفع والضر وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية كافر إلى آخر كلامه[٢].

وهو أيضاً كما ترى.

وعن الشهيد رحمه الله كل من اعتقد في الكواكب انها مدبرة لهذا العالم وموجدة ما فيها فلا ريب انه كافر وان اعتقد انها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي وبعض الاشعرية يكفرون هذا كما يكفرون الأول إلى ان قال واما ما يقال من استناد الافعال إليها كاستناد الاحراق إلى النار وغيرها فمن العاديات بمعنى ان الله سبحانه تعالى اجرى عادته انها ان كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص بفعل ما ينسب إليها ويكون ربط المسببات بها

(١) فرج المهموم لابن طاوس ٣٨.
(٢) منتهى المطلب ٢/ ١٠١٤.

كربط مسببات الادوية والاغذية بها مجازاً باعتبار الربط العادي لا الفعلي الحقيقي فهذا لا يكفر معتقده ولكنه مخطئ أيضاً وان كان أقل خطأ من الأول لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم ولا أكثري[١].

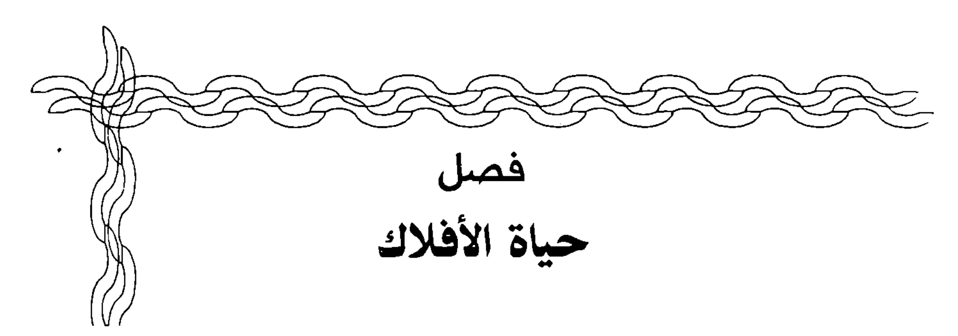
وعن المحقق فاعلم ان التنجيم مع اعتقاد ان للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله[٢].

وقال المجلسي رحمه الله ان القول باستقلال النجوم في تأثيرها بل القول بكونها علة فاعلية بالارادة والاختيار وان توقف تأثيرها على شرائط كفر ومخالفة لضرورة الدين والقول بالتأثير الناقص يحتمل وجهين الأول تأثيرها بالكيفية كحرارة الشمس وإضاءتها وسائر الكواكب وتبريد القمر فلا سبيل إلى انكار ذلك لكن الكلام في انها مؤثرات أو معدات لتأثير الرب سبحانه أو انه تعالى اجرى العادة بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذاة الشمس مثلاً والأكثر على الاخير والثاني كون حركاتها واوضاعها ومقارناتها واتصالاتها مؤثرة ناقصة في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدمة فلا ريب ان القول به فسق وقول بما لا يعلم ولا دليل يدل عليه من عقل ولا نقل ظواهر الآيات والأخبار خلافه والقول به جرأة على الله واما انه ينتهي إلى حد الكفر فيشكل الحكم به وان لم يكن مستبعداً إلى آخر كلامه[٣].

(١) القواعد والفوائد ٢/ ٣٦.
(٢) جامع المقاصد ٤/ ٣٢.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٣٠٩.

وقد نقلت هذه الأقوال لتعرف حظ الرجال من العلم ونحن نعنون فصولاً لبيان ما رزقنا الله سبحانه من فهم الكتاب والسنة فتدبر فيه وانصف.





فصل
حياة الأفلاك

إعلم أن هٰهنا مقامات الأول بيان ان للأفلاك والكواكب حياة أم لا والثاني هل هي مؤثرة في السفليات أم لا والثالث ما كيفية تأثيرها في السفليات وما حده ولما كان بناء تقسيم الكتاب على الفصول فلنذكر في هذا الفصل المقام الأول ونعنون للمقامين الآخرين فصولاً آخر إن شاء الله.

إعلم أن الكتاب أي القرآن هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإذا ذكر الله سبحانه امراً يجب ان يتبع ولا يجوز صرف الآية عن ظاهرها بغير دليل قطعي من الله أو من رسوله أو دليل عقل تعرف جميع العقول عدله فعند ذلك يجوز صرفه عن ظاهره وتأويله أو اخذه مجازاً أو مخصصاً أو مقيداً أو غير ذلك مما هو خلاف ظاهره ولا يجوز ذلك لعالم لاسيما إذا كان فقيهاً فأقول إنا إذا تتبعنا الكتاب وجدناه يقول: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ولا شك ان ظاهر الآية على متفاهم أهل اللغة إنها أصحاب حياة وشعور بل عقل ولا يجوز العدول عن هذا المعنى إلا بأحد الثلاثة المذكورة فهل لهم في ذلك برهان وان قالوا قام الاجماع بذلك قلنا ان اردتم اجماع العامة فلم يتفق على ذلك جميع الامة وان اردتم اجماع الخاصة فلم يتبين دخول المعصوم في هذا الاجماع المزعوم هذا واتفاق غير أهل الفن على أمر لا يعتنى به فعلى

الظاهر الكتاب شاهد لنا إلى ان يأتي صارف له واني لهم بذلك وكذا وجدناه يقول: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وهي كسابقها وان قلت وجود الأرض قرينة المجاز قلت ان لي في الأرض وفي كل شيء لكلاماً فاني وجدت ربي يقول: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وهو دليل حياة كل شيء لاسيما الأفلاك ووجدت ربي يقول: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وهو دليل حياتها وشعورها ووجدت ربي يقول: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] و(ما) من ادوات العموم وامثال ذلك من الآيات ويؤيدها قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ومعلوم ان الجنة في السماء وهذه الآية عندنا محكمة الدلالة إلا انها خفية عند غيرنا ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦-٧] ويدل على حياة كل شيء أخبار متواترة من أهل البيت عليهم السلام بل تزيد حد التواتر وهي أخبار عرض ولايتهم على كل شيء وقد عقد له أبواباً في العوالم وأورد أخباراً تزيد على حد التواتر وهي كلها ظاهرة الدلالة واخذها مجازاً على خلاف الأصل ومشاهدتنا مدحوضة وغيرهم يرى ما لا يرون ومراتب الحياة متفاوتة وليس المراد العرض الكوني ولا في الآيات التسبيح الكوني كما يأولها جهال الحكمة وهو خلاف ظاهر الآيات بل هما عرض شرعي وتسبيح شرعي.

والعجب من السيد المرتضى وليس من تحقيقاته يعجب كما رواه صاحب العوالم عن الدرر والغرر انه قال في معنى أخبار عرض الولاية على كل شيء وردها وقبولها ونطقها وتسبيحها وامثال ذلك قد يجوز ان يكون المراد بذم هذه الاجناس من الطير انها ناطقة بضد الثناء على

الله وبذم اوليائه وبغض اصفيائه متخذيها ومرتبطيها وان هؤلاء المغرين بمحبة هذه الاجناس واتخاذهم الذين ينطقون بضد الثناء على الله تعالى ويذمون اولياءه واحباءه فأضاف النطق إلى هذه الاجناس وهو لمتخذيها أو مرتبطيها للتجاوز والتقارب وعلى سبيل التجوز والاستعارة إلى آخر كلامه[١].

ولولا استحيافي للقرطاس ان يسود وللعمر ان ينقضي بما لا طائل فيه لأوردت كلامه إلى آخره لتقضي العجب وفيما ذكرت منه دلالة على ما لم اذكر ولا يحتاج إلى رد أبداً بالجملة صرف أخبار آل الله امراء الكلام الذين فيهم تهدلت غصونه وتنشبت عروقه إلى هذه المعاني السخيفة خارج عن المروءة اصلاً واي حاجة إلى هذه المعميات.

بالجملة ظاهر الآيات والأخبار حياة كل شيء فضلاً عن السموات ولا دليل ينكر عليها ويدل على غير مدلولها غير ما يدعونه من الحس للسفليات والاجماع للسماويات اما حسهم فسنبين خطأه واما جماعهم فقد ظهر بطلانه واما الأخبار في خصوص حال السماء فمنها ما ورد في معنى ان الشمس إذا غربت تسجد وتسأل الله سبحانه ان تطلع من مغربها أو مشرقها.

وعن العيون بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كان يوم القيامة أتى بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما وبمن يعبدهما في النار وذلك انهما عبدا فرضيا انتهى[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ٢٧٦.
(٢) علل الشرائع ٢/ ٢٩٢.

دليل الحياة والشعور

ومن الكافي بسنده إلى معلى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي فقال نعم ان الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل(١).

وقد مر في اوائل الكتاب فالذي لا حياة له ولا شعور كيف يعلم النجوم للناس إلى غير ذلك من الآيات والأخبار ولنا على ذلك دليل حكمي عياني وهو ان الله سبحانه حي قدير ومشيئته سبحانه حية قادرة إذ هي أول تجليه سبحانه وأقرب الخلق إليه وليس ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

فكل ما هو أقرب إليه سبحانه أولى بالحياة والقدرة والشعور وكل كمال فمشيئته سبحانه اصل كل خير وكمال وجميع ما سواه سبحانه مخلوق بها ومن شعاعها ونورها واثرها وكل اثر يطابق صفة مؤثره فجميع ما سواه سبحانه حي شاعر إلا ان درجات الاثر تختلف بحسب القرب والبعد في المشاكلة مع المؤثر وكثرتها وقلتها وما لا يشاكل مؤثراً بوجه ليس من أثره بوجه ألا ترى ان نور السراج يشاكل ظهوره إلا انه مختلف المراتب في القوة والضعف على حسب قربه وبعده فكلما يكون أقرب إلى السراج يكون اقوى نوراً وحرارة وكلما يكون ابعد عن السراج يكون أضعف نوراً والظلمة الصرفة ليست من اشعة السراج وآثاره لعدم المشاكلة.

فالخلق هو اثر مشيئته سبحانه ونورها ويشاكلها لا محالة في الصفات الكمالية إلا انه مختلف المراتب ففي اعالي الخلق يكون اشد

---

(١) الكافي ٨/ ٣٣٠.

لأشياء مشاكلة للمشيئة حتى كأنه هو هي وكلما يبعد يقل مشاكلته ويضعف فيه المشابهة إلى اقتراب واما ان يعدم فيه المشابهة فلا إذ كل ثرها وخلقها فكل شيء حي شاعر وكل بحسبه في القوة والضعف فالسموات والنجوم التي هي أيدي مشيئة الله سبحانه وأكمام إرادته وسببه في احداث ما يريد كما مر في صدر الكتاب ان الله سبحانه إذا أراد أمراً ألقاه إلى روح القدس فألقاه إلى النجوم فجرت به وجعلها جاهه ووجهه إلى عباده ومنزل بركاته وفيوضه وامداده كيف لا تكون حية شاعرة إلا انها ليست بمنزلة الإنسان فإن الإنسان اجمع منها وإنما حياتها حياة ملكية بسيطة ذات جهة واحدة تجري مجرى واحداً بخلاف حياة الإنسان فإنها تجري كل مجرى وتتصرف كل تصرف بل الأفلاك هي الحياة الكلية وحياتها معدن الحياتات الجزئية واصلها منها بدؤها وإليها عودها كما ان ترابية البدن ترجع إلى التراب ومائيته ترجع إلى الماء وهوائيته وناريته إلى الهواء والنار كذلك حياته ترجع إلى الأفلاك لأنها منها وإليها.

كما روى في حديث الأعرابي الذي رواه الملأ محسن ومضمونه شاهد بأنه كلام علي عليه السلام قال في النفس الحيوانية قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك بدؤ ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة الخبر[١].

(١) روي ان أعرابياً سأل أمير المؤمنين عن النفس فقال له عن أي نفس تسأل؟ فقال: يا مولاي هل النفس انفس عديدة؟ فقال نعم، نفس نامية نباتية، ونفس حسية حيوانية، ونفس ناطقة قدسية، ونفس إلهية ملكوتية. قال: =

فتبين مما بينا وشرحنا وأوضحنا من الكتاب والسنة الموافقة لها والعقل المستنير بهما ان الأفلاك حية شاعرة فاعلة قادرة مختارة إلا أن حياتها وسائر خصالها على حد الملائكة لأنها من البسائط وليست مركبة على حد المواليد تجتمع فيها أنواع الطبائع والبسائط وخواصها وآثارها فلا يتأبى من كل فلك إلا ما حيل عليه ولا يقدر على التصرف بغير ما خلق لأجله فهي كالنار التي لا تقدر على ما يقدر عليه الماء ولا

= يا مولاي ما النباتية؟ قال: قوة اصلها الطبائع الاربع؟ بدؤ ايجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الاغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة. فقال يا مولاي: وما النفس الحيوانية؟ قال قوة فلكية وحرارة غريزية اصلها الأفلاك بدء ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية، مقرها القلب وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عاد إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فنقدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها فقال: يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية؟ .قال: قوة لاهوتية بدو ايجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية الدينية موادها التأييدات فعلها المعارف الربانية، وسبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة.فقال يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية؟ .فقال قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات اصلها العقل، منه بدأت وعنه وعت وإليه دلت واشارت وعودتها إليه إذا اكملت وشابهت ومنه بدأت الموجودات وإليه تعود بالكمال فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل سعيه وغوى. فقال السائل يا مولاي وما العقل؟ قال: جوهر دراك محيط بالاشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب (كلمات مكنونة ص ٧٨).

نعكس وان كان كل شيء فيه معنى كل شيء لأن الكل من الإمكان إلا ن في كل بسيط شيئاً بالفعل وما سواه فيه بالقوة فالتبريد في النار بالقوة والتسخين بالفعل ولا يتأتى منها إلا بالتسخين لاجل ذلك لا كما قال بعضهم انها موجبة بل ولا فاعل موجباً في ملك الله سبحانه مختار إلا ان المختار إذا اختار الاخير اشتبه بعد الاختيار بالمضطر وليس بمضطر.

فالنار واشباهها من البسائط قد اختارت امراً في اصل الخلقة فجرت به وليس هنا موضع ازيد من ذلك وكذلك الأفلاك بسائط وقد اختار كل فلك وكل كوكب امراً فهو جاريه لا يتأتى ما سواه منه وهذا معنى قولي ان الأفلاك ملكية.

كما ان من الملائكة ركوع لا يسجدون وسجود لا يركعون ومشغولون معينة لا يفترون كذلك كل كوكب له طبع وقوة معينة وخاصة تتأتى منه ولا يتأتى منه غيره ويشتبه بذلك بالموجب وليس به كما اشرنا إليه وبذلك تقول ان الإنسان أشرف من الأفلاك فإنه مركب من حصص من جميع الأفلاك وحصص من العناصر فيصدر عنه فعل كل بسهولة إلا ان الناس مختلفون في فعلية تلك القبضات بأجمعها فيهم وقوتها وقربها من الفعلية وبعدها واكمل الاناسي من كان فيه كلها بالفعل وقوياً فذلك الرجل الذي:

لو جئته لرأيت الملك في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

وهو الذي بقربك منه بالولاية لقد فزت بجميع السموات والأرض وان عرفته قرأت به ألواح السموات والأرض.

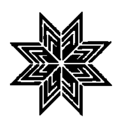
بالجملة هو القطب الذي عليه المدار في الاعصار واما من سواه ففيهم فعلية وقوية فمنها ما فيهم بالفعل ومنها ما فيهم بالقوة ويقل

اختيار الناس ويكثر بحسب جامعيتهم وقلتها وكذلك يقل اختيار المواليد ويكثر فبعد الإنسان اشد المواليد اختياراً الحيوان ثم النبات ثم الجماد ثم البسائط المركبة العرضية ولعلك من هنا تعرف ان هذا العالم العرضي الذي في أجزائه نوع تركيب فيه وزيادة اختيار ولأجل ذلك ربما تجري سماواته وارضه على نحو اختلال ولكنه قليل وستعود إلى العصمة الملكية في الرجعة لأنها لا تصفو وتكمل عصمتها وعصمة الملائكة في القيامة ألا ترى قد يختل عصمة الملائكة ببعض الهنات كفطرس[١] وصلصائيل[٢] والملائكة المعترضين على الله وغيرهم منهم فافهم هذه البيانات العجيبة.

وكأني بقائل ينظر إلى هذا الكتاب ويزعم ان هذه المسائل مصادرات محضة واني لا اذكر لها براهين وهو غافل عن انها مشحونة بأدلة الحكمة وبراهينها ولا يخفى على أهلها.

علي نحت القوافي من مواقعها وما علي إذا لم يفهم البقر

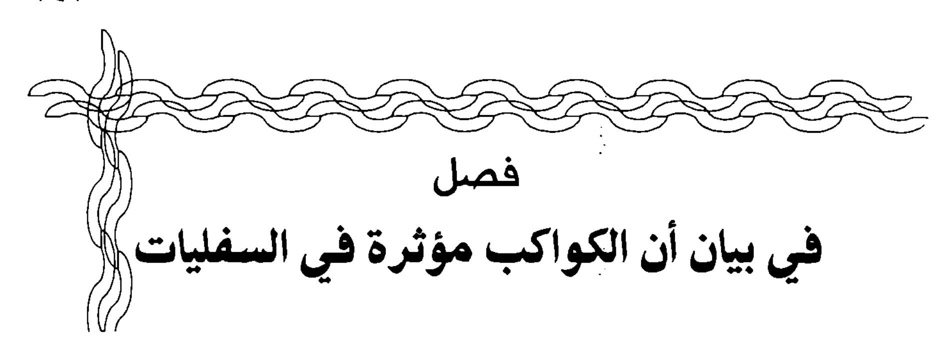
وعلى أهل الفهم وابناء الحكمة وأهل مدينتها السلام.



---

(١) انظر قصة فطرس في بصائر الدرجات ص ٨٨ والسرائر ٣/ ٥٨٠ ومصباح المتهجد ص ٨٢٧.

(٢) انظر قصة صلصائيل في بحارالأنوار ٤٣/ ٢٥٩.



فصل
في بيان أن الكواكب مؤثرة في السفليات

في بيان ان الكواكب مؤثرة في السفليات أم لا وعلى أي معنى تؤثر اما ما يدل على تأثيرها من الأخبار فمنها.

ما روى في العوالم من تفسير العياشي عن محمد بن عذافر الصيرفي عمن اخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال الله تبارك وتعالى خلق روح القدس ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها وليست باكرم خلقه عليه فإذا أراد امراً القاه إليها فالقاه إلى النجوم فجرت به[(١)].

وهذا الخبر نص في التأثير وجريها بما أراد الله سبحانه.

وفي تفسير البرهان عن علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧] قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام حتى هلكوا انتهى[(٢)].

ولولا تأثير الكواكب لما كان لهذا الاشعار معنى وهم لا يعدون الرجل من شيعتهم فقيهاً حتى يلحن إليه فيعرف اللحن.

وفي البحار من المكارم في الحديث انه نهى عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب[(٣)].

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٢٧٠.
(٢) مستدرك الوسائل ١٣/ ١٠٢.
(٣) مكارم الأخلاق ص ٧٥.

ومن الذهبية عن الرضا عليه السلام علم ان جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل وخير من ذلك ان يكون في برج الثور لكونه شرف القمر[(١)].

ومن المهج في حرز الجواد عليه السلام وينبغي ان لا يكون طلوع القمر في برج العقرب[(٢)].

ومن نوادر علي بن اسباط عن أبي عبد الله عليه السلام قال من سافر أو تزوج والقمر في برج العقرب لم ير الحسنى انتهى[(٣)].

انشدك بالله هل يعرف العالم العارف باللحن من هذه الأخبار إلا انها مؤثرة في هذه الأمور وقد مر في حديث ان طالع الدنيا سرطان والكواكب في اشرافها قال فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت والقمر في الثور والشمس في وسط السماء في الحمل الخبر.

فلولا ان الكواكب يختلف احوالها وآثارها بانتقالها في البروج أي منى كان لشرف الكواكب ووبالها.

ومن الكافي بسنده عن أبي عبد الله المدايني عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستة الجاريات من ماء حار وفي نسخة من نار وهو نجم الأنبياء والأوصياء وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من

---

(١) الرسالة الذهبية أو طب الإمام الرضا عليه السلام .

(٢) بحار الأنوار ٥٠/٩٨.

(٣) وسائل الشيعة ١١/٣٦٧.

الدنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسد اللبن ولباس الخشن واكل الجشب وما خلق الله نجماً أقرب إلى الله انتهى(١).

ولولا ان تأثير زحل ذلك وتدبيره بذلك فأي معنى لذلك والدليل على انه زحل فيما رواه.

من الاحتجاج في حديث اليماني مع أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام فما زحل عندكم من النجوم فقال اليماني نجم نحس فقال أبو عبد الله عليه السلام لا تقل هذا فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء عليهم السلام وهو النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه فقال اليماني فما معنى الثاقب فقال ان مطلعه في السماء السابعة الخبر(٢).

وفي توحيد المفضل تفصيل في تأثير الشمس والقمر ودورانهما وصعود الشمس وهبوطها في اصلاح الزروع والحيوانات والاقوات وقيام الفصول بها وانشاء السحب وغير ذلك وستعلم ان تأثير الباقي أيضاً في هذا الباب.

ومن الاحتجاج في حديث الدهقان مع علي عليه السلام قال عليه السلام اما قولك انقدح من برجك النيران فكان الواجب ان تحكم به لي لا علي اما نوره وضياؤه فعندي واما حريقه ولهيبه فذهب عني الخبر(٣).

وهل هذا إلا من باب التأثير.

ومنه في حديث اليماني قال عليه السلام فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما

---

(١) الكافي ٨/ ٢٥٧.
(٢) الاحتجاج ٢/ ١٩٣.
(٣) الكتاب المبين ٤/ ١٢٤.

اسم النجم الذي إذا طلعت هاجت البقر فقال اليماني لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلعت هاجت الكلاب فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت الخبر(١).

فلولا تأثير هذه الكواكب في هذه الأمور فما معنى ترتب هذه الأمور بطلوعها والقول بأنها علامات لما يفعل الله سبحانه عادة واجرى الله سبحانه عادته بأن يفعل هذه الافعال عند هذه الاوضاع فكأنه قول صدر من غير من استشم رائحة العلوم والحكم وان كان قول الأكثر فإنهم تكلموا فيما ليس لهم به علم فيا سبحان الله هل يفعل الله سبحانه الافعال بذاته أم بأمره ومشيئته وهي خلقه هل يجري الأمور بأسبابها أم أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها وجعل لكل شيء سبباً فإن كان يفعل الله ما يشاء بأسبابها كما نص عليه في الخبر والأسباب غير ذاته سبحانه ومن خلقه فليكن النجوم من تلك الأسباب كما يسخن الله الهواء بالشمس ويبرد القمر ويموج البحار بالرياح وستعلم إن شاء الله إن ذلك لا يوجب كفراً ولا شركاً وان الذين يقولون بأن الله يفعل الأفعال من دون سبب خارجون عن طريق الصواب وفي حديث مر ان حرارة الصيف من استعلاء المريخ وبرد الشتاء من استعلاء زحل وهل هذا إلا من باب التأثير.

وروى في البحار من الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال سأل زنديق أبا عبد الله عليه السلام ما تقول فيمن زعم ان هذا التدبير الذي يظهر في هذا العالم تدبير النجوم السبعة قال عليه السلام يحتاجون إلى دليل ان هذا العالم

(١) الاحتجاج ٢/ ١٩٣.

الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر وسائرة لا تقف ثم قال وان كل نجم منها موكل مدبر فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة ازلية لم تتغير من حال إلى حال الخبر[١].

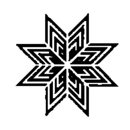
وهذا الخبر وان كان ظاهره ما ترى والذي اقطع به من لحنه انه عليه السلام صرح فيه بأن النجوم مدبرة لأمر العالم الأكبر والأصغر لكن لا على ما يزعمه المنجمون غير المسلمين من استقلالها في التأثير بل هي عبيد مأمورون يجرون بما أجراهم الله سبحانه وليست بقديمة كما يزعمون إلا ترى لحنه انه ما انكر تأثيرهما واكتفى بانهم يحتاجون إلى دليل ثم بين انها موكلة مدبرة بمنزلة العبيد المأمورين وهل العبد إلا خادماً وعاملاً بالخدمة قائماً بها وهذا اللحن لا يعرفه إلا اهله وإنما ينص على المراد لأنهم روحي فداهم مربون للناس يحملونهم على ما يطيقون وما يصلحهم لا ما يفسدهم ولا يتحملونه فلو نص على تأثيرها وهم جديدوا العهد بالجاهلية والاعتقاد بالكهنة والمنجمين لظنوا صدق اولئك وفسدوا فاخفوا عنهم ذلك وبينوا اضمحلالها تحت مشيئة الله حتى يعتدلوا ويستقيموا وهذا علم لا يعلمه إلا العالم بالسياسة وهذا سر انكارهم الكثير على النجوم واهلها وهذا ديدنهم في تقويم الناس وتعديلهم ولا يليق بهذا المختصر تفصيل اسرار سياستهم وذكر شواهدها.

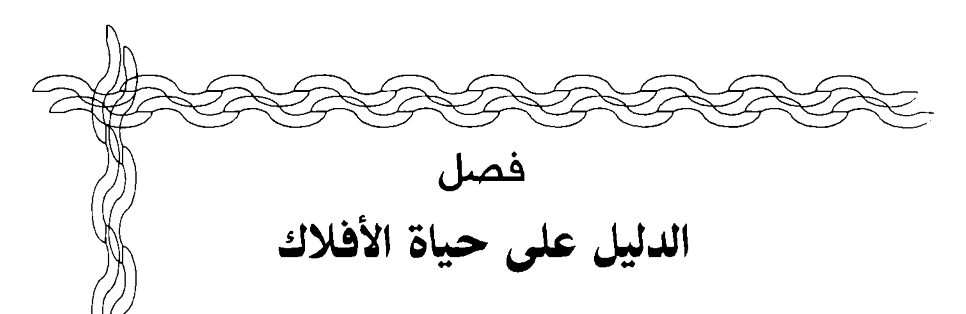
وان قيل: ان هذه الأخبار ضعيفة لا تفيد علماً.

قلت: ان هذه الأخبار مؤيدة بالادلة العقلية المستنبطة من كليات

(١) الاحتجاج ٢/ ٩٣.

علوم آل محمد عليهم السلام كما ستسمعها ان شاء الله وهي تجبر ضعفه والشهرة بين المتكلمين المذمومين في الأخبار الذاهبين مذاهب الاشرار والعلماء الذين ليسوا بحكماء لا عبرة بها ولا يجوز الاعتماد عليها فنعنون لذلك فصلاً آخر نبين فيه الادلة الحكمية لكن على نهج الاختصار والإشارة والتفصيل موكول إلى سائر كتبنا .





فصل
الدليل على حياة الأفلاك

إعلم أن القديم جلّ شأنه ذات أحدية لا تثني ولا تجزي ليس لها تعلق بشيء ولا ارتباط ولا اقتضاء لشيء ولا مناسبة بشيء ولا منافرة وهو قائم بنفسه غني عما سواه فخلق مشيئته بها لا بذاته سبحانه كما روى ان الله خلق المشيئة مخلوقة بنفسها قائمة بنفسها لغيرها إذ هي تجلي الأحد القائم بنفسه وآيته وعنوانه فلها حيث فعلية لنفسها وحيث مفعولية وحيث فعليتها اعلاها وجهتها العليا مما يلي المبدأ وحيث مفعوليتها أسفلها وجهتها السفلى مما يلي نفسها وهو غاية بعدها عن المبدأ فجهة فعليتها حيث كونها حركة الفاعل للإيجاد ولوجود انية لتلك الجهة لأن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته هي متحركة دائرة على جهة النفس من كل جهة إذ لا جهة لها وهي محددة الجهات لها وجهة مفعوليتها حيث سكونها لأن المفعول لا فعل له وإنما هو ساكن والحركة للفاعل له وهي محاطة جهة فعليتها لأنها آية احاطة الرب جل شأنه بها وإن الله سبحانه لما خلقها بنفسها خلق جهة مفعوليتها بجهة فعليتها فدارت جهة فعليتها على جهة مفعوليتها بالامداد على خلاف التوالي واستعدت جهة مفعوليتها من جهة فعليتها على التوالي فكان جهتها العلياء فعل الله وأمره ومشيئته في أحداث جهتها المفعولية وفعل الله غير ذاته وخلقه جعله فعله وليس فعله سبحانه بعرض أو حركة كما ترى من فعلك العرضي وإنما هو جوهر مستقل

كيف وهو مجوهر كل جوهر ومأصل كل اصل وإنما ذلك لاجل ان العرض يحتاج إلى معروض اما الذات القديمة فلا تصلح ان تكون معروضة للخلق الحادث مقترنة به وليس سواه شيء فلا يعقل كون الفعل عرضاً قائماً بالغير فهو جوهر قائم بنفسه إلا انه لغيره فهو جوهر حادث مخلوق اتخذه الله سبحانه فعلاً يفعل به ما يشاء ولا يستلزم ذلك شركة المشيئة مع الله سبحانه ولا استقلالها من دون الله فإنها فعل الله لا غير مضمحلة عند الله سبحانه وان كانت غيره سبحانه.

فلما تم خلق المشيئة وكمل خلق الله سبحانه بها نورها كما قال عليه السلام خلق الله الأشياء بالمشيئة وفي الكتاب: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] وفي الدعاء كل شيء سواك قائم بأمرك وأمر الله هذا هو فعل الله الذي قلنا واشرنا إليه فأمر الله غير الله وغير الله خلق الله وهو جوهر لعدم صلوح عروضه على ذات الله وعدم شيء سواه فبهذا الجوهر خلق الله سبحانه ما شاء من خلقه وقام الخلق بذلك الجوهر وليس ذلك بكفر ولا شرك لأن ذلك الجوهر لله وليس لنفسه وأمر الله لا شيء غيره فكل ما قام به قام بأمر الله وكل ما وجد به وجد بأمر الله وهذا الأمر شجرة كلية لها فروع وغصون بعدد جميع ذرات الموجودات ونسبها وما يؤول إليها لأن كل شيء سواه قائم بأمره.

ومن البين ان كل موجود يوجد بأمر خاص به فإذا قال الله كن زيداً كان زيداً وان قال كن عمراً كان عمراً ولا يوجد عمرو بأمر وجد به زيد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ومع ذلك ما أمره إلا واحدة فهو وحدته نوعية وله أفراد شخصية فهو أي الأمر كشجرة واحدة له اغصان بعدد ذرات الموجودات وكل غصن منها

يشاكل الذرة التي خلقت به ألا ترى ان حركة يدك واحدة نوعاً فإنها تنقال من مكان إلى مكان أي كانت ولكنها إذا تعلقت بإيجاد الألف كانت حركة من الأمام إلى الوراء بالاستقامة وإذا تعلقت بإيجاد الباء كانت حركة من اليمين إلى اليسار فرؤوس الحركة مختلفة الهيئة كهيئات الآثار وهي كلها واحدة نوعاً فإنها من نوع الحركة ألا ترى ان الأحمر حمره الله والابيض بيضه الله والاسود سوده الله فالتحمير والتبييض والتسويد افعال الله بلا شك وهي افعال متعددة في الصورة الشخصية مشتركة في نوع كونها فعلاً كضرب ونصر وعلم كلها من نوع الفعل إلا انها مختلفة في الصورة فكذلك رؤوس المشيئة والمشيئة فإنها مختلفة شخصاً متحدة نوعاً فإذا لا بد من المطابقة بين الرأس من المشيئة وبين ما خلق به وإلا لصلح التسويد للتحمير والتحمير للتبييض وهو خلاف البداهة فإذا وجب المطابقة في الصورة وجب ان تكون الرؤوس مختلفة المراتب على حسب اختلاف مراتب المخلوقات وإلا لم تحصل المطابقة واستلزم ان يكون الشيء موجوداً على خلاف ما شاء الله واراد فإذا الرؤوس المتعلقة بعالم العقول على هيئة العقول وصفتها فهي عقلانية والرؤوس المتعلقة بعالم النفوس على هيئة النفوس فهي نفسانية والرؤوس المتعلقة بعالم الأجسام على هيئة الأجسام فهي جسمانية فلا عجب ان يكون عقل مشيئة الله العقلانية ونفس مشيئة الله النفسانية وجسم مشيئة الله الجسمانية.

فإذا كان الجسم مشيئة الله فما صدر عنه صادر عن مشيئة الله إذ ليس إلا مشيئة الله ورأساً من رؤوس مشيئة الله فالقائم به قائم بمشيئة الله ألا ترى أن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الانفال: ١٧] فسمى الرمي القائم بيده ﷺ رميه وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ

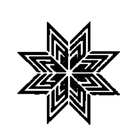
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ١٧] فسمى القتل القائم بأيديهم قتله وفعله وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] فسمى الزرع القائم بيد الزارع زرعه وسمى نفسه الزارع بذلك الزرع وقال: ان الله يأخذ الصدقات فسمى الأخذ القائم بيد الفقير المؤمن اخذه وهو الآخذ بذلك الاخذ وقال: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] فسمى توفيهم توفيه وقال: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ [النساء: ٥] وعلى بعولتهن رزقهن والله خير الرازقين وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] إلى غير ذلك من الشواهد لا تخفى على أهل المشاهدة فلا حركة في الوجود إلا الله سبحانه: قل الله خالق كل شيء هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه له الخلق والأمر ولله الأمر من قبل ومن بعد ليس لك من الأمر شيء فلا أمر لغيره أبداً فكل محرك في الوجود وهو رأس من رؤوس مشيئة الله سبحانه يفعل الله به ما يشاء وهو سبب من الأسباب المشار إليها في الخبر أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها وجعل لكل شيء سبباً الخبر.

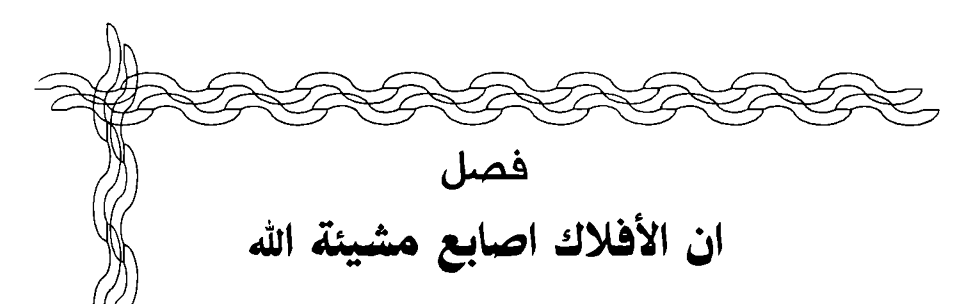
وبديهي ان تلك الاسباب غير الله ومع ذلك يجري الله الأشياء بها وتلك الاسباب وهي رؤوس المشيئة فلا محرك في الوجود إلا الله سبحانه وإليه يرجع الأمر كله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨] ففي الكون يستوي الخير والشر قال الله سبحانه: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقال: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] ولم يردعه الله سبحانه وقرره واما في الشرع فالمحركات السعيدة الطيبة للخيرات تحريكها راجع إلى الله سبحانه والمحركات الشقية الخبيثة للشرور تحريكها راجع إلى الشيطان قال الله

سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] بالجملة إذا كانت المحركات في كل عالم رؤوس أمر الله ومشيئته راجعة إليه لا إلى المشيئة الكلية فليس ما يصدر عنها صادراً عن غير الله وما يؤول إليها آيلاً إلى غيره ولا يستلزم ذلك كفراً ولا شركاً فإن الفاعل هو الله وحده وحده وحده قد فعل بأمره وحكمه ومشيئته لا شريك له من خلفه.

هذا هو توحيد لافعال الله سبحانه الذي قل من وحده به إذ قل من يعرفه ومن عرفه شاهده في جميع آيات الكتاب والآفاق بلا غبار ولكنه مستور عن الاغيار بحجب الاستار ويشركون ويزعمون انهم يوحدون ويثبتون الاستقلال لكثير من الخلق بزعمهم ان غيره يوجب الجبر وعن الحق هم غافلون إذ لا جبر ولا تفويض وممتنع وجودهما والحكيم البصير لا يقول بالجبر ولا يقول بالتفويض وإنما يقول بالاختيار والتوحيد.

بالجملة تبين وظهر لأهل النظر ان كل محرك كوناً محل مشيئته سبحانه الكونية ووكر ارادته يفعل الله به ما يشاء ولا يشركه المحل والوكر في مشيئته وارادته لاضمحلاله عنده وكل محرك خير محل مشيئته الشرعية وكل محرك شر محل مشيئة الشيطان وإضلاله واغوائه لعنه الله.





فصل
ان الأفلاك اصابع مشيئة الله

إعلم أن كل أثر يصدر عن مؤثر يكون على طبق صفة مؤثره ولا واسطة بين الاثر الأول والمؤثر فكل اثر هو مخلوق بنفسه عند المؤثر القريب المتصل به فهو فعل العالي ومفعوله خلقه به واتخذه يداً في خلق نفسه كما مر في المشيئة حرفاً بحرف.

فالاثر الأول للمشيئة عند المشيئة مخلوق بنفسه جهته العليا العالي وجهته الدنيا مفعوله على حذو ما سمعت وكذلك في كل رتبة كل اثر عنده مؤثره القريب مخلوق بنفسه وله جهتان جهة إلى ربه وجهة إلى نفسه فجهته العليا وهي لطائفه ورقائقه جهة فعلية الفاعل وجهته الدنيا وهي غلائظه وكثائفه جهة مفعوليته فاعليه دائرة متحركة على الداني فاعله والدانيه ساكنة منفعلة لدى العالي ولذلك اتفق كلمات الحكماء على ان السموات هي الاباء العلوية والعناصر هي الامهات السفلية والحوادث بينهما مواليد لهما فكان الأمر كذلك في كل عالم لأن العبودية كنهها الربوبية فما خفي في الربوبية أصيب في العبودية وما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقد علم اولوا الالباب ان الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا فكان كذلك إلى ان احدث الله عالم الأجسام وهو حادث من الحوادث مخلوق برأس من رؤوس المشيئة مطابق له فهو مخلوق برأس جسماني مقدر محدود ذي أبعاد ولا جسم سوى هذا العالم وورائه فهو مخلوق بنفسه لله سبحانه فالفعل المتعلق به

منه هو الفعل وهو المفعول ففي الجسم المطلق الدهري كانا متداخلين أي حيث الفعلية والمفعولية كانا ككرتين حادتين متداخلتين واحدة في المنظر مثناة في المخبر ولما ظهر ذلك الجسم بفعلياته ظهر باختلاف المراتب التي كانت فيه بالقوة فظهر مرتبته الفعلية ببعض الأجسام ومرتبته المفعولية ببعض.

ومن البين ان الجسم اللطيف الرقيق احكى للجهة الفعلية والجسم الجاسي الكثيف احكى للجهة المفعولية وذلك بيت لا ستر عليه عند الحكيم ثم لما كان لجهته الفعلية مراتب اعلى جميعها مقام الوحدة والاجمال الصرف وادناها مقام الكثرة والتعلق بكثرات حيث المفعولية وبينهما بين بين يعني هو غاية البساطة ومبدأ التركيب والتفصيل ظهر أعلى السموات بالوحدة الاطلسية كالعضد واسفلها الأفلاك المتعددة كأصابع يد الحكيم وبينهما الزندان اللذان هما اشد تكثراً من الاطلس العضد واشد توحداً وأقرب إلى الوحدة من الاصابع الفلكية فبذلك انبسط يد الحكيم بالعطاء والانفاق ينفق كيف يشاء.

فهذه الأفلاك هي بعينها أفراد وأشخاص للفعل المطلق الجسماني المتعلق بالجسم المطلق وهي وجوه ذلك الرأس من الفعل فهي افعال الله بعينها غاية الأمر انها تسمى بأسماء أخر كما روى عنهم في حديث المعاني والبيان نحن أمره وحكمه[١].

---

(١) عن جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: يا جابر عليك بالبيان والمعاني، قال فقلت: وما البيان والمعاني؟ فقال عليه السلام: أما البيان فهو ان تعرف ان الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، والمعاني فنحن معانيه ونحن جنبه وأمره وحكمه وكلمته وعلمه وحقه، وإذا شئنا=

وفي حديث شهاب بن طارق نحن مشيئته [(١)].

ومع ذلك يسمون بمحمد وعلي وحسن وحسين عليهم السلام من حيث الخلقية فكذلك السموات والكواكب فهي أمر الله سبحانه ووجوه مشيئته وتسمى بالسموات والكواكب في عرصة الخلق وليس ببدع وهل المشيئة إلا خلق من خلق الله له مادة وصورة وجوهر وعرض فهذه الأفلاك أيضاً خلق من خلق الله له مادة وصورة وجوهر وعرض فأي مانع من ان تكون بعينها هي مشيئة الله المتعلقة بتربية العالم السفلي وهي بنفسها مخلوقة بنفسها كما بينا وشرحنا.

ولعمري لو ضربت اباط الإبل في بسيط الأرض لا تجد مثل هذه التحقيقات الانيقات ولا قوة إلا بالله وهل هي إلا انها خرجت من عند آل محمد عليهم السلام ببركات مشايخنا رضوان الله عليهم القرى الظاهرة بيننا وبين القرى المباركة فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين اللهم ما بنا من نعمة فمنك لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأنت المشكور على ما بهم منحتنا وفيهم اوليتنا فلك الحمد.

فتبين وظهر لمن نظر واعتبر ان هذه الأفلاك والكواكب هي مشيئة الله سبحانه في أحداث ما يشاء وهو الشائي والفاعل وحده لا شريك له ولا يفعل ولا يشاء بذاته وإنما يفعل ويشاء بفعله ومشيئته وهي خلقه ولا بد من المشاكلة بين المشاء والمشيئة وهذه الأفلاك هي المشاكلة للمواليد السفلية وهي اصابع الحكيم في تقليب ما يشاء كيف يشاء.

= شاء الله ويريد الله ما نريده؟ ونحن المثاني التي اعطى الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين اظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وأن إلينا إياب هذا الخلق ثم ان علينا حسابهم (مشارق أنوار اليقين ص ١٨١).

(١) مشارق أنوار اليقين ص ١٦٩.

واما نفس الأفلاك والعناصر فهي مراتب الجسم المطلق خلق جميعها بنفسه يعني خلق السماء بنفسها وخلقت الأرض بنفسها وليس ان الأرض خلقت بالسماء بل الأرض خلقت قبل السماء كما نصوا عليه عليهم السلام وذلك ان السماء جسم والأرض جسم والجسم لا يوجد جسماً آخر من العدم وإنما موجدهما ربهما وهما من حيث الجسمية مخلوقتان بأنفسهما ممسكتان بظلهما إلا ان هذا الجسم المخلوق بنفسه له مراتب بين اللطافة والكثافة على التشكيك لهما مادة واحدة وصور مختلفة كمراتب المشكك نعم بينهما الترتب العرضي على نحو التنزل والاجمال والتفصيل وليس يبلغ بهما الاثرية والمؤثرية إذ المؤثر يوجد الاثر من العدم بمادته وصورته وهذا لا يستقيم في السماء والأرض إذ مادة الأرض المفروضة اثريتها متحدة مع السماء المفروضة مأثريتها والشيء لا يوجد نفسه من العدم فهما معاً جسم مخلوق بنفسه له مراتب لطيفة مخلوق بنفسه ونفسه مشيئة مشاكلة له في اللطافة وكثيفه مخلوق بنفسه ونفسه مشيئة مشاكلة له في الكثافة فهما زوجان مخلوقان بأنفسهما كآدم وحواء ولم يخلق آدم وحواء وإنما خلقا بدعاً إلا ان حواء خلقت من ضلع آدم الايسر أي من جهة انيته ونفسه وكذلك خلق الأرض من جهة انية السماء ونفسها وآدم السماء مقدم دهراً على حواء الأرض وان كانت الأرض مقدمة ظهوراً في الصعود تقدم الجسد على الروح.

فالسماوات والأرض مخلوقتان بأنفسهما ممسكتان بظلهما وبعد حدوثهما قامت تدور السماء على الأرض أفعالاً عرضية للأرض من التحريك والتسكين والتصعيد والتهبيط والتلطيف والتكثيف والترقيق والتغليظ والحل والعقد والتركيب والتفريق وتحدث فيها مواليد فأثر

الأفلاك أعراض حقيقة جسم الأرض لا عينها فتدبر ولا تغفل فإن أثر الأفلاك في الأرض كأثر الفيلسوف في الحجر فالفيلسوف هو مؤثر أعراض حقيقة الحجر من لطافتها وكثافتها وتصعيدها وتنكيسها وتصويلها ونخلها وحلها وعقدها وتفريقها وجمعها لا عينها إذ لم يوجدها من العدم فالأفلاك بعينها هي كالفيلسوف إلّا أنها ملكية ذات جهة واحدة ولكل كوكب جهة واحدة ليس يطلع كل كوكب على فعل الآخر.

والإنسان له حقيقة جامعة مركب من حصص من كل واحد يصدر عنه فعل كل واحد وهو مطلع على ما يفعل بكل جهة وكذلك رب هذه الأفلاك والعناصر هو المطلع بما يفعل بكل كوكب ولكن كل كوكب ليس يطلع على فعل الآخر ولا يدركه كما لا يدرك عينك فعل سمعك ولا سمعك فعل ذوقك ولا ذوقك فعل شمك ولا شمك فعل لمسك وإنما أنت المدرك المطلع على فعل كل واحد الفاعل عن عمد بكل واحد وهي مقهورة تحتك فكذلك رب السموات والأرض هو المطلع الفاعل العامد المريد الشائي يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته وبكل نجم شيئاً ولا يطلع ذلك النجم على أزيد مما وكل به وهو عبد مأمور منهي متصرف فيما وجه إليه وخلق لأجله وليس يعلم تدبير الملك وارتباطات الأمور والتراكيب.

فالمريخ مثلاً يعلم بالتسخين وهو حي قادر على السخونة واما انه متى ينبغي ان يسخن وما ارتباط سخونته بسائر الاوضاع وما وجه المصلحة وما سر الحكمة فليس يعلم وإنما هو شأن الرب ومثله كسياف واقف على رأس السلطان وكل بالقتل ويأمره بقتل رجل فيقتل وهو لا يدري ما تقصيره وما وجه الحكمة في قتله واي ارتباط لقتله

بسياسة الملك وتدبيرها واي منفعة له في العباد والبلاد وإنما هو آلة القتل فالسلطان إذا رأى المصلحة والحكمة في القتل يستعمله فيقتل وهو حي قادر على القتل غضوب لا غير وليس له إلا هذه الجهة من الخدمة.

وكذلك أمر الكواكب في آثارها ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٣-٤] فهي (أي النجوم) كالمضطر في وجوه خدمتها لا تعقل غير ما وكلت به ولا تحب غيرها ولا تقصد سواها ولا تشتهي دونها فلذلك دائبة في خدماتها لا تمل ولا تفتر إذ نشاطها وحياتها في وجه وجهت إليه ورزقها ومددها منه فلذلك صارت تدوم دائبة فيما خلقت لاجله وهذا الوجه الذي تحير فيه الحكماء والعلماء ولم يعرفوا وجهه وعجزوا عن معرفة حركة السموات هل هي طبيعية فلم تصعد وتنزل وتغرب وتشرق أم حيوانية فلم تفتر ولا تتعب ولا تكسل والحيوان متحرك بالارادة فما تريد الفلك من هذه الحركة المستمرة المتسقة فتحيروا ولم يعرفوا سر حركته.

واعلم أن بين الحيوان الارضي والحيوان الفلكي فرقاً فإن الحيوان الارضي له جامعية نسبية فإنه انسان ناقص وهو يجمع الطبائع وخصال بعض الأفلاك ألا ترى ان أعاليها تقرب من الإنسان ومن شعوره وتدابيره فالحيوان الارضي من الكلمات القريبة إلى التمام والحيوان الفلكي هو الحرف ولذا قلنا انه ملكي والحرف الواحد لا يمل عما هو به وعما جبل عليه وإنما يمل الكلمة المركبة فإنها في كل آن لا بد وان تشتغل بشغل هو مقتضى حرف واحد فإذا اشتغل ابجد بشغل الألف ينافي ذلك الشغل طبع الباء والجيم والدال فتتعب تلك الحروف

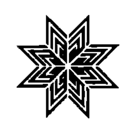
فيصيبها التعب والملالة وكذلك عند اشتغالها بشغل سائر الحروف واما عند اشتغالها بشغل الألف ليس تتعب الألف أبداً بل تنشط وتتقوى وتزداد من كل حيث فلأجل ذلك صار الحيوان الارضي يصيبه الملالة والسآمة ويحتاج في نشاطه إلى الاشتغال بمقتضى كل جزء منه حتى يستمد كل جزء منه بلسان دعوة عمله من ربه ويمده بما به قوته ونشاطه فافهم.

واما الحيوان السماوي الحرفي الملكي ليس يتعب عما يفعله لأن حياته وقوته ونشاطه ومدده ألا ترى ان النار لا تمل من الاحراق وهي أيضاً كما قدمنا حية بحياة حرفية ملكية والماء لا يمل من التبريد فهذا هو الوجه الذي خفي على الحكماء الماهرين فالحمد لله رب العالمين ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] فلأجل ذلك صارت الأفلاك دائبة في مجاريها بلا فتور حتى اشتبه على القوم هل هي اموات أم احياء وحركاتها طبيعية أم ارادية وقد عرفت والحمد لله انها حيوانات مريدة فعالة مدبرة شاعرة إلا انها ذات جهات واحدة وشعورات واحدة وارادات واحدة وحياة ملكية حرفية وهي اشبه شيء بالطبيعيات والمضطرات فتبين والحمد لله صدق ما قلناه وحقية ما ادعيناه وانه ايمان محض لا كفر فيه ولا شرك وان القوم نفخوا في غير ضرام وتكلموا في غير المرام فانقطع الكلام فنختمه.

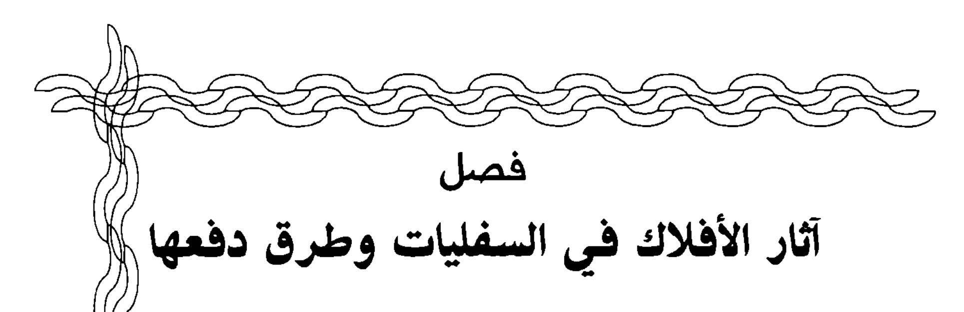
بحديث الصادق عليه السلام مع عبد الملك الزنديق قال يا اخا أهل مصر تفهم عني فانا لا نشك في الله أبداً اما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على ان يذهبا فلم يرجعان وان كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً اضطرا والله يا اخا أهل

مصر إلى دوامهما والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر قال الزنديق صدقت الخبر[١].

وهذا معنى اضطرارهما وإنما هو اضطرار الملائكة في خدماتهم وليس معناه انها لا حياة لها فكم من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فافهم عنا وتدبر والسلام على أهل الكلام.



(١) الكافي ١/ ٧٣.



فصل
آثار الأفلاك في السفليات وطرق دفعها

إعلم ان الأفلاك كما عرفت حية مؤثرة مدبرة شاعرة وتأثيرها في صفات السفليات وأعراضها وتأليفاتها العرضية وجميع مؤلفاتها عرضية فإن كل مؤلف منها شيء من شيئين وكل شيء حصل من شيئين يعود إلى شيئين فتأليفاتها أعراض عارضة من تحريك الأفلاك وكواكبها باشعتها المطروحة على العناصر فتلطف وتكثف وترقق وتغلظ وتحل وتعقد وتصعد وتنكس وتقرب وتبعد وتؤلف كما شاء الله سبحانه وقدره ورضاه.

واصل الجسم السفلي هو القابل لتلك التصرفات وتلك التصرفات أيضاً تتوارد على التعاقب على الأجسام فإذا ورد مؤثر عليها وهي إمكان جميع الصور وقوتها يقوى ذلك المؤثر ويرجح إحدى تلك الصور فيخرجها من القوة إلى الفعلية فإذا تلبس جسم بتلك الصورة التي ألبسها المؤثر الأول صار ذلك الجسم مع تلك الصورة قابلاً لأثر المؤثر الثاني فاما ان يغلب المؤثر ويمكنه ثم يكونه على حسبه واما ان يضعف عن تغييره أو يمتنع فلا يتأثر واما ان يغلب في الجملة فيغيره في الجملة فلذلك صارت الأمور بين فاعل وقابل فالفعل من الفلكيات والانفعال من العنصريات فما لم يصدر الفعل عن الفلكيات لم يكن حدث وما لم ينفعل العناصر لم يكن وليس بمحتوم وقوع آثار المؤثرات الفلكية ولذلك يندفع آثارها بالصدقات والدعوات والتوكل

وغيرها من الأمور الشرعية بل وبغيرها من الأمور الكونية ألا ترى انه يمر قرون ولا ينزل بلاء على أهل الأرض أبداً ويعيشون في عافية ونعمة مع انها يقع فيها جميع القرانات ويتفق فيها جميع الاوضاع وربما يأتي قرن يقع فيه أكثر البلايا والطواعين والقحط والغلاء والاوباء ولم يقع فيه قران عظيم ونظر غريب فتبين ان الأمر بين القوابل والفواعل ولذلك أهتم الأنبياء عليهم السلام باصلاح القوابل وامروهم بالدعوات والبر والصدقات لئلا يقع آثار الاوضاع الفلكية فيهم ويتقوى بنيتهم فلا تنفعل عن تلك المؤثرات وإلا فأغلب تلك القرانات تتجدد وتتكرر وليس يشابه اوضاع القرون مع تشابه اوضاع الافلاك.

فلما رأى العلماء امثال هذه الأمور ولم يعرفوا المخلص منها تحيروا فمنهم من أنكر التأثير ومنهم من أنكر الاطلاع ومنهم من قال غير ذلك وإنما الأمر على ما ذكرنا ألا ترى انه يتولد في آن واحد ولد لسوقي وولد للسلطان أو توأمان معاً في غشاء واحد ويجري على كل واحد غير ما يجري على الآخر مع اتحاد زائجتهما وليس ذلك إلا من جهة اختلاف القوابل والوضع الواحد من الفلك يحدث في كل بقعة وفي كل شيء شيئاً وإنما ذلك لاختلاف القوابل ومن اجل ذلك نسبوا كل شيء إلى نجم وقالوا انه يربيه وذلك انهم لما رأوا مشاكلة الطبع واستعداد التأثير والتأثير بينهما قالوا ان الجندي مثلاً منسوب إلى المريخ والعلماء إلى المشتري مثلاً فلا يؤثر المريخ في العلماء أو يؤثر قليلاً ولا يؤثر المشتري في الجندي أو يؤثر قليلاً وذلك ان الهواء الحار اليابس اشد ضرراً على المحروري اليابس والصفراوي من ضرره على المرطوبي البارد والهواء البارد الرطب اشد ضرراً على المرطوبي البارد من ضرره على المحروري اليابس الصفراوي فإن كل

قابل يدفع عن نفسه ما ينافره اللهم إلا ان يغلب عليه ويقبل إلى نفسه ما يشاكله ولذلك لا يفلج الشاب إلا قليلاً ولا يحم الشيخ بالمحرقة إلا قليلاً فافهم ذلك.

فجميع الآثار العلوية يشترك وقوعها بقبول القابل والشرع الشريف يجعل القابل بحيث يقبل الآثار الحسنة والمحبوبة ويدفع عن الإنسان الآثار المبغوضة قال الله سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] (ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض بكفرهم لعناهم يهديهم ربهم بإيمانهم).

وعن النبي ﷺ ما من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا وقد امرتكم به وما من شيء يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه[1] فافهم.

وان قلت: فإن كان الشرع وامتثاله يكفي في دفع ضرر النجوم فما بالك تصرف الوقت في تأليف هذا الكتاب في علم الاحكام وكثيره لا يدرك وقليله لا ينفع؟.

قلت: ان غرضي هو علم ذلك وشرح مجاري افعال الله واسمائه وصفاته وقدره وقضائه وبيان اسراره ما يزيد في معرفتك بالله وتنتفع ببعض ما اطلعت عليه فتدفع الضرر المظنون بالدعوات والصدقات والبر وتعرف به بعض الوقائع الكلية ومجاري القدر ومواقع القضاء بالامضاء ألا ترى ان رسم كتابي على غير نهج كتب القوم فاشكر الله على ما أولاك من هذا الكتاب فإنه مملو من معارف الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ١٢٩.

بالجملة لا يقع حادث بين السماء والأرض إلا بفاعل وقابل وذلك سر الاختيار الربوبي وليس كما ظنه السيد المرتضى رحمه الله إنا لو قلنا بتأثير الأفلاك للزم الجبر وسلب الاختيار منا فتدبر.





فصل
الأجسام الظاهرة وتأثرها بالأفلاك

بقي هنا مطلب دقيق وأمر بالبيان حقيق وهو ان الأعراض السفلية لو كانت كلها بالمؤثرات العلوية فإن كل حادث مسبوق بفعل فاعله البتة فجميع الصور القابلة أيضاً حادثة بالاسباب السماوية فبالمؤثر السابق يحدث القابل ثم بالمؤثر اللاحق يحدث الأثر اللاحق ويظهر على حسب القابل فينتقل الكلام إلى المؤثر الأول واحداثه القابل ونسأل عن وجه تخصيص كل شيء بشيء وهي مسألة مهمة عجيبة عويصة.

فأقول ولا قوة إلا بالله ان الجسم المطلق الذي هو إمكان هذه الأجسام الظاهرة هو آخر مراتب الوجودات المطلقة الكلية وأبعدها عن المبدأ وأشدها تكثراً وقد خلق بنفسه كما مر ولما كان الفعل تمام القوة والظهور تمام البطون والأفراد وجود المطلق وتمثله في الخارج.

وما لم يكن كليات الحكمة تامة في ظهورها تامة في بطونها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم[1].

---

(١) كثيراً ما يستخدم المصنف هذه العبارة في كتاباته وهي بالأصل للامام الصادق عليه السلام في حديث له مع المفضل بن عمر ولعظيم نفعه ننقله بتمامه ولعل له ارتباطا بفصل قريب من فصول هذا الكتاب سوف يتطرق له المؤلف.

عن المفضل بن عمر الجعفي قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام وقد =

. . . .

= خلوت به فوجدت منه فرصة اتمناها: أسألك يا مولاي عما جرى في خاطري من ظهور المعنى لخلقه بصورة مرئية، فهل الذات تتصور، أو تتجزأ أو تتبعض أو تتحول عن كيانه أو تتوهم في العقول بحركة أو سكون، وكيف ظهور الغيب الممتزج بخلق ضعيف، وكيف يطيق المخلوق النظر إلى الخالق مع ضعف المخلوق. فقال عليه السلام: يا مفضل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، يا مفضل، علمنا صعب مستصعب، وسرنا وعر بعيد على اللسان ان يترجم عنه إلا تلويحاً، وما يعرف شيعتنا إلا بحسب درايتهم لنا، ومعرفتهم بنا، وسحقنا لمن يروي ما لا يدري، ويعتقد ما لا يتصرف في عقل، ولا يتضح في لب، وذلك ايمان اللسان، ووعر الحواس والحجة فيه على صاحبه، وذلك ان القرآن نزل على إياك اعني واسمعي يا جارة، فاستمع لما يوحى إليك وانظر بعين عقلك، وانصب بنور لبك، واسمع وعِ، فقد سألت عن بيان عظيم، وحق يقين، وسألقي عليك منه سؤالاً ثقيلاً، وهو الذي ضل في معرفته أكثر الخلق إلا من رحم ربك، انه الغفور الرحيم، وما أنبأ به الباقر عليه السلام لجابر من الوعر الذي خفي عن سائر العالم إلا عن صفوة المختصين والبلغاء المستحفظين الذين اخلصوا واختصوا وشهدوا الحق بما عملوا وصدقوا بما عاينوا، كما ذكر في التنزيل قول السيد إلا من شهد بالحق وهم يعلمون انه الحق، والأمر يا مفضل لطيف وسر هذا العلم غامض. واعلم ان الذات تجلى عن الاسماء، والصفات غيب ممتنع لا يمتنع عنه باطن، ولا يستر عنه خفي لطيف، ولا شيء أعظم منه موصوف باتصافه له، مشهور بآياته، معروف بظهوراته كان قبل القبل، إذ لا قبل ان يحيث الحيث، بحيث لا حيث غيره، وقبل المكان، إذ لا مكان إلا ما كونه، وهو إلى ما لا نهاية له لا يحول عن حال، ولا عما كان منه من كيانه، ولا يفتقر إلى شيء فيستعين به، ولا انتسب إلى غيره، فيعرف به، بل هو حيث هو وحيث كان، فلم يكن إلا هو.يا مفضل: ان الظهور تمام البطون، والبطون تمام الظهور، والقدرة والقوة تمام الفعل، ومتى لم تكن كليات الحكمة تامة في بطونها، تامة في=

. . . .

= ظهورها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم، وان كان قادراً. قال المفضل قلت: زدني يا مولاي شرحاً يحيى به من قرب، وتقرب من مشى بنورك وعرفك حقيقة المعرفة. فقال عليه السلام: يا مفضل، ان ظهور الازل بين خلقه عجيب، لا يعلم ذلك إلا عالم خبير، وان الذات لا يقال لها نور لأنها منيرة كل نور، فلما شاء من غير فكر ولا هم اظهار المشيئة وخلق المشيئة للشيء، وهما الميم والشين، فأشرق من ذاته نور الضياء ظلاً فأقام صورة الموجود بنفي الضياء والظل، وجعل النور باطنه، والذات منه مبدؤها، وكذلك الاسم غير متحد بنوره ما رأى خلقه بخلقه، فإذا بطن ففي ذاته وغيبه، والذي ليس شيء كهو إلا هو فتعالى الله العظيم. يا مفضل: وسألت عن المشيئة كيف أبدأها منشئها، فافهم ما أنا ذاكره لك يا مفضل، فقد سألت عن أمر عظيم، ان مولاك القديم الازل تعالى ذكره يبدي مشيئته لم يزل لها عالماً، وكانت تلك الارادة من غير همة ولا حدوث انه يظهر المشيئة التي هي اسمه ودل بها إلى ذاته لا لحاجة منه اليه، ولا غيب به، فلما بدت الحكمة عند ارادته يكون الاسم والعلم بان الحكمة اظهار ما في الكيان إلى العيان، ولو لم يظهر ما علمه من غامض علمه إلى وجود معاينة بعضها لبعض، لكن ناقصاً والحكمة غير تامة، لأن تمام القوة الفعل وتمام العلم المعلوم، وتمام الكون المكون، فافتح يا مفضل قلبك امامك واعلم ان النور لم يكن باطناً في الذات فظهر منه ولا ظاهراً منه فبطن فيه، بل النور من الذات بلا تبعيض، وغائب في غيبه بلا استتار. يا مفضل، اخترع الاسم الأعظم والمشيئة التي أنشأت الأشياء، ولم يكن للنور عند اختراعه الاسم زيادة ولا نقصان، والاسم من نور الذات بلا تبعيض وظاهرة بلا تجزؤ، يدعو الى مولاه ويشير الى معناه، وذلك عند تغير كل ملة لإثبات الحجة، وإظهار الدعوة، ليثبت على المقر إقراره، ويرد على الجاحد إنكاره، وإن غاب المولى عن أبصار خلقه، فهم المحجوبون بالغيبة، الممتحنون بالصورة. يا مفضل الذي ظهر به الاسم ضياء نوره وظل ضيائه الذي تشخص به الخلق لينظروه ودلهم نور الذات، ولذلك سمي نفساً ولأجل=

. . . .

= ذلك قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وأنا أحذركم أن يجعل محمداً مصنوعاً لكان الذات محدثاً مصنوعاً، وهذا هو الكفر الصراح. واعلم يا مفضل انه ليس بين الواحد إلا كما بين الحركة والسكون، أو بين الكاف والنون لاتصاله بنور الذات قائمة بذاتها، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٤٥] يعني ما كان فيه من الذات، فالصورة الانزعية هي الضياء والظل، وهي التي لا تغير في قديم الدهور، ولا فيما يحدث من الازمان، فظاهره صورة الانزعية وباطنه المعنوية وتلك الصورة هيولي الهيولات وفاعلة المفعولات وأس الحركات وعلة كل علة لا بعدها سر ولا يعلم ما هي الا هو. ويجب ان تعلم يا مفضل ان الصورة الانزعية التي قالت ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب منيع لا يدرك، ليست كلية الباري ولا الباري سواها وهو إثباتاً وإيجاداً وعياناً ويقيناً، لا هي هو كلاً ولا جمعاً ولا إحصاءٍ ولا إحاطةٍ. قال المفضل: قلت يا مولاي زدني شرحاً، فقد علمت من فضلك ونعمك ما أقصر عن صفته، قال: يا مفضل، سل عما أحببت. قلت: يا مولاي تلك الصورة التي رأيت على المنابر تدعو من ذاتها الى ذاتها بالمعنوية، وتصرح باللاهوتية، قلت لي إنها ليست كلية الباري ولا الباري غيرها، فكيف يعلم بحقيقة هذا القول؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا مفضل تلك بيوت النور، وقمص الظهور، وألسن العبارة، ومعدن الإشارة، حجبك بها عنه ودلك منها اليه، لا هي هو، ولا هو غيرها، محتجب بالنور، ظاهر بالتجلي كل يراه بحسب معرفته، وينال على مقدار طاعته، فمنهم من يراه قريباً، ومنهم من يراه بعيداً. يا مفضل: إن الصورة نور منير، وقدرة قدير، ظهور مولاك رحمة لمن آمن به وأقر، وعذاب على من جحد وأنكر، ليس وراءه غاية ولا نهاية. قلت: يا مولاي فالواحد الذي هو محمد؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو الواحد اذا سمي ومحمد اذا وصف. قلت: يا مولاي فعلى م باين (كذا) غير المعنى (كذا) وصف اسمه؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألم تسمع الى قوله ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب لا يدرك. قلت: يا =

نعوذ بالله فكانت السموات والأرض تمثلات الجسم المطلق ووجوده في الخارج اقتضت الحكمة ان تظهر تلك المراتب الكامنة في الجسم في عالم الفعلية والشهادة مفصلة ظهور الشجرة من النواة فظهرت بالعرش والكرسي والأفلاك العناصر ولما كان الجسم آخر مراتب المطلقات واشدها تكثراً ظهر على ما ترى ذا أجزاء وكثرات

= مولاي فما باطن الميم؟ فقال عليه السلام: نور الذات، وهو أول الكون، ومبدأ الخلق، ومكون لكل مخلوق، ومتصل بالنور منفصل لمشاهدة الظهور، ان بعُد فقريب، وان نأى فمجيب، وهو الواحد الذي أبداه الأحد من نوره، والأحد لا يدخل في عدد، والواحد أصل الأعداد وإليه عودها وهو المكنون. قلت: يا مولاي يقول السيد الميم أنا مدينة العلم وعلي بابها؟ فقال عليه السلام: يا مفضل إنما عنى تسلسل الذي سلسل من نوره، فمعنى قوله: وعلي بابها، يعني انه هو أعلى المراتب، وباب الميم ومنه يدخلون الى المدينة وعلم وهو المترجم بما يمده سيده من علم الملكوت وجلال اللاهوت. فقلت: يا مولاي يقول السيد الميم: أنا وعلي كهاتين لا أدري يميناً ولا شمالاً، وأقرن بين سبابتيه؟ فقال عليه السلام: يا مفضل ليس يقدر أحد من أهل العلم يفصل بين الاسم والمعنى، غير ان المعنى فوقه لأنه من نور الذات، اخترعه فليس بينه وبين النور فرق ولا فاصل، ولأجل ذلك قال: أنا وعلي كهاتين إشارة منه الى العارفين ان ليس هناك فصل، ولو كان بينه وبينه فاصل، لكان شخصاً غيره، هذا هو الكفر الصراح، أما سمعت قوله ﴿أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] وقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧] وإيمائها للعارفين ان يقال: ان الله بينه وبين بابه واسطة، استغنى عن العبارة، ومن عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة، ألم تسمع الى إشارة الاسم الى مولاه تصريحاً بغير تلويح، حيث يقول: أنت كاشف الهم عني، وأنت مفرج كربتي، وأنت قاضي ديني، وأنت منجز وعدي، ثم يكشف عن اسمه الظاهر بين خلقه فيقول: أنت على إشارة منه الى مولاي، فكانت الإشارة الى بابه أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب (صحيفة الأبرار ١/ ٢٧٥).

ونسب وآفاق بعضها مستوية وبعضها مائلة والكواكب بعضها قريبة من الأرض وبعضها بعيدة وبعضها مشاكلة في الطبع مع النار وبعضها مع لهواء وبعضها مع الماء وبعضها مع التراب وكل عنصر يكون كثير التأثر من كوكب قليل التأثر من كوكب آخر وكذلك يتفاوت حال البروج والمنازل والدرجات ونسبتها إلى العناصر وكذلك يتناوب اصل نسبها بالنسبة إلى الافاق مائلة ومستوية وكل كوب يشتد أثره في عنصر وفي افق ويضعف في افق وعنصر البتة ويظهر كواكب في افاق وتخفى في افاق وتقرب من مواضع وتبعد من مواضع وهكذا ويلزم تكثر التراب والماء والهواء والنار اختلافات ذاتية هي بها متكثرة ممتازة فلها جهات شرقية وغربية وجنوبية وشمالية وامثال ذلك فللأجسام الظاهرة اختلافات لازمة للتكثرات ذاتية تحدث بحدوثها بنفسها وليست من الأحوال العرضية الحادثة بدوران الأفلاك عليها فإن بالأفلاك يظهر ما قد كان وليس يوجد بها ما لم يكن.

وتلك الاختلافات الذاتية قد وجدت بأنفسها بعد ان لم تكن فاختلاف القوابل الأولية ليس من تأثير الأفلاك وإنما هي مما به الأجسام أجسام فلما وقع آثار الأفلاك وأشعتها وأنوارها عليها اختلفت في القوابل بحسب ذاتياتها نعم لما قبل القابل الاثر وتصور به حدث له قابلية ثانوية للاثر اللاحق فربما يقبل به اثر المؤثر اللاحق وربما امتنع فللاشياء كلها قابليتان اولية وثانوية طبيعية وعارضية وتختلف الطبيعية بالعارضية اختلافاً فاحشاً ثم إذا قبل المؤثر الثاني فرضاً حدث له قابلية اخرى لاثر المؤثر الثالث وهكذا فكل اثر سابق معد لقبول الاثر اللاحق ولذلك صار امور العالم تدريجية.

ألا ترى ان الفضة مثلاً ليست تقبل التصعيد ولا تصعد بالنار فإذا اوردت عليها الزئبق وحللتها به صارت قابلة للتصعيد فإذا سلطت عليها

النار صعدت وكذلك ليست قابلة للترويح حين كانت على ما هي عليه وحين انحلت في الزئبق وإذا صعدت قابلة للترويح والاحياء وليست صالحة للنفوذ في المراتب السابقة اما إذا حييت وروحت وصارت قابلة للنفوذ والصبغ وهكذا تتدرج مراتب القوابل للموجودات العرضية ولكن قابلية ذاتية اولية اصلية وجدت بعد ان لم تكن وليست مما برز بعد ما قد كان وشأن الأفلاك التكميل وابراز ما قد كان.

فافهم ذلك وأتقنه وأجره في جميع العوالم في كل عالم على حسبه وبذلك أظهر الله سر الاختيار الربوبي في جميع العوالم وهذه الشريعة المقدسة مما يغير القابلية ويعدلها ويقويها ويقوي دافعتها للمنافيات الواردة فتمتنع بها عن قبول آثار مكروهة وتستعد لقبول الآثار المحبوبة بل المؤثر الواحد يختلف تأثيره في بطون القوابل دائماً فكل وضع من الاوضاع الفلكية يكون رحمة على الابرار ونقمة على الفجار ألا تفهم ان الأفلاك هي هذه وحركاتها اللازمة لها هي هذه ويلزم هذه الحركات هذ القرانات وهذه الاوضاع دائماً وقران النحسين يقع دائماً في وقته.

وقران العلويين يقع دائماً في وقته وفي عصر الإمام عليه السلام وفي وقت غلبة العدل على قوم ليس يؤثر شيء من ذلك فيهم إلا الخير والكمال والنعمة والعزة والصحة وإنما تؤثر الشر إذا استعدت القوابل بالجور والظلم والغشم نعوذ بالله.

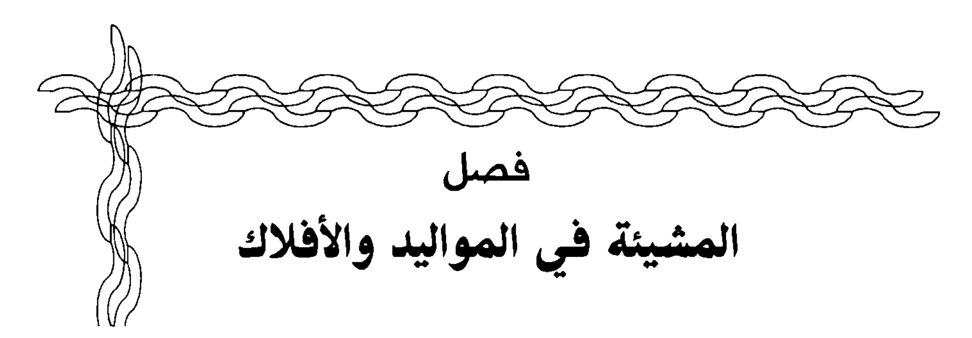
ألا ترى في هذه الأيام كيف تتوارد البلايا والافات والطواعين والاوباء ولم يكن في القرن السابق كذلك أبداً ويقع الان بأضعف قران آفات عظيمة وهذا هو الذي يفسد على المنجمين أحكامهم إذ غاية علمهم إذا علموا العلم بالمؤثرات وليس لهم علم بالقوابل فيكذب أحكامهم فليس القرآن العلويين في كل قوم وكل عصر وحكم واحد فلا

يعلم حقيقة الاحكام إلا العالم بالفواعل والقوابل وليس هو الإنسان الكلي المحيط بالسموات والأرض وهذا معنى ما ينسب إلى علي عليه السلام وهذا العلم لم يعلمه إلا نبي أو وصي الأنبياء وهذه الاوضاع هي ايدي تصرفات الولي الذي هو رحمة الله على الابرار ونقمته على الفجار.

وان قلت غلبة العدل في العالم أو في قوم أيضاً بأوضاع فلكية قلت لتكن ولكن تأثير المؤثر اللاحق يختلف بحسب القابلية الحادثة في السفليات بسبب المؤثر السابق ألا ترى ان نظراً يقتضي المطر إذا وقع الشتاء يكون سبباً للمطر وإذا وقع الصيف لا يصير سبب المطر ويصير سبب المطر مثلاً في الجبال لكثرة الابخرة فيها وبرد مواقعها ولا يصير سبب المطر في السهل والقفار ويصير سبب المطر في الأرض الحارة بجنبها ويصير سبب المطر في قريب البحر ولا يصير سبب المطر في البعيد عن البحر ومن يحيط بجميع القوابل.

هذا وعلم الضم والاستنتاج الحاصل من ضم الفواعل والقوابل علم آخر غير علم النجوم فأنى لهم بذلك ألا ترى ان الزرقة مع الحمرة تورث الفرفرة ومع الصفرة تحدث الخضرة ومع البياض تورث المائية وهكذا فبذلك اعرف الامر.

واعلم أن علم النجوم قليله لا ينفع وكثيره لا يدرك فذلك بحر ضل فيه السوابح نعم قد يتفق منهم احكام صحيحة في كليات الأمور لا الجزئيات وإذا صح منهم حكم ليس كما زعمه السيد المرتضى انه صح كما يصح حدس الحداس بل هو من باب الاطلاع على بعض العلم وهو أمر واقعي فتدبر.



فصل
المشيئة في المواليد والأفلاك

وكذلك الأمر في جريان المشيئة في جميع العوالم ولا يحدث حدث إلا بين فاعل وقابل وفعل وانفعال وفيه سر الاختيار وبه ظهور الرب المختار لأن الكل آية الواحد القهار والاشارة إلى ذلك ان الله سبحانه جعل كل مخلوق آية وأحديته واختياره فجعله يدين له يفعل بإحدى اليدين فيه ويقبل بإحدى اليدين ولا فعل ولا قبول إلا به سبحانه ولم يجعل لليد الفاعلة استيلاءً على القابلة ولا للقابلة استقلالاً بدون الفاعلة إذا لكل ظهور نوره فخلق كل شيء في مقامه عند مؤثره القريب بنفسه وجعله فعله ومفعوله فصبغ فعله المطلق فيه على حسب دعوته فأجابه به قل لا ﴿يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وقبل الفعل حيث مفعوليته وذلك في الكون فعمر بذلك بسائط كل عالم ويراد بها الاكوان الجائزة والأمر المفعولي المطابق للأمر الفعلي فبذلك عمر ديار إمكان الأشياء الجائز وبسائط كل عالم فهو الإيجاد الكوني.

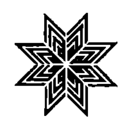
فلما حصلت الامكانات ووجد الماء الذي به حياة كل شيء ومنه كل شيء حي ادار الله سبحانه سموات ذلك الإمكان على ارضه بحركة شرعية وجعلها محال مشيئته التشريعية فبه قلب ارضها وحرثها وركب بعضها ببعض حتى أحدث منها مواليدها فجرى في هذا المقام أيضاً سر الاختيار الربوبي فلم يحدث حدث إلا بين فاعل وقابل وهذان

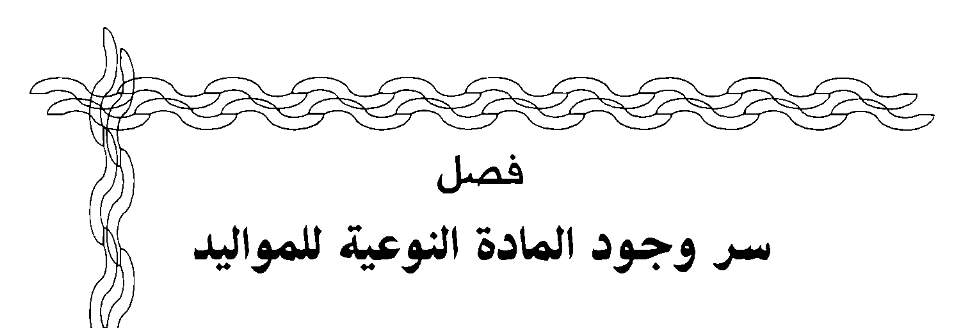
الايجادان جاريان من أعلى المشيئة إلى أدنى الخلق ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

ولكل شيء تكوين وتشريع ففي التكوين يوجد وجوده به وفي التشريع يحدث بأعلى وجوده صورة ادناه ويستخرج ما استجن من الحدود في ادناه ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝﴾ [الملك: ٣-٤] فأين الجبر وأين التفويض فالخلق التكويني هو الخلق النوعي لكل شيء والخلق التشريعي هو الخلق الشخصي له فالخلق النوعي في نفس المشيئة هو الاربعة الاجزاء الرطبة الرحمانية والجزء اليابس الهبائي وحلهما وعقدهما إلى ان جعله الله سبحانه ماءً له لطائف طافية وغلائظ راسبة فسقى الراسبة بالطافية وأدارها عليها حتى أخرج بها منها ما كمن فيها فطلع نبت المشيئة فعالة مؤثرة ولولا هذا التركيب الثاني الشخصي لما كانت المشيئة جامعة فعالة مؤثرة بجميع شؤون صفات الربوبية وجميع مظاهر الله سبحانه وكانت ملكية أضعف شيء اختياراً على حد اختيار الملائكة وذلك غير لائق بحضرة قدسه سبحانه فمزج الله سبحانه بين عاليه ودانيه وعابره وساحيه حتى صار المركب جامعاً لجميع الصفات حائزاً لجميع المراتب مجلى لجميع صفات الله سبحانه واسمائه وظهوراً لله الواحد الأحد بلا نهاية.

فلما كمل خلقه واستوى في اختياره على عرش الخلق ولم يكن شيء أقرب إليه من شيء آخر واستولى على ما دق وجل خلق الله سبحانه به الوجود الجائز وأوله العقل فإنه أول شجرة نبتت في أرض الامكانات الجائزة فخلق الله سبحانه بمشيئته المطلقة أولاً بسائط العقل أي امكانه الجائز والماء الذي منه يخلق ثم قسمه صنفين واتخذ

اعلاه يداً في خلق ادناه وتصويره الصورة الشخصية فأخرج به من كمون ادناه ما استجن فيه من الصور فصوره بها صورة شخصية جامعة حائزة لمراتب وجوده فلما كمل ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤] دراكاً عالماً بالشيء قبل كونه وكذلك لما أراد خلق النفوس والطبائع والأجسام فإنه السر الربوبي والتدبير الحكمي الذي لا يتخلف فبذلك عمرت الديار وظهر الجبار لا اله إلا الله الملك القهار.





فصل
سر وجود المادة النوعية للمواليد

إعلم أن الموجود الشخصي ليس يوجد بتركيب عين الانواع فيفرز حصة من العرض وحصة من الكرسي وحصص من الأفلاك وحصص من العناصر فتؤلف ويخرج الشخص وليس هذا معنى كلام المشايخ كل مولود خلق من عشر قبضات، بل ان الله سبحانه خلق مادة البسائط من جنس واحد إطلاقي ثم فصلها بين عال ودان فكمن في الداني ما ظهر في العالي وكمن في العالي ما ظهر في الداني، وإنما ادار العالي على الداني لابراز ما قد كمن لا إيجاد ما لم يكن، ولم ينزع حكمه من العالي للتركيب مع الداني فأداره عليه وطرح شعلاته بها من كمون لداني ما استجن فيه من صفة العالي فلما أخرج من الداني تلك الصفات صار الموجود بمنزلة المركب من العالي والداني وهو حقيقة مركب منهما.

وكون المولود من حصة من الداني بتكميل العالي أعظم شاهد على كون الولد من نطفة الأم بتكميل نطفة الأب وليس يفرز له حصة من نطفة الأب ونطفة الام في العالم الأكبر لطائف الأرض كما ان نطفة الأم أصلح جزء وألطف وهي من دمها الشرياني الصالح لدماغها فمنه ينزل إلى بين ثدييها إلى رحمها وكذلك المادة الشخصية لولد العالم حصة من لطائف الأرض يعمل فيها نطفة الأفلاك وهي الشعلات وتكملها وليس يمتزج بها حصة من الافلاك.

بقي شيء وهو ان المادة النوعية كيف وجدت ولم تكن ومن أي شيء وجدت. إعلم أن هذه المسألة من مشكلات علم الله سبحانه وغوامض حكمته لا يطلع عليها بحقيقتها إلا هو فإن غاية الموجود من أول وجوده إلى حيث ينتهي وليس يمكنه العلم بما فوق وجوده قبل ان يكون اللهم إلا ان يستدل ببعض آياته الظاهرة في رتبته بالنسبة بينه وبين افعاله وآثاره أو بمؤثره دونه وفعله وامثال ذلك.

بالجملة هو من غوامض حكمة الاله جل شأنه وليس يعرفه إلا العالم أو من علمه العالم وانا اشير إليه بقدر ما رزقني الله سبحانه مجملاً والتفصيل موكول إلى سائر كتبنا وليس هٰهنا موضع ذكره إلا انه عرض ولا بد من الإشارة إليه.

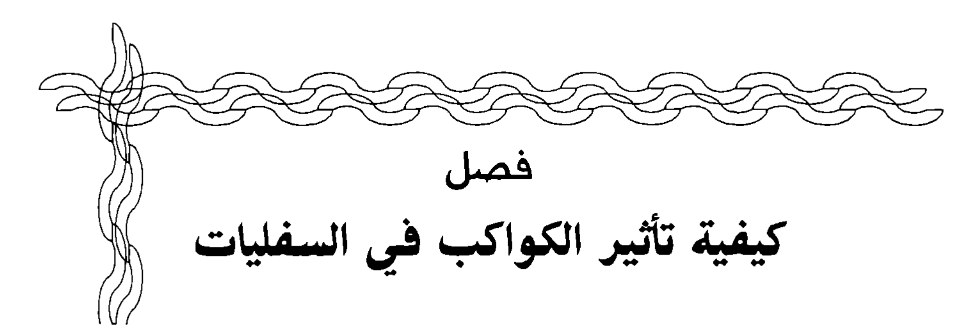
إعلم أن المادة النوعية ليس ان لم تكن في محل وجودها نعم لم تكن في رتبة الذات بل كانت ممتنعة فيها، وليست ان لم تكن معدومة أبداً كانت واجبة قائمة بنفسها لنفسها بل كانت دائمة وهي ادامة الرب القديم وكانت موجودة أبداً وهي إيجاد الله سبحانه وكانت ثابتة وهي اثبات الله جل شأنه وعرفنا انها ادامة الرب وليست بدائمة لنفسها إذ وجدناها مثناة وهي المفروضة في المسألة والدائم لنفسه أحد فإذا وجدناها مثناة عرفنا انها غير الأحد ورأينا الأحد اظهر منها فيها فعرفنا اضمحلالها عند الأحد وطي الأحد لها وامتناعها مع الأحد وقهر الأحد لها فعرفنا انها مخلوقة مدبرة وبذلك نحن نعرف كل مخلوق ولسنا ننظر إلى الدثور والدوام فإن ربنا جل شأنه إذا شاء ان يخلق الدوام خلق فالدوام المخلوق لا يميز عن القديم بالدوام ولا بالوجود بعد العدم وإنما يعرف باضمحلاله عند من خلقه دائماً وذلك سبيله.

فالمادة النوعية كانت موجودة دائماً بإيجاد الله سبحانه وادامته

ممتنعة الزوال بمنع الله زوالها وخلقها إذ خلقها بها فبدأ خلقها إذ صارت نفسها امتنع ان لا تكون إذ لا يوجد المعدوم وليس يخلق بغيره ولا غير وذات الواجب لا تتغير ولا تتبدل فوجب ان يكون المخلوق بالنفس دائماً مستمراً وهو الإيجاد الدائمي والاحداث المستمر ويمتنع زواله فإذا لا كيف لفعله كما لا كيف له وهو جمال الله وربك جميل وجلال الله وربك جليل وعز الله وربك عزيز وقدرة الله وربك قدير لم يستحصل لنفسه بعد ان لم يكن له نعوذ بالله وهو ظهوره سبحانه وتجليه الدائم وهو هو اثباتاً وايجاداً وعياناً وليس هو هو كلاً ولا جمعاً ولا احاطة.

فلما احدث المادة النوعية كذلك كان لها مراتب في كل مرتبة من الدرة إلى الذرة وهي هي مادة نوعية فأدار أعاليها على أدانيها كما مر وأحدث الحوادث الشخصية.

وقولنا كان لها مراتب اريد به ان في العالم الكلي فالمادة النوعية هي الإمكان الراجح ثم ظهر ببسائط العالم الكلي بعرش عقله وكرسي نفسه ومادة شمسه وأفلاك مثاله وعناصر جسمه ثم دارت افلاكه على عناصره فحصل منه ولد العالم الكلي وهو الإنسان الكلي الجامع لا غير إذ العالم أجزاء ملكية ملتئمة وليس الجامع منها إلا الجامع المؤلف من جميع ما فيه وهو الشخص الواحد الذي بيده مفاتيح الأمور وإليه يرجع الأمر كله ظهر كل واحد من هذه المراتب بأفلاكه وعناصره التي هي تمام بطونه وتمثل وجوده ثم دار أفلاك كل رتبة على عناصره حتى تولد منه المولود الجامع وسقط ما سقط قبل كماله لعدم استعداد الاجزاء فافهم فقد اشرت لك إلى كل شيء تريد وعندي اني بينت واوضحت وشرحت وفسرت وبرهنت ولكن أكثر الناس لا يعلمون فافهم إن كنت تفهم.



فصل
كيفية تأثير الكواكب في السفليات

وقد حان لنا ان نذكر كيفية تأثير الكواكب في السفليات على سبيل الكلية يفهم منه تفاصيل ذلك ولا قوة إلا بالله.

إعلم أن كل أثر لا بد وان يكون مثلث الكيان مربع الكيفية ونريد بتثليث كيان الشيء مبدأه ومنتهاه والرابط بينهما ويعبر عنه عند الالهيين بالعقل والنفس والجسم.

فالعقل هو أول ما يخلق من الشيء مجرداً عن المواد والصور والجسم هو منتهى وجود الشيء وشهوده وهو مركب من المادة والصورة.

واما النفس فهي رابطة بينهما تشابه العقل في التجرد عن المادة وتشابه الجسم في التمثل بالصورة ولهذا يقال انها صورة مجردة ويعبر عنها الفلاسفة بالروح والنفس والجسد فالروح هو الجوهر الصاعد والماء والجسد هو الجوهر الهابط والتراب والنفس هي الجوهرة الصاعدة ببعضها كالروح وبه تتعلق بالروح والهابطة ببعضها وبه تتعلق بالجسد وتسمى بالدهن فبذلك يتم وجود الشيء من مبدئه إلى منتهاه.

فالكون الأول هو جهة الشيء إلى ربه وحيث صدوره عن أمر ربه ومشاكلته به.

والكون الثالث هو جهة الشيء إلى نفسه وحيث هو هو وغاية منافرته لأمر ربه.

والكون الثاني هو البين بين رابط بينهما وسبب لتعلق الروح بالجسد ومؤلف بينهما وذلك سر سار في جميع الكائنات.

حتى ان المواليد تثلث لأجل ذلك فمنها ما غلب عليه جهة الجسد فحصل منه الجماد ومنها ما غلب عليه جهة النفس فحصل منه النبات ومنها ما غلب عليه جهة الروح فحصل منه الحيوان وهذه المواليد الثلاث هي المولود بين الاباء وهذه الامهات.

واما الإنسان فهو حقيقة ليس من المواليد بين هذه السموات وهذه الأرضين وإنما يحدث من أثر أوامر الشارعين سلام الله عليهم وهو المقبول وتلك الثلاثة هي حدود القوابل وكل هذا العالم قابلية للروح الانساني وبذلك قد تثلث اعضاؤك الرئيسة وارواحك فاعضاؤك الكبد والقلب والدماغ وارواحك الطبيعية والحيوانية والنفسانية باصطلاح الاطباء واما الروح الانساني فمقر العلوم وليس له انبعاث في البدن وإنما يحصل من التأدب بآداب الله بالجملة.

وأما الكيفيات الأربع فهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي مما لا بد في كل أثر فإن الأثر من حيث صدوره من فعل ربه وحركته الايجادية حار يابس في غاية الحرارة واليبس ثم تضعفان شيئاً بعد شيء إلى ان تصلا إلى غاية البعد وغاية ضعفهما فإن هنالك غاية برده ويبسه لأنه في غاية بعده عن مبدأ الحرارة واما يبسه هذا غير اليبس الذي كان لازم الحرارة من مبدأ الصدور فإن ذلك اليبس كان من جهة اضمحلال الأثر في مؤثره واستقراره تحت ظله وعدم ميله إلى شيء آخر وذلك اليبس قد ضعف شيئاً بعد شيء كلما بعد الاثر فاشتد ميله إلى غير مؤثره وارتباطه بغيره وانقطاعه عنه فرطب كلما بعد إلى ان بلغ غاية البعد ومقطع الاثر فهنالك زالت الرطوبة العارضة له في الطريق

لأنه بلغ السكون وحيث النفس وعدم الزوال من مستقره وعدم الانفعال لفعل الفاعل فبذلك قد يبس غاية البعد ومعنى يبسه غير يبس جهة المؤثر وما بين ذلك رطوبة وانتقال وميل ومطاولة فهذه الرطوبة كلما تنزل نازلاً تصير أقل وأبرد وكلما تصعد صاعداً تقل وتصير أحر وبين المقامين وهو الهواء والفضاء مقام غاية الرطوبة فبذلك حدث لكل حادث هذه الكيفيات فتسمى في الطبيعيات اعلاها بالنار وما يليها الهواء واسفلها التراب وما يليه الماء وتسمى المجموع بالعناصر.

وكل واحد عنصر فهذه العناصر في العقول عقلانية وفي النفوس نفسانية وفي الجسم جسمانية فلا يخلو منها حادث من الدرة إلى الذرة فمن زعم ان في الخلق بسائط حقيقية أو مجرداً حقيقياً فقد زعم ما يخالف الواقع.

فقد قال الرضا عليه السلام ان الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه[1].

وقال الله سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] واطبق الحكماء المحققون ان كل ممكن زوج تركيبي بالجملة هذه الكيفيات في الدهر دهرية وفي الزمان زمانية ومن زعم ان الأفلاك بسيطة فقد كذب وافترى بل هي مركبة من هذه الطبائع نعم ليست مركبة من العناصر السفلية وهي بالنسبة إليها كالطبيعة الخامسة واما كونها بسيطة من مطلقات الكيفيات فلا بل هي مركبة من عناصر دهرية مجردة عن المواد العنصرية والعناصر الدهرية (صور عارية عن المواد خالية عن القوة والاستعداد) فلما كان جميع عالم الزمان مخلوقاً دهرياً كان

(١) التوحيد ص ٤٦٣.

مخلوقاً من العناصر الدهرية فجميع الأفلاك مركبة من العناصر الدهرية كما ان كل عنصر من السفلية مركب من العناصر الدهرية وإنما صارت النار ناراً لغلبة العنصر الناري الدهري عليها والهواء هواء لغلبة الهواء الدهري عليه وكذا الماء والتراب، كما ان الصفراء لغلبة نار البدن النار العنصرية عليها والدم هواء البدن لغلبة الهواء العنصري عليه وهكذا.

فالأفلاك أيضاً مركبة من العناصر الدهرية وكل فلك قد غلب عليه عنصر وظهر بطبعه اجل هنا كيان ثلاثة فالعناصر السفلية كون جسماني للعالم والأفلاك والكرسي كون نفساني للعالم والعرش كون عقلاني فللعناصر جسم العناصر واغلظ مراتبها وللأفلاك والكرسي نفس العناصر واوسط مراتبها وللعرش عقل العناصر واعلى مراتبها وفي كل كون جميع الكيفيات موجودة إلا ان اللطائف للعرش والغلائظ للعناصر والمتوسطات للأفلاك كما ان اخلاط بدنك لطائفها للدماغ وأعالي البدن وغلائظها للرجل واسافل البدن ومتوسطاتها لا واسط البدن كما حققناه في كتابنا الحقائق والدقائق في الطب.

فكل من الأفلاك إنما ظهر بما هو ظاهر به لغلبة عنصر دهري عليه فلها طبائع وقد غلط من زعم انها بسائط خارجة عن الطبائع مطلقاً فزحل بارد يابس كما انتهى علمه إلى علماء الفن بالتجربة والاخذ عن الوحي والمشتري حار رطب والمريخ حار يابس وكذا الشمس والزهرة باردة رطبة وعطارد بارد يابس أو ممتزج والقمر بارد رطب واما الثوابت فلكل نجم منها طبع ولا يحاط بها.

فمن الكافي بسنده عن أبي عبد الله المدايني عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان الله عزّ وجلّ خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر

النجوم الستة الجاريات من ماء حار وروى من نار وهو نجم الأنبياء الخبر وقد مر[١].

وهذا نص في ان لها طبائع.

ومن الكافي بسنده عن محمد بن مسلم قال قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك لاي شيء صارت الشمس اشد حرارة من القمر فقال ان الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار فمن ثم صار أشد حرارة من القمر قلت جعلت فداك والقمر قال ان الله تعالى ذكره خلق القمر من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء فمن ثم صار القمر ابرد من الشمس انتهى[٢].

فهذا الخبر أيضاً شاهد بين ان الفلكيات مركبة من العناصر وغيرهما في الأخبار كثيرة وتسمية الله سبحانه السماء دخاناً شرح للاشكال ورفع لهذا الداء العضال عن الجهال.

فتبين وظهر ان للأفلاك أيضاً كيفيات والفرق بين كيفياتها وكيفيات العناصر ان العناصر حياتها في غاية الضعف والأفلاك حياتها متوسطة ولها حياة حيوانية وحياة العرش والكرسي أقوى منهما ولتلك الكيفيات مقتضيات تقتضيها لجواهرها في اللطيف على حسب لطافته وفي الكثيف على حسب كثافته وفي المتوسط على حسب توسطه واذكر لك بعض المقتضيات للكيفيات على حسب التمثل لتقيس عليها.

---

(١) الكافي ٨/ ٢٥٧.

(٢) الكافي ٨/ ٢٤١، تفسير القمي ج٢ ص ٣٧٩.

فالحرارة واليبوسة تنسب إليهما :

من الألوان الحمرة.

ومن الطعوم الحدة والحرافة.

ومن الاشكال الطول والدقة.

ومن الاوزان الخفة.

ومن الروائح الكريهة.

ومن الاخلاط الصفراء.

ومن الحواس الظاهرة العين.

ومن القامات الطويلة.

ومن الوجوه الاصفر ومن الصدور الوسيع.

ومن الرؤوس الكبر مع القصافة.

ومن القامات الطويلة.

ومن الوجوه الاصفر.

ومن الصدور الوسيع.

ومن الرؤوس الكبير مع القصافة.

ومن العين الصفرة الشهلة والجفاف والغور.

وفي الأنف سعة المنخرين.

ومن الأشجار الطويلة.

ومن الاثمار المرة اليابسة والكثيرة القشر والنواة.

ومن الحركات السرعة.

ومن اللغات التركية.

ومن الأخلاق التهور والبخل والشح والغضب وحب الشهرة والرياسة.

ومن المعادن الكبريت والنحاس والحديد.

ومن الجهات والرياح الجنوب.

ومن المراتب أعلى المراتب.

ومن الكيفيات التفرق والرقة.

وأمثال ذلك وعلى هذه فقس ما سواها.

والحرارة والرطوبة لهما:

من الألوان الصفرة.

ومن الطعوم الحلاوة.

ومن الاشكال الخراطة.

ومن الاوزان الوسط بين الخفة والثقل.

ومن الروائح الطيبة.

ومن الاخلاط الدم.

ومن الحواس الاذن.

ومن القامات المستوية.

ومن الوجوه الأحمر المنتفخ.

ومن الصدور الوسيع مع اللحم الكثير.

ومن الرؤوس الكبير اللحيم.

ومن العيون الكبيرة الحمراء.

ومن الأنوف المعتدلة.

ومن الأشجار المتوسطة.

ومن الاثمار الحلوة الكثيرة اللحم القليلة النواة الرقيقة الجلد.

ومن الحركات المتوسطة.

ومن اللغات العربية.

ومن الأخلاق الشجاعة والسماحة والغضب في محله وحب النساء والاعتدال في الأمور.

ومن المعادن الرصاص والياقوت.

ومن الجهات المغرب.

ومن الرياح الدبور.

ومن التراب المتوسطة المائلة إلى الأعلى.

ومن الكيفيات التفرق والرقة المتوسطة.

وامثال ذلك وعلى هذه فقس ما سواها.

والبرودة والرطوبة لهما:

من الألوان الأبيض.

ومن الطعوم التفه.

ومن الاشكال المستدير.

ومن الأوزان الثقيل قليلاً.

ومن الروائح ما لا ريح له.

ومن الاخلاط البلغم.

ومن الحواس الشم.

ومن القامات المربوعة مع كثرة السمن والشحم.

ومن الوجوه الابيض الكبير.

ومن الصدور الضيق الكثير الشحم.

ومن الرؤوس اللحيم السمين.

ومن العيون الكبيرة البيضاء والجاحظة والزرقاء.

ومن الانوف الاضيق المنخرين.

ومن الاشجار اللينة الرطبة والبقول والقثاء.

ومن الاثمار الكثيرة الرطبة التفهة.

ومن الحركات البطيئة.

ومن اللغات الفارسية.

ومن الاخلاق الحلم والشهوة للاكل والنكاح بالمفعولية والجبن والجفاء وضعف النفس والمداراة والمتابعة والطاعة والانقياد.

وامثال ذلك وعلى هذه فقس ما سواها.

والبرودة واليبوسة لهما:

من الالوان السواد.

ومن الطعوم المرارة.

ومن الأشكال القصر والمضرس وذووا الزوايا مع الدقة.

ومن الاوزان الثقل.

ومن الروائح الكريهة الغليظة.

ومن الاخلاط السوداء.

ومن الحواس الذائقة.

ومن القامات القصيرة والصغر في الاعضاء مع الدقة والقصافة.

ومن الرؤوس الصغير القصف.

ومن العين السوداء الغائرة الصغيرة.

ومن الأشجار الكثيرة البقاء الغليظة الساق.

ومن الثمار اليابسات المرة.

ومن الحركات البطيئة.

ومن اللغات الهندية.

ومن الأخلاق الجبن والوحشة والبخل والشح وحب الانزواء والتثبت في الامور.

ومن المعادن الرصاص الاسود والاحجار الصلبة كالماس.

ومن الجهات والرياح الشمال.

ومن المراتب السفلى.

ومن الكيفيات التفرق والخشونة.

وأمثال ذلك وعلى هذه فقس ما سواها.

فهذه المقتضيات تكون في كل درجة على حسبه وفي كل شيء بحسبه فكل فلكي يغلب عليه شيء من هذه الطبائع يقتضي امثال هذه الأمور ويشاكله من السفليات ما يغلب فيه تلك الطبيعة ولكل نجم شعاع وشعاع كل نجم مثله في الطبيعة فإذا وقع على الأرض يعمل فيما يشاكله أكثر وفيما ينافره أقل ثم يختلف الأمر بحسب قوة الفاعل والقابل ودرجاتهما في الكيفيات فالاشياء تتقوى بأشكالها وتتضعف بأضدادها وتتعارض الطبائع المختلفة في الفاعل والقابل والغلبة للغالب والاثر تابع له مع شوب المغلوب.

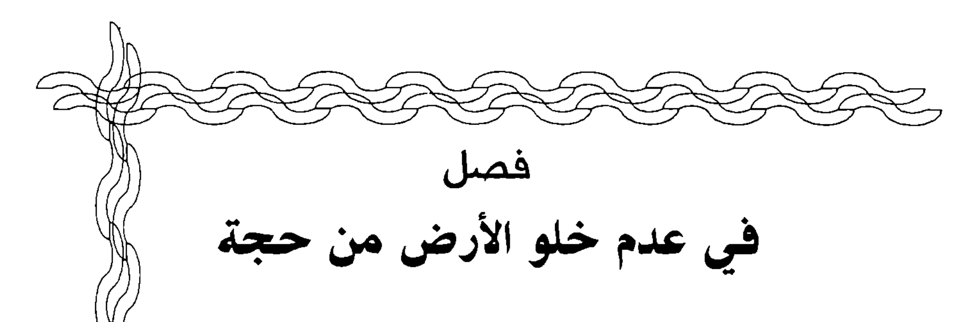
ثم لكل شيء جهات وذاتيات وعرضيات فلرب شيء ذاتيه من طبع ثم لونه من طبع وطعمه من طبع وريحه من طبع وهيئته من طبع ووزنه من طبع وهكذا كل صفة له من طبع أو مركب من طبائع ولكل طبع أو طبائع درجات لا تحصى ولذلك كل شيء من كل جهة وحيث منسوب

إلى نجم من النجوم حتى ان جميع النجوم مربية للشيء الواحد لاجل جهاته وحيثياته وحدوده وذاته وصفاته فإذا وقع اثر نجم عليه ربما يؤثر في حيث منه ولا يؤثر في حيث وفي منسوب إليه دون المنسوب الآخر وفي اعراضه دون ذاته أو بالعكس فلا يحيط بجميع ذلك إلا الله والكليون صلوات الله عليهم فإن الحوادث تحدث بين الفواعل والقوابل ولا يكفي في العلم بحال الحادث محض العلم بالفاعل ألا ترى ان في العلم بالاحراق لا يكفي محض العلم بحدوث النار فإن النار تحرق اليابس دون الرطب فالمنجم العالم بأوضاع النجوم على فرض علمه بأوضاع جميع النجوم لا يكفيه ذلك في معرفة الحوادث حتى يعلم جميع اوضاع السفليات وطبائعها في حيثياتها وجهاتها وجميع حدودها واوضاعها واضافاتها وذاتياتها وعرضياتها كلية في الكليات وجزئية في الجزئيات هيهات هيهات انى بمخلوق جزئي علم جميع ذلك.

ولذلك روى قليله لا ينفع وكثيره لا يدرك فليس صرف العمر في هذا العلم إلا تضييع العمر والوقت واما نحن فغرضنا غير غرض المنجمين فانا نريد الاستكمال بالعلم بما يمكن والاستعانة به في سائر علومنا ومعارفنا إذ كل شيء فيه معنى كل شيء وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد فنحن ممتثلون ان شاء الله قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ [ق: ٦] ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] فينفعنا صرف الوقت في تحرير هذه الرسالة دونهم ان شاء الله.

بالجملة لا يكفي علم النجوم وفي معرفة الحوادث بدون العلم الطبيعي الجزئي لا الكلي والمصدق للمنجمين المعتقد لاحكامهم مغرور مغرور والحكم به على البت محضة بقي هنا مسألة نعنون لها فصلاً .





فصل
في عدم خلو الأرض من حجة

إعلم أن الإنسان له قابلية ومقبول فقابليته جماديته ونباتيته وحيوانيته ومقبوله الروح الانساني فقابليته من مقتضيات هذا العالم ومتولدة بين السموات والأرض، اما مقبوله فليس من أبناء هذين الأبوين وإنما هو من أبناء الأنبياء والأوصياء ان كان الإنسان شرعياً واما الإنسان الكوني فهو أيضاً من أبناء المعلمين كائناً من كان ومستقر الروح الانساني العلوم وليس له انبعاث من هذا البدن الذي هو متولد من هذين الابوين الفلكي والعنصري فذلك الروح الانساني هو نور الواحد الواقع على المركب الجامع من العنصرية والفلكية من تحت حجاب الواجدية وهو ليس للسموات والأرض فإنها ملكية كما شرحنا مكرراً والقول بأن نفساً واحدة تتعلق بكلها كلام صدر عن غير محقق كما يأتي فانهما أي أجزاء السموات والأرض لم تتركب تركيباً اتحادياً يصير مرآة سر الوحدة إلا في قلب حجة كل عصر فحجة كل عصر هو الإنسان الكلي الجامع لجميع الأسرار والمقامات ولا دخل لصغر الجثة وكبرها في حكاية المطلق ألا ترى ان القطرة الواحدة تحكي الماء المطلق كما يحكيه جميع العالم لو كان ماءً بلا تفاوت فالحجة وان كان له جثة صغيرة فإنما قلبه عرش الرحمن.

ولا وسعني ارضي ولا سمائي فانهما ملكيان وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن [١].

ثم كل إنسان يحكي من الإنسانية بقدر جامعيته وصيرورة مراتب العالم فيه بالفعل فاجزاء العالم منفردة بعضها عن بعض ولم يتركب ولم يتحصل بالفعل إلا في قلب الولي لا في العرش ولا في الكرسي ولا في الأفلاك ولا في العناصر فكلها ملكية ذات جهة واحدة وان كان بعض اجزائه في الجملة اجمع من بعض ألا ترى ان ما سوى العرش ليس في العرش بالفعل والتفصيل وما سوى الكرسي ليس فيه بالفعل والتفصيل، ما سوى الشمس له في الشمس بالفعل والتفصيل وهكذا فكل جزء من العالم ناقص غير مستكمل كالملائكة.

ألا ترى ان العرش من يوم خلق عرش لا غير والكرسي من يوم خلق كرسي لا غير وهكذا البواقي كما ان جبرئيل من يوم خلق جبرئيل لم يترق ولم يستكمل وهكذا سائر الملائكة فليس لهذا العالم نفس كلية متعلقة به إلا النفس الكلية المتعلقة بالولي المترجم عن الله سبحانه المسخر له ما في السموات وما في الأرض الممالك كلها وإنما العالم دار مخلوقة له فسقفها سقف لا غير وجدرانها جدران لا غير وأرضها أرض لا غير وليس لها نفس كلية كنفس صاحب الدار إلا نفس صاحب الدار ولاجل ذلك لا يجوز خلو الأرض من حجة مظهر لله سبحانه قائم مقامه في الاداء بل جميع العوالم بالنسبة إلى الإنسان كذلك كلها ملكية إلا الإنسان.

وان قلت: فهل كان ظهوراً لله ناقصاً قبل وجود الاولياء الكملين الكليين في الدنيا وكيف يجوز ذلك ومن كان مظهر الظهور التام قبلهم.

---

(١) رواه في عوالي اللئالي ٤/ ٧.

قلت: هذه مسألة عويصة وجوابها أعظم منها وأشد عياصة.

إعلم انه محال خلو العالم من الإنسان الكامل وحجة لله سبحانه البتة وقد كان في العالم منذ خلق قائم لله بحجة أمير على السموات والأرض مملك اياهما قد سخرتا له بجميع ما فيهما فأول اولئك كان ابونا آدم عليه السلام بديع فطرة الله التي فطر الناس عليها فطرة التوحيد فخلقه بيده نفخ فيه من روحه وعلمه الاسماء كلها وسخر له ما في السموات وما في الأرض واسجده ملائكة السموات والأرض حتى انقادوا له بالذل وسخروا له فصار قبلتهم وجاههم ومبدأهم ومنتهاهم وسيدهم وأميرهم الذي يصدرون عن أمره ونهيه وعلمه الله سبحانه من اسمائه العظام خمسة وعشرين[١] مع انه علم نوحاً خمسة عشر

(١) إعلم أنه قد وردت أخبار في اختلاف عدد حروف الإسم الأعظم عند الأنبياء وسوف نذكر لك الروايات بذلك: عن هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام لم يحفظ اسمه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن عيسى ابن مريم أعطي حرفين وكان يعمل بهما وأعطي موسى بن عمران أربعة أحرف وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً وأعطي آدم خمسة وعشرون حرفاً وانه جمع الله ذلك لمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته وان اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطي الله محمداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفاً واحداً (بصائر الدرجات ص٢٢٩). عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً فأعطي آدم منها خمسة وعشرين حرفاً وأعطي نوحاً منها خمسة عشر حرفاً وأعطي منها إبراهيم ثمانية أحرف وأعطى موسى منها أربعة أحرف وأعطي عيسى منها حرفين وكان يحيي بهما الموتى ويبرىء بهما الأكمه والأبرص وأعطي محمداً اثنين وسبعين حرفاً واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد (بصائر الدرجات ص٢٠٤ ح٣). عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان مع عيسى ابن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف وكان مع إبراهيم ستة =

. . . .

= أحرف وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح ثمانية وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ ان اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً. (بصائر الدرجات ص٢٢٩).
عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له جعلت فداك قول العالم أنا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال فقال يا جابر ان الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً فكان عند العالم منها حرف واحد فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير حتى التقت القطعتان وحول من هذه أعلى هذه وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف في علم الغيب المكنون عنده. (بصائر الدرجات ص٢٠٥ ح ٨) عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب (بصائر الدرجات ص٢٣١)..
عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً كان عند اصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كان اسرع من طرفة عين وعندنا من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب عنده (بصائر الدرجات ص٢٢٩) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (بصائر الدرجات ص٢٢٩) عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفاً وإنما كان عند اصف كاتب سليمان وكان يوحى إليه حرف واحد ألف أو واو فتكلم فانخرقت له الأرض حتى =

وإبراهيم ثمانية وموسى اربعة وعيسى اثنين فكان هو الكافل لأمر السموات وكان كافياً لاستعمال الملائكة في أعمالهم وامساك الأرض والسماء وكان مظهر الرب عَزَّوَجَلَّ في الملك ومحتمل اعباء الربوبية إذ مربوب(١).

= التفت فتناول السرير وان عندنا من الاسم احدا وسبعين حرفاً وحرف عند الله في غيبه. (بصائر الدرجات ص٢٢٩) عن جابر عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال أن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير يده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (الكافي ١/ ١٧٩).

(١) الربوبية عدة مراتب عند أهل الحكمة بحسب ورودها في الأخبار فمنها:
الربوبية إذ لا مربوب: مقام الذات البحت الذي انقطعت عنه الاشارات، بل والدلالات، وهي ذات الله القدسية، ولا يجوز الكلام عند أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيها لأحد من الخلق، والمصطلح مأخوذ من خطبة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: له معنى الربوبية، إذ لا مربوب.
الربوبية إذ مربوب: هي فعل الله بجميع أقسامه، من المشيئة والإرادة والإبداع، وغيرها من المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، وهو المسمى بالعنوان والآية.
الربوبية إذ مربوب ذكراً وعيناً: مقام القيومية المطلقة التأثير، ورتبة الرحمانية، ومقام استواء الرحمن على العرش، ومقام إعطاء كل ذي حق حقه، والسوق إلى كل مخلوق رزقه، وهي مرتبة تعلق الفعل بالمفعولات.
الربوبية إذ مربوب ذكراً لا عيناً: مقام الواحدية ورتبة الإمكان الراجح، ومقام الفعل ومتعلق الأعيان الثابتة العلمية الإمكانية لا الأزلية، ومرتبة الفيض الأقدس، ومقام الاسم الأعظم، وهو أول الظهور بأول الظاهر من أول المظهر وهو ذكر الأشياء بالفعل قبل التعلق بالمفعولات.
(معجم مصطلحات الحكمة عند الشيخ أحمد الاحسائي).

ولم يكن من أولي العزم ثم بعده لم يخل زمان من قائم لله بحجة في مقامه ومحتمل لاعباء الربوبية في عصره ولو خلت الأرض منهم إذاً لساخت[١] كما روى في أخبار مستفيضة.

نعم لم يكن أحد منهم ظهور الرب الكلي والمستجمع لجميع شؤون الرب فكان التفاوت بينهم في نسبة بعضهم إلى بعض واما بالنسبة إلى العالم والاداء عن الله سبحانه بقدر الكفاية فكلهم على حد سواء فكان يولي كل عصر قوام العالم واساس نظام بني آدم وكان كل مظهر الربوبية الخاصة بذلك العصر من الله جل شأنه وكفى به لأمر ذلك العصر ولا يحتاج عصر إلى ازيد من ذلك ولا إلى مجرٍ لاسرار ربوبية عصر آخر كما ان القيام لا يحتاج في قوامه ودوامه إلى ازيد من جهة فاعليتك للقيام وهي الزيد الذي هو مرجع زيد قائم ولا يحتاج إلى الزيد الظاهر في القعود واما أنت فأنت الكلي الظاهر بجميع شؤونك واولئك الزيديون هم مظاهرك في جهات آثارك.

فعصر آدم قطعة من ملك الله قد توجه إليه رأس من رؤوس مشيئة الله وقد تجلى الله سبحانه في ذلك العصر بوجه من وجوه تجليه خاص ومجلى تمام ذلك التجلي هو قلب آدم عليه السلام وكذلك في كل عصر.

واما جميع شؤون الربوبية الظاهرة في جميع ما سوى الله سبحانه بالتفرق فلم يظهر مجتمعاً إلا في قلب واحد وهو الإنسان الكلي الأعظم الأعلى فهو المهيمن على الكل ومظهر الربوبية الكلية ومرجع أمر الكل ومبدؤه وهو واحد الملك ولما كان الواجب ان يظهر ذلك الواحد في جميع المراتب حتى الزمان والزمان متدرج مختلف الاجزاء

---

(١) ينظر مختصر بصائر الدرجات ص٨.

ظهر هو أيضاً في وقت دار الزمان على الاعتدال فظهر بظهوره ذو الجلال وهو الأمير على جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وما بعده وهو الظهور الأعظم لله سبحانه والمظهر الحاكي جميع شؤون الربوبية بقضها وقضيضها وهو المتصرف فيما كان وما يكون إلا انه كان في بعض الاعصار مستسراً وفي بعضها مستعلناً كما روي به تحركت المتحركات الماضية والآتية وسكنت سواكنهما[١].

فأفهم إن كنت تفهم وان قلت مقتضى سائر كلماتك في سائر كتبك ان ما لم يظهر في الزمان لم يكن في رتبة من مراتب الأكوان فالإنسان الكلي قبل ان يظهر في هذا العالم لم يكن في مرتبة من مراتب الاكوان فكيف امكن ان يكون الرب العظيم بلا مظهر كلي وبعدم الكلي يعدم الجزئي قلت ان الله سبحانه خارج عن الأوقات فلا يتخصص بوقت دون وقت وهو واحد لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقص وهو إذاً محيط بجميع ما لا نهاية له بلا نهاية وجميع ملكه حاضر لديه في محضر واحد بتفاصيله فإنه سبحانه غير محدود بحد ولا متناه إلى شيء من ملكه وله في عرصة هذا الملك مظهر كل واقف على الطتنجين ناظر في المشرقين والمغربين متصرف في النشأتين وهو الممالك الأعظم بوحدته وجميع ما سواه بالنسبة إليه وجودات ملكية وان كان بعضها اجمع من بعض وهو الذي خوله الله ملكه واعطاه السلطان عليه يطيعه كله خاضعاً متذللاً مطأطئاً وهو موجود دائم في محله لا يختص وإنما الهيمنة المختصة للملائكة الكروبيين ومن دونهم من الملائكة ومحل ذلك المظهر الأعظم السرمد والمثال الظاهر في مرآته الكينونة الأولى

(١) في الزيارة الجوادية للإمام الرضا عليه السلام أوردها في البحار ٩٩/ ٥٤.

والأزليةالأولية فهو بتلك العين يشاهد ما كان وما يكون إلى ما لا نهاية له لأنه لا نهاية لتلك العين وجميع المالكين الجزئيين حكاة وجه من وجوه هذا المظهر قائمون به داعون إليه معبرون عنه وهو ناطق عنهم آمر ناهٍ بلسانهم فاعل بأيديهم ما يناسب عصراً يليهم وجميع المظاهر في الملك مظاهره وحكاته وهو الظاهر بها لا يعوزه مظهر وان هذا البدن المخصوص في زمان مخصوص أحد مظاهره إلا انه اجمع من سائر المظاهر وهو قبلها وقطبها وقد كان في محله أبداً وان لم يأت وقته احياناً وخلى منه أحيان فقد كان في محله ووقته أبداً وهو الناطق منه في ذلك العصر بأجمع الكلمات كما كان ينطق من سائر المظاهر بما يناسبها.

بالجملة سائر المالكين لم يكونوا حتى كانوا هنا فإذا كانوا هنا كانوا في جميع مراتبهم وبعد ما كانوا وبلغوا إلى ما بلغوا لم يبلغوا مقام الكلية ولم يظهر فيهم الظاهر في كل شيء بكله واما الإنسان الكامل كان إذ كان فكان بكونه جميع ما له كان حين كان ولكنه ظهر فيه ما به كل شيء كان وهو الكلي غير المخصص بوقت فلم يقبل هو وقتاً خاصاً فلا يقال انه لم يكن ثم كان لمكان كليته واما غيره من الاناسي فقد كانوا في وقت ولم يكونوا في وقت فلم يكونوا إذ لم يكونوا.

فالإنسان الكامل كان ولم يكن له لم يكن لكليته قال عليه السلام ما معناه كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين فرجع التوقيت إلى المظهر والتأييد إلى الظاهر والابد إذا أراد ان يظهر في الأوقات ظهر في واحد من الأوقات واعدلها واكملها فالفرق بين الإنسان الكلي والجزئي ان الكلي جمع جميع القوى الجسمانية السماوية والارضية الماضية والغابرة فصارت كلها

فيه بالفعل فهو سيد العالم واشرف الخلق اجمعين والأولى بالكل من الكل.

واما الجزئي فقد جمع جميع قوى السموات والأرض في وقته فهو أشرف أهل عصره وولي زمانه.

فافهم هذه العبارات العجيبة الغريبة المكررة المرددة فلولا إني كررت القول وأديته بعبارات مختلفة ما فهمه أحد وليس هنا موضع أزيد من ذلك وعلى ابناء الحكمة السلام.

بالجملة قد نأينا من حيث افضينا أول الكلام فلنرجع إلى ما كنا فيه وقصدناه فالإنسان له قابلية بمقتضى اوضاع هذا العالم من جماد ونبات وحيوان ومقبول وهو السر الواحدي المفاض عليه من شمس وحدته سبحانه وقد ذكرنا انه لا منبعث له في البدن ولا مادة ولا مقر وإنما مقره العلوم ومنبعثه العلوم لا غير ومادته أيضاً منها فانسانية كل انسان بقدر ما له من العلم ان كان حقاً فهو المؤمن وان كان باطلاً فهو الكافر وينقلب صورته إلى البهيمة إذ هو اصل البهائم وهو الحيوان الناطق غير المستعد لروح الايمان وللروح الانسانية تصرفات في البدن بحسب ارادته وتوجهات إلى مبدئه ومنتهاه وهو اياً كان من فوق عالم الأجسام ومحدب العرش وليس أمره بتدبير المدبرات السماوية ووصول الملائكة إليه ولذلك لا يعرف ما في نفس الرجل إلا الله ولا يسمع ذكره في نفسه الملائكة فافهم.

وهو يقدر على التصرف في البدن وتقويته وتضعيفه وتحريكه وتسكينه من غير طرق السموات واطلاع ملائكة السموات وحملتها فهو يقوي قابلية البدن بالطاعات والصدقات والبر وتوجهه في عالمه

إلى ربه وتوكله عليه واعتصامه به ثم اشراقه على قلب الإنسان وانتشار نوره في البدن ويضعف قابلية البدن بالمعاصي والظلم والسيئات واعراضه عن ربه والتوكل على غيره والاعتصام بغيره وامثال ذلك فهذه التقوية والتضعيف يصلان إلى قلب المرء من غير واسطة السموات وأهلها لأن قلب الإنسان أقرب إلى روحه من السموات بل لو كان الإنسان كلياً يصل إلى السموات بعد وصول الأمر إلى قلبه.

فأول ما يبدو الأمر من عالم الغيب يبدو في قلبه ثم يأتي من قلبه إلى صدره ثم يأتي سموات حسه المشترك فهنالك يطلع عليه الملائكة السماوية ويتحدثون به ويصل إلى الملائكة الكلية والى جبرئيل فينزل به إلى قلبه الصنوبري أي قلب الولي فيخبر عن نزول الوحي فافهم.

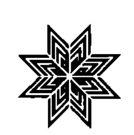
واما سائر الناس فيصل اليهم من ارواحهم قبل الوصول إلى السموات لأن قلوبهم أقرب إلى ارواحهم من السموات كما بينا فذلك أيضاً وجه آخر في عدم إمكان علم المنجم بما يحدث في الاناسي لأن قوابلهم تتغير بحسب اعمالهم وبواعثها من نفوسهم ويختلف آثار الأفلاك بحسب قوابل الناس.

فتبين من ذلك ان تغير القوابل الانسانية مما سببه عمل نفوسهم ليس بأسباب السموات حتى يقال ان تغير قوابلهم أيضاً من اسباب السموات والمنجم إذا علم بآثار النجوم علم القوابل أيضاً نعم التغيرات الكائنة في جماديتهم ونباتيتهم وحيوانيتهم التي ليس سببها من النفوس هي من اسباب السموات وهيهات ان يعلم المنجم تلك التغيرات أيضاً فانا شرحنا ان كل اثر سابق مغير قابلية الاثر اللاحق وربما يتوارد على الشيء ألف ألف اثر وكل يغير ما قبله ويصير سبب حدوث قابلية جديدة للاثر اللاحق ولا يعلم ذلك احداً إلا الكلي بل لا

يعلم جميع ذلك كل نبي وهو مخصوص برجال خاصة صلوات الله عليهم الذين علموا ما كان وما يكون فافهم ذلك.

ولا تحم أيها السائل حول علم النجوم ولا تعتقد بأهله ولا تصدقهم فإن صدق قولهم فرأوا بعض الآيات وجهلوا الباقي واتفق ان كان ما جهلوه غير مناف لما علموه فوافق ولا أقول كما يقوله السيد المرتضى رحمه الله انه من باب صدق التخمين فإن الرجل علم بعض الاوضاع ومقتضياتها وحاسب واستدل ببعض الدليل غاية الأمر انه جهل الباقي بالجملة وان كذب وهو الأكثر فلأجل ان ما جهلوه خالف ما علموه.

نعم الاحكام الكلية أقل خطأ لأن الأشياء ليست تشترك في تغير القوابل والساري في الكل اما لا يتغير وان تغير فيتبين تغيره ولا يجهل فلذلك يصيبون كثيراً في الكليات ان علموا النجوم على الحقيقة وكانوا بها عالمين ولما كان أمر السلاطين كالكلي لارتباط كثير من الأمور بوجودهم يعرف كثير مما يتعلق بهم كالعلماء المشهورين ثم الامثل فالامثل واما سائر الجزئيات فلا وربك لا يعرفونه لخفاء الاسباب الفاعلة لهم والقابلة وإنما يعرف الجزئي الكليات لوضوحها والكلي الجزئيات لاحاطته بها.





فصل
أرواح الأفلاك

إذا عرفت ان الأفلاك مركبة من عناصر جوهرية دهرية ولكل نجم طبيعة وصفات خاصة فاعلم ان لكل نجم روحاً ملكياً خاصاً به على طبق ذلك الطبع وحسب قابليته فذلك الروح ليس على حسب أرواح الحيوانات الجامعة بالنسبة بل هو حيوان بسيط بالنسبة فلا يشتهي إلا مقتضى طبعه فلا يميل ولا يلتفت إلى غير ما وجه إليه أبداً ولا يخطر بباله سواه سرمداً ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] فلذلك هم دائبون في وجه خدمتهم ومقتضى وضعهم فهو حي ضعيف الاختيار على طبق ما وصفت لك مما قد خفي على الجل ولذلك أنكروا ما أنكروا وأظنهم لو سمعوا ما أقول لأذعنوا وسلموا وقبلوا فإنه لا ينافي مرادهم ويوافق الاخبار.

بالجملة لاجل ذلك صار لكل نجم شأن خاص وتربية خاصة وتأثير خاص لا يتعداه ولا شك ان النجوم لطيفتها ازيد من ذواتها لغلبة سر الوحدة عليها وغلبة البساطة ورقة حجاب الانية فلها أنوار ساطعة واشعة ممتدة منبسطة كما تشاهد وشعاع كل نجم على حسبه فشعاع البارد بارد وشعاع الحار حار وشعاع الرطب رطب وشعاع اليابس يابس ولا شك ان للمركب يحصل حيوث وجهات ومقتضيات لا تحصى كما حققناه في كتبنا الطبية والفلسفية ولكل نجم لاجل التركيب حيوث

وجهات ومقتضيات وكذلك لاشعتها فلاجل ذلك يختص كل نجم بلون ووزن وريح وكم وكيف وجهة ورتبة ومكان ووقت ووضع إلى غير ذلك وكذلك شعاعه وذلك الشعاع أيضاً فيه من شعاع القوة الروحانية التي لا تصل نجمه وهو مكمل ما يقع عليه من السفليات القابلة إلى ان يجعله كأصل نجمه كما ان حر النار كصاحبته وإذا وقع قابله بجعله كالنار لأنه يقوى ما في القابل من جنس المنير ويكمله ويخرجه من القوة إلى الفعلية والشعاع إذا غير وصف القابل يسأل الرب بلسان وصفه الذي هو قابليته ان يعطيه الذات المناسبة له فإن المواد يختلف ذاتياتها في بطون الاوصاف فإذا تغير الوصف تغير المادة كما انه إذا تغير وصف الكلب وصار ملجأ صارت المادة طاهرة طيبة وشفاءً فإذا وقع الشعاع الوصفي كمل ما في القابل من جنسه فأخرج الوصف المناسب له من القوة إلى الفعلية وسأل ربه ذاتاً مناسبة له ويعطيها فبذلك يتولد في الأرض ما يناسب ذلك الشعاع.

وان عندنا تأثير الكواكب في الأرض إلا كتأثير العناصر والعقاقير والآلات والادوات في غيرها بلا تفاوت أبداً إلا في الرقة والغلظة واللطافة والكثافة والقوة والضعف والروحانية والطبيعية فالنجم الواحد له تأثير بحسب طبعه وقوة روحانيته فإن افعال الروحانيين بقوة ارواحهم أعظم من قوة الطبيعيين بمرات ألا ترى ان الإنسان الخفيف الضعيف بقوة الروحانية يحمل اثقالاً عظيمة ويرتكب اعمالاً شاقة وإنما ذلك لاجل ان الروح هو ظل الشيء الذي ورد ان الله يمسك الأشياء بأظلتها وهو الغريزية التي بها ارتباط الأشياء وقوتها وبقاؤها فإذا فسدت فسد الشيء وما دامت باقية يكون الشيء محفوظاً فتلك الروحانية تحفظ الشيء عن البوار والدثور وتدفع الغرائب والأعراض

عنه ما قدرت فلو كانت روحانية في غاية القوة لما قدر عليه خلق السموات والأرض كما يقاوم الإمام عليه السلام جميع الكائنات وغرض الشارع كله في تقوية روحانية الأشياء حتى يحفظوا بها عن آفات الدنيا والآخرة فأبى الناس إلا اطفاءها واخمادها فتعفنوا وفسدوا وماتوا وصاروا رمية كل رام والخاشين عن كل شيء.

بالجملة قوة كل ذي عمل بروحانيته وبذلك يعرف سبب قوة تأثير النجوم في الدنيا وسبب كونه اقوى من قوة العقاقير فإن كان النجم واحداً له تأثيراً واحد وأثره جزئي البتة وان تقارب نجمان أو تقارنا اختلط شعاعهما ونورهما وامتزج روحانيتهما على ميزان خاص فصار عمل شعاعهما عملاً مركباً في السفليات فإذا وقع الشعاع المختلط المركب على القوابل المستعدة كمل صفة اجمع من الأول واستعدت لذات اجمع فتولد مولوداً جمع وهكذا إذا تقارب ثلاثة انجم أو اربعة أو ازيد أو تقارنت واختلط اشعتها وروحانياتها ووقعت على الأرض أخرج الشعاع المركب امراً مركباً اجمع من السابقين وتولد من الام القابلة موجود أجمع فلأجل ذلك يحتاج الأمور الكلية والمواليد العظيمة والحوادث العامة إلى اعانة نجوم عديدة.

واما الأمور الجزئية فتحدث بنجم ونجمين إذا لم يعارضهما شيء اقوى منهما أيضاً ولذلك يكون تغير المواليد الكلية والأمور الكلية ابطأ ولا تتغير حتى تجتمع مؤثرات عديدة بقدر ما تتغير على ضد ما كان فحينئذٍ تتغير تلك الأمور فكذلك يختلف الآثار بحسب الطالع وشعاعه الواقع جديداً والعاشر المستعلي على الشيء وسائر البيوت فإنها كلها مؤثرة تركاً وفعلاً وقرباً وبعداً على ما يأتي الاشارة إلى أنواعه الكلية.

فمن الذي يقدر ان يحيط بموازين الاشعة وموازين قوتها وضعفها

وموازين قرب احدها من الآخر وبعده وقربه من الأرض وبعده وموازين فعلها وانفعالها وسرعتها وبطئها وصعودها وهبوطها وشرفها ووبالها وموازين اعوانها واعدائها وموازين لبثها وزوالها وموازين ما سبق وما سيلحق ثم بعد الإحاطة بكل هذه يعلم كذلك موازين القابل من جميع جهاته ثم يعلم موازين وقوع شعاع تلك المؤثرات على القوابل وعملها وفعلها وانفعالها حتى يعلم الولد كيف يتولد وماذا يكون فلا وربك انه لمن اخت النبوة وعديل الرسالة لا يطلع عليه بالإحاطة التامة إلا النبي الكلي ولا وربك لا يطلع أحد على كثرته فضلاً عن كله بل لا يطلعون عليه إلا أقل القليل وذلك أيضاً بالظن والحدس والحسابات الظنية المسامح فيها فأنى وأنى ومن لهذا العلم.

فمن الكافي بسنده عن عبد الرحمن بن سيابة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك ان الناس يقولون ان النجوم لا يحل النظر فيها وهو يعجبني فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني فوالله اني لاشتهيها واشتهي النظر فيها فقال ليس كما يقولون لا تضر بدينك ثم قال انكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به(١).

ومنه بسنده عن هشام الخفاف قال قال أبو عبد الله عليه السلام كيف بصرك بالنجوم قال قلت ما خلفت بالعراق ابصر بالنجوم مني إلى ان قال عليه السلام فما بال العسكرين يلتقيان في هذا حاسب وفي هذا حاسب فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النجوم قال فقلت لا والله ما أعلم

---

(١) الكافي ٨/ ١٩٥.

ذلك قال فقال صدقت ان أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم[١].

فلما وصلت إلى هنا وحصل لي اليأس التام والعلم القطعي بعدم احاطة الجزئيين على جميع تلك الاسباب العلوية والسفلية رأيت أن أختم الكتاب هنا واحول في الأسباب الجزئية على كتب القوم فإن لم تكن جامعة لنقطة العلم إلا أن أصور بعض الجزئيات فلا حاجة بي ان اصرف الوقت في تحقيقها ولي اشغال اهم منها وفيما ذكرت على حسب الكلية كفاية ويحصل منه ما كان عمدة غرضنا في تصنيف هذا الكتاب فاختم الكتاب بحديثين تيمناً وتبركاً.

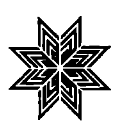
فمن المحاسن بسنده عن سفيان بن عمر قال كنت انظر في النجوم فاعرفها واعرف الطالع فيدخلني من ذلك فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال إذا وقع في نفسك شيء تصدق على أول مسكين ثم امض فإن الله عز وجل يدفع عنك[٢].

ومن رسالة الاستخارات للسيد ابن طاوس قال ذكر الشيخ الفاضل محمد بن علي بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول اللهم انك خلقت أقواماً يلجأون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم وتصرفهم وعقدهم وخلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها ومن طلب الاختيارات بها واتيقن انك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهل له السبيل إلى تحصيل افاعليها وانك قادر على

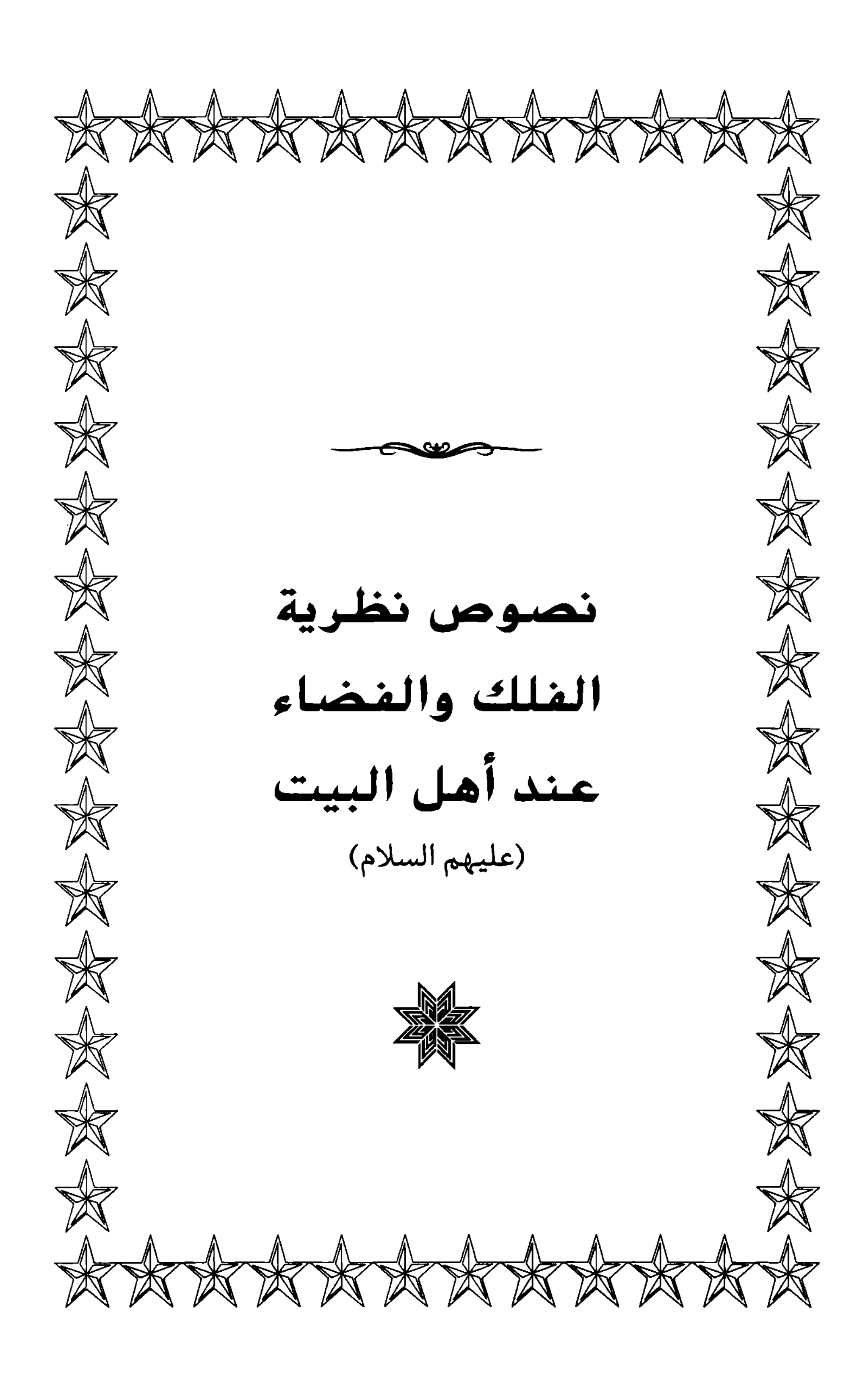
(١) الكافي ٨/ ٣٥٢.
(٢) المحاسن ٢/ ٣٤٩.

نقلها في مداراتها في مسيرها عن السعود العامة والخاصة إلى النحوس ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود لانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ولأنها خلق من خلقك وصنعة من صنيعك وما اسعدت من اعتمد على مخلوق مثله واستعد الاختيار لنفسه وهم اولئك ولا اشقيت من اعتمد على الخالق الذي لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك واسألك بما تملكه وتقدر عليه وأنت به مليء وعنه غني وإليه غير محتاج وبه غير مكترث من الخيرة الجامعة للسلامة والعافية والغنيمة لعبدك إلى آخر الدعاء(١).

وقد فرغ من تسويده مصنفه العبد الاثيم كريم بن إبراهيم في عاشر شهر صفر المظفر من شهور سنة اثنين وسبعين من المائة الثالثة عشرة حامداً مصلياً مستغفراً.

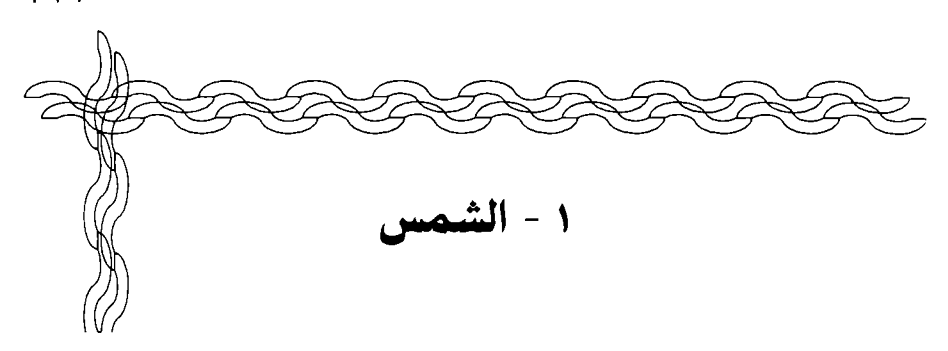


(١) فتح الأبواب لابن طاوس ص١٩٨.



نصوص نظرية الفلك والفضاء عند أهل البيت

(عليهم السلام)



١ - الشمس

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن للشمس ثلاثمائة وستين برجا، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثم ترد إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها، وإن وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض، ولو كان وجهها لأهل الأرض لاحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها. ومعنى سجودها ما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] (١).

٢ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي (يا صاحب الخير أتم وأبشر) وملك ينادي (يا صاحب الشر انزع واقصر) وملك ينادي (أعط منفقا خلفا وآت ممسكا تلفا) وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض(٢).

٣ - أبي ذر الغفاري، قال: كنت آخذا بيد النبي صلى الله عليه وآله ونحن نتماشى جميعا، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت، فقلت: يا رسول الله

---

(١) الكافي ٨/ ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ١٤٣.

أين تغيب؟ قال: في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يا رب من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه. قال: فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه. ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها. قال النبي ﷺ فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢] والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش، وجبرئيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي، فذلك قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥] قال أبو ذر رحمه الله ثم اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلينا المغرب(١).

٤ - عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن من الآيات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والارض، قال: وإن الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ثم قدر ذلك كله على الفلك، ثم وكل بالفلك ملكا معه سبعون ألف ملك، فهم يديرون الفلك فإذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه، فنزلت في منازلها التي قدرها الله فيها ليومها وليلتها

---

(١) التوحيد ص٢٠٣.

وإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعتبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه، قال: فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي يجري الفلك فيه، فيطمس ضوءها ويغير لونها، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يحب الله أن يخوف خلقه بالآية، فذلك عند شدة انكشاف الشمس، وكذلك يفعل بالقمر، فإذا أراد الله أن يخرجهما ويردهما إلى مجراهما أمر الملك الموكل بالفلك أن يرد الشمس إلى مجراها فيرد الملك الفلك إلى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة، والقمر مثل ذلك. ثم قال علي بن الحسين عليه السلام : أما إنه لايفزع لهما ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا، فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله وراجعوا[١].

٥ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأرض مسيرة خمسمائة عام، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة [عام] والشمس ستون فرسخا في ستين فرسخا، والقمر أربعون فرسخا في أربعين فرسخا بطونهما يضيئان لأهل السماء وظهورهما لأهل الأرض، والكواكب كأعظم جبل على الأرض، وخلق الشمس قبل القمر[٢].

٦ - عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يقول: الشمس

---

(١) الكافي ٨/ ٣٧٩.
(٢) تفسير القمي ٢/ ٣٧٩.

سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠] يقول: لا يذهب الليل حتى يدركه النهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يقول: يجيء وراء الفلك بالاستدارة(١).

٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أتي بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما وبمن يعبدهما في النار، وذلك أنهما عبدا فرضيا(٢).

٨ - سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الشمس أين تغيب؟ قال: إن بعض العلماء قالوا: إذا انحدرت أسفل القبة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها، يعني أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها، فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع، ويسلب نورها كل يوم وتتجلل نورا آخر. قال: فخلق النهار قبل الليل؟ قال: نعم، خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء(٣).

٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر(٤).

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٥٥.
(٢) علل الشرايع ٢/ ٢٩٢.
(٣) الاحتجاج ٢/ ١٩٢.
(٤) التوحيد ص٦٢، الكتاب المبين ٤/ ١١٣.

١٠ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن موسى سأل ربه أن يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكا فقال: يا موسى قد زالت الشمس، فقال موسى: متى؟ فقال: حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام![١].

١١ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة التي تلي المغرب يعني جابلقا[٢].

١٢ - عن ابن ذي العلمين - قال: كنت واقفا بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبو الحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل والنهار وأيهما خلق قبل، فخاضوا في ذلك واختلفوا، ثم إن ذا الرياستين سأل الرضا عليه السلام عن ذلك وعما عنده فيه، فقال له: أتحب أن أعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك؟ فقال: أريده أولا من جهة الحساب، فقال: أليس تقولون إن طالع الدنيا السرطان، وأن الكواكب كانت في شرفها؟ قال: نعم، قال: فزحل في الميزان، والمشتري في السرطان، والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت، والقمر في الثور، والشمس في وسط السماء في الحمل، وهذا لا يكون إلا نهاراً. قال: نعم، فمن كتاب الله؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] أي النهار يسبقه[٣].

١٣ - ومن مسائل ذي الرياستين للرضا عليه السلام أنهم تذاكروا بين يدي

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦١.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٢.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٢.

المأمون خلق الليل والنهار، فبعض قال: خلق الله النهار قبل الليل، وبعض قال: خلق الليل قبل النهار، فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: إن الله جل ذكره خلق النهار قبل الليل، وخلق الضياء قبل الظلمة، فإن شئتم أوجدتكم من القرآن، وإن شئتم أوجدتكم من النجوم. فقال ذو الرياستين: أوجدنا من الجهتين جميعا. فقال: أما النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان ولا يكون ذلك إلا والشمس في بيت شرفها في نصف النهار، وأما القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] (١).

١٤ - عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: بلغني أن يوم الجمعة أقصر الايام، قال: كذلك هو، قلت: جعلت فداك كيف ذلك؟ قال: إن الله تعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس، فإذا ركدت الشمس عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة، فلا يكون للشمس ركود(٢).

١٥ - عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] فقال: إن للشمس أربع سجدات كل يوم وليلة: سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر، قلت: بلى جعلت فداك، قال: ذاك الفجر الكاذب، لأن

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٢.
(٢) الكافي ٣/ ٤١٦، الكتاب المبين ٤/ ١١٤.

الشمس تخرج ساجدة وهي في طرف الأرض، فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر ودخل وقت الصلاة. وأما السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبة وارتفع النهار ركدت قبل الزوال، فإذا صارت بحذاء العرش ركدت وسجدت، فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فيدخل وقت صلاة الزوال. وأما السجدة الثالثة أنها إذا غابت من الافق خرت ساجدة، فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل، كما أنها حين زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار(١).

١٦ - قال الصادق عليه السلام : إذا كان عند غروب الشمس وكل الله بما ملكا ينادي (أيها الناس أقبلوا على ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى) وملك موكل بالشمس عند طولها ينادي (يا بن آدم لد للموت، وابن للخراب، واجمع للفناء)(٢).

١٧ - قال العالم عليه السلام : علة رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام وما طلعت على أهل الأرض كلهم أنه جلل الله السماء بالغمام إلا الموضع الذي كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، فإنه جلاه حتى طلعت عليهم. قال: والعلة في قصر يوم الجمعة أن الله يجمع الأرواح أرواح الكفار والمشركين فيعذبهم تحت عين الشمس إلا يوم الجمعة، فإنه ليس للشمس ركود ولا يعذب الكفار لفضل يوم الجمعة(٣).

١٨ -عن محمد بن مسلم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال: يا محمد، ما أصغر جثتك وأعضل مسألتك! وإنك لأهل

---

(١) الاختصاص ص٢١٣.
(٢) الاختصاص ص٢٣٤.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/١٦٦.

للجواب إن الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع، حتى إذا بلغت الجو وجازت الكوة قلبها ملك النور ظهر البطن، فصار ما يلي الأرض إلى السماء وبلغ شعاعها تخوم الأرض فعند ذلك نادت الملائكة (سبحان الله، ولا إله إلا الله، والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) فقلت له: جعلت فداك احافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس؟ فقال: نعم، حافظ عليه كما تحافظ على عينك. فإذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في فلك الجو[(١)].

١٩ - وسئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود؟ قال: لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيق الأيام، فقيل له: ولم جعله أضيق الأيام؟ قال: لأنه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده[(٢)].

٢٠ - عن حريز بن عبد الله، أنه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال له: جعلت فداك، إن الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل أن تزول؟ فقال: إنها تؤامر: أتزول أم لا تزول[(٣)].

٢١ -عن الإمام الصادق عليه السلام : قال فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرأيت

---

(١) الفقيه ١/ ٦٠.
(٢) الفقيه ١/ ٦٠.
(٣) الفقيه ١/ ٦٠، الكتاب المبين ٤/ ١١٤.

لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤديها إلى التلف. وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق، وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا، وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس[١].

٢٢ - قال الإمام الصادق عليه السلام : اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم، ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة، وما فيهما من المصالح، ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها، فإنه لولا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت. فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل، فإنك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لاضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضره ذلك وأسقم بدنه، فلم جعل الله عز وجل هذا الرسل في الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المناجاة؟

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٢، الكتاب المبين ٤/ ١١٧.

ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضر المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لابطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإن اعتل في الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير. لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر، أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة، وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر، ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه[1].

٢٣ - قال الصادق عليه السلام : فإن قالوا فلم يختلف فيه أي في ذاته تعالى وصفاته؟ قيل لهم: لقصر الافهام عن مدى عظمته، وتعديها أقدارها في طلب معرفته، وأنها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الاقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها، فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع، وقال آخرون: هو سحابة، وقال آخرون: هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد من ماء بحر، وقال آخرون: هو أجزاء

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٢، الكتاب المبين ٤/ ١١٧.

كثيرة مجتمعة من النار، وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الاربع. ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم: هي بمنزلة صفيحة عريضة، وقال آخرون: هي كالكرة المدحرجة، وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء، وقال آخرون: بل هي أقل من ذلك، وقال آخرون: بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة، وقال أصحاب الهندسة: هي أضعاف الأرض مائة وسبعون مرة ففي اختلاف هذه الاقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، وإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم؟![١].

٢٤ - قال الإمام الصادق عليه السلام: فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم، ويتصرفون في امورهم، والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنؤون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه، والارب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب في ذكره، والزيادة في شرحه، بل تأمل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة، لسكون أبدانهم، وجموم حواسهم، وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الاعضاء، ثم كان الحرص سيحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار،

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٢.

حرصا على الكسب والجمع والادخار، ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدرها الله بحمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدأوا ويقروا، فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه. ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فيتولد فيهما مواد الثمار، ويستكثف الهواء، فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى. وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيطلع النبات، وتنور الاشجار، ويهيج الحيوان للفساد وفي الصيف يحتدم الهواء، فتنضج الثمار. وتتحلل فضول الأبدان، ويجف وجه الأرض فتهيأ للبناء والأعمال. وفي الخريف يصفو الهواء، ويرتفع الأمراض، ويصح الأبدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام. فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير، فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة: الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف، ويستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار. وتنتهي إلى غاياتها، ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو، ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقتة للديون والاجارات

والمعاملات وغير ذلك من امورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون، فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها، والارب التي قدرت له، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها، لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه؟[١].

٢٥ - قال الإمام الصادق عليه السلام : يا مفضل استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة، ونشوء الثمار وتصرمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف. فكر في إنارته في ظلمة الليل والارب في ذلك، فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنه ربما

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٥، الكتاب المبين ٤/ ١٢٧.

احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصي الاعمال بالنهار، أو لشدة الحر وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتى، كحرث الأرض، وضرب اللبن. وقطع الخشب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وانسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدء والقرار، فيهلكهم ذلك، وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه، وزيادته، ونقصانه، وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر فيه المعتبرون[1].

٢٦ - جاء في الصحيفة السجادية صلوات الله على منشئها: الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً وأمداً ممدوداً، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب، ونهضات النصب، وجعله لباسا ليلبسوا من راحته ومنامه، فيكون ذلك لهم جماما وقوة ولينالوا به لذة وشهوة، وخلق لهم النهار مبصرا ليبتغوا فيه من فضله، وليتسببوا إلى رزقه، ويسرحوا في أرضه، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم، ودرك الآجل في أخراهم، بكل ذلك يصلح شأنهم، ويبلو أخبارهم، وينظر كيف هم في أوقات طاعته، ومنازل فروضه، ومواقع أحكامه، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٥، الكتاب المبين ٤/ ١٢٧.

بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. اللهم فلك الحمد على ما فلقت لنا من الاصباح، ومتعتنا به من ضوء النهار، وبصرتنا به من مطالب الاقوات، ووقيتنا فيه من طوارق الآفات(١).

٢٧ - قال رسول الله ﷺ: إن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا معشر الحواريين! الصلاة جامعة. فخرج الحواريون في هيئة العبادة، قد تضمرت البطون، وغارت العيون، واصفرت الألوان، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الأرض، فقام على رأس جرثومة فحمد الله وأثنى عليه ثم أنشأ يتلو عليهم من آيات الله وحكمته فقال: يا معشر الحواريين! اسمعوا ما أقول لكم، إني لاجد في كتاب الله المنزل الذي انزله الله في الانجيل أشياء معلومة فاعملوا بها، قالوا: يا روح الله وما هي؟ قال: خلق الليل لثلاث خصال، وخلق النهار لسبع خصال، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه، خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي أتعبتها في نهارك، وتستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار ثم لا تعود فيه، وتقنت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام، وثلث تقوم، وثلث تضرع إلى ربك، فهذا ما خلق له الليل. وخلق النهار لتؤدي فيه الصلاة المفروضة التي عنها تسأل وبها تخاطب، وتبر والديك، وأن تضرب في الأرض تبتغي المعيشة معيشة يومك وأن تعودوا فيه ولياً لله كيما يتغمدكم الله برحمته، وأن تشيعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفورا لكم، وأن تأمروا بمعروف، وأن تنهوا عن منكر، فهو ذروة الإيمان وقوام الدين، وأن تجاهدوا في سبيل الله تزاحموا إبراهيم خليل الرحمن في تبته، ومن

(١) بحار الأنوار ٥٥/١٧٨.

مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه عند مليك مقتدر(١).

٢٨ - عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين، ثم قرأ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] (٢).

٢٩ - وعن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين، فيقوم الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون والنجوم مكانها لا تسري، ثم يأتون فرشهم فيرقدون حتى تكل جنوبهم، ثم يقومون فيصلون حتى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس فبينا هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم(٣).

٣٠ - وعن ابن عباس وفي روايته: آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال(٤).

٣١ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار عليه برذعة أو قطيفة وذاك عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغيب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تغرب في عين

(١) الدر المنثور ٥/٣٥٦.
(٢) الدر المنثور ٣/ ٥٧.
(٣) الدر المنثور ٣/ ٥٧.
(٤) الدر المنثور ٣/ ٥٨.

حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا حان خروجها أذن لها فتخرج فتطلع، فإذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها فتقول: يا رب إن مسيرى بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل[١].

٣٢ - وعن عبد الله بن أوفى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليأتين على الناس ليلة بقدر ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك يعرفها المصلون يقوم أحدكم فيقرأ حزبه ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام، ثم يقوم فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا: فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها، وحينئذ لا ينفع نفسا إيمانها[٢].

٣٣ - وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال: إن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش[٣].

٣٤ وعن ابن عباس قال: وجوههما إلى السماوات، وأقفيتهما إلى الارض[٤].

٣٥ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن في

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٥٧، الكتاب المبين ٤/ ١١٤.

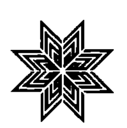
(٢) الدر المنثور ٥/ ٥٨.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٩٢.

(٤) الدر المنثور ٥/ ٩٢.

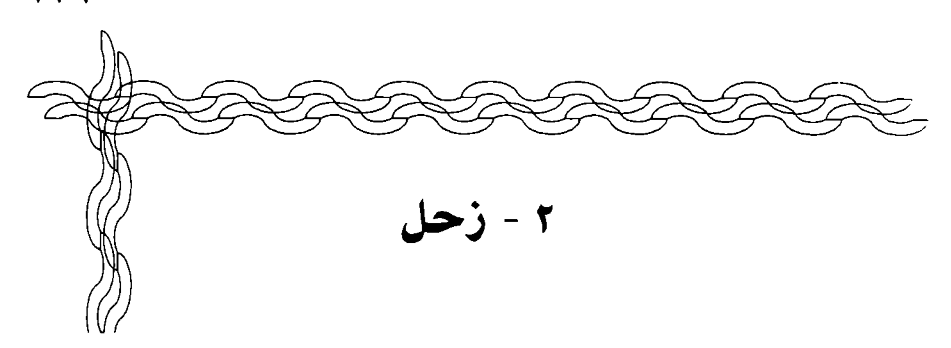
الرجوع، فيؤذن لها، فذاك قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] [(١)].

٣٦ - في خبر الشامي سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فكان فيما سأله أن سأله عن أول ما خلق الله تعالى قال: خلق النور، وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما، قال: تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ[(٢)].



(١) الدر المنثور ٥/ ٣٠٠.

(٢) علل الشرايع ٢/ ٢٨٠.



٢ - زحل

٣٧ - عن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحر والبرد ممن يكونان؟ فقال لي: يا أبا أيوب، إن المريخ كوكب حار وزحل كوكب بارد إذا بدأ المريخ في الارتفاع انحط زحل، وذلك في الربيع، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحط زحل درجة ثلاثة أشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط، فيجلو المريخ فلذلك يشتد الحر، فإذا كان في آخر الصيف وأوان الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع زحل درجة انحط المريخ درجة حتى ينتهي المريخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع، فيجلو زحل وذلك في أول الشتاء وآخر الصيف فلذلك يشتد البرد، وكلما ارتفع هذا هبط هذا وكلما هبط هذا ارتفع هذا، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر، وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس، هذا تقدير العزيز العليم، وأنا عبد رب العالمين(١).

٣٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] قال: كان القمر منحوسا بزحل(٢).

---

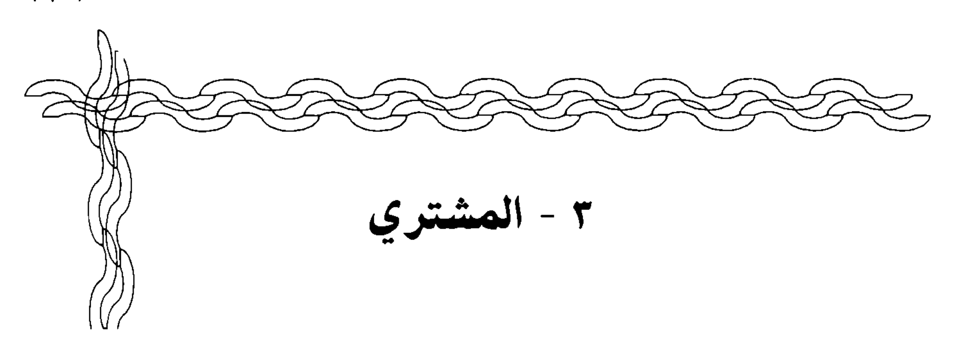
(١) الكافي ٨/٣٠٦.

(٢) الكافي ٨/٣٠٦.

٣٩ - فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت في قولك لا أدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني؟ نجم نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام : مه! لا تقولن هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الاوصياء وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز وجل في كتابه. قال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: إن مطلعه في السماء السابعة، وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله عز وجل النجم الثاقب[١].



(١) الكافي ٨/ ٣٠٦.



٣ - المشتري

٤٠ - عن الريان بن الصلت، وذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون وظهور حجته عليه السلام على جميع العلماء وحضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام وسؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه: هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس عليه السلام ، وكان ذو القرنين بها ماهرا، وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال: إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل، فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم، فمن هناك صار علم النجوم بها. وقد قال قوم: هو علم من علم الانبياء، خصوا به لاسباب شتى، فلم يستدرك المنجمون الدقيق منها، فشابوا الحق بالكذب[١].

٤١ - عن معلى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي؟ فقال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فنحاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتى

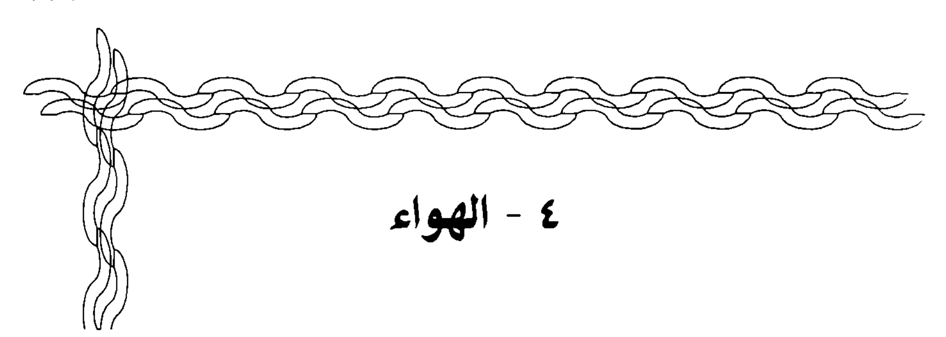
---

(١) بحار الأنوار ٢٤٥/٥٥.

ظن أنه قد بلغ، وقال: انظر إلى المشتري أين هو، فقال: إن حسابي ليدل على أنك أنت المشتري، وقال: فشهق شهقة فمات: وورث علمه أهله فالعلم هناك[١].



(١) الكافي ٨/ ٣٣٠.



٤ - الهواء

٤٢ - قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله خلق حجاباً من ظلمة مما يلي المشرق، ووكل به ملكا، فإذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه ثم استقبل بها المغرب يتبع الشفق، ويخرج من بين يديه قليلا قليلا ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط الشفق، فيسرح في الظلمة ثم يعود إلى المشرق، فإذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق إلى المغرب حتى يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس(١).

٤٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق، وتدري كيف ذلك؟ قلت: لا، قال: لأن المشرق مطل على المغرب هكذا ورفع يمينه فوق يساره فإذا غابت ههنا ذهبت الحمرة من ههنا(٢).

٤٤ - عن عمران الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: متى تجب العتمة؟ فقال: إذا غاب الشفق، والشفق الحمرة. فقال عبيد الله: أصلحك الله إنه يبقى بعد ذهاب الحمرة ضوء شديد معترض، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الشفق إنما هو الحمرة، وليس الضوء من الشفق(٣).

---

(١) الكافي ٣/ ٢٧٩.
(٢) الكافي ٣/ ٢٧٨.
(٣) الكافي ٣/ ٢٨٠.

٤٥ - عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: إذا انتصف الليل ظهر بياض في وسط السماء شبه عمود من حديد تضيء له الدنيا، فيكون ساعة ثم يذهب ويظلم، فإذا بقي ثلث الليل ظهر بياض من قبل المشرق فأضاءت له الدنيا فيكون ساعة ثم يذهب، فيكون وقت صلاة الليل، ثم يظلم قبل الفجر ثم يطلع الفجر الصادق من قبل المشرق. وقال: ومن أراد أن يصلي صلاة الليل في نصف الليل فذاك له[1].

٤٦ - روي عن صفوان الجمال، قال كنت بالحيرة مع أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل الربيع وقال: أجب أمير المؤمنين. فلم يلبث أن عاد، قلت: أسرعت الانصراف، قال: إنه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه، فقال صفوان: وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت إلى الربيع وسألته، فقال: أخبرك بالعجب إن الاعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البر خلقا ملقى، فأتوني به فأدخلته على الخليفة، فلما رآه قال: نحه وادع جعفرا، فدعوته فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه؟ قال: في الهواء موج مكفوف، قال: ففيه سكان؟ قال: نعم، قال: وما سكانه؟ قال: خلق أبدانهم أبدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة، ونغانغ كنغانغ الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشد بياضا من الفضة المجلوة. فقال الخليفة: هلم الطشت. فجئت بها وفيها ذلك الخلق، وإذا هو والله كما وصفه جعفر، فلما خرج جعفر قال: يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس[2].

٤٧ - إن أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام لما توفي والده علي

(١) الكافي ٣/ ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار ٥٦/ ٢٣٨.

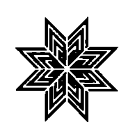
الرضا عليه السلام وقدم الخليفة إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنه خرج إلى الصيد، فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ومحمد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلما أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر محمد عليه السلام فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة، فنظر إليه وكان الله عز وعلا قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمد مسرعا: يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له. فوقف فأعجبه كلامه ووجهه، فقال له: ما اسمك؟ قال: محمد، قال: ابن من أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا ابن علي الرضا، فترحم على أبيه وساق جواده إلى وجهته، وكان معه بزاة، فلما بعد عن العمارة أخذ بازيا فأرسله على دراجة، فغاب عن عينه غيبة طويلة، ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثم أخذها في يده إلى داره في الطريق الذى أقبل منه، فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أول مرة، وأبو جعفر لم ينصرف ووقف كما وقف أولاً، فلما دنا منه الخليفة قال: يا محمد! قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ما في يدي؟ فألهمه الله عز وجل أن قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكا صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة! فلما سمع المأمون كلامه عجب منه وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا حقا! وضاعف إحسانه إليه[1].

---

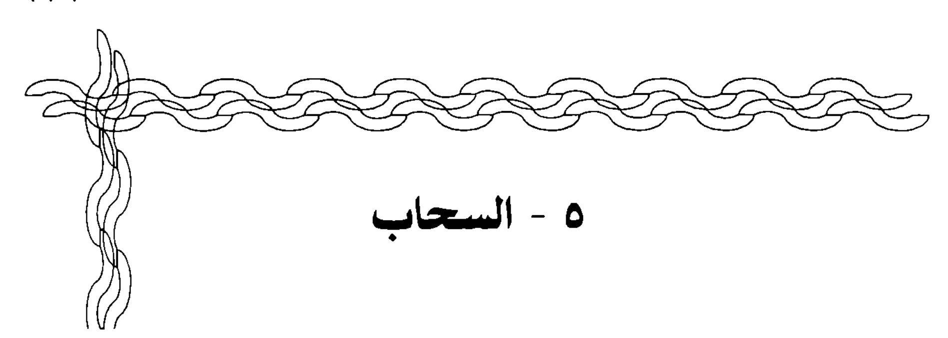
(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٣٩.

٤٨ - قال علي بن عيسى: إني رأيت في كتاب لم يحضرني الآن اسمه أن البزاة عادت وفي أرجلها حيات خضر، وأنه سئل بعض الأئمة فقال قبل أن يفصح عن السؤال: إن بين السماء والأرض حيات خضر تصديها بزاة شهب يمتحن بها أولاد الأنبياء وما هذا معناه والله أعلم[١].

٤٩ - روي أن زرارة وهشاما اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا؟ فرفع إلى الصادق عليه السلام بعض مواليه وقال: إني متحير، فإني أرى أصحابنا يختلفون فقال: ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر والضلال[٢].



(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٣٩.
(٢) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٤٠.



٥ - السحاب

٥٠ - وعن عمر مولى عفرة، قال: سأل النبي ﷺ جبرئيل، فقال: إني احب أن أعلم أمر السحاب، فقال جبرئيل: هذا ملك السحاب فاسأله، فقال: تأتينا صكاك مختمة: اسق بلاد كذا وكذا، كذا وكذا قطرة[١].

٥١ - عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: كان علي عليه السلام يقوم في المطر أول مطر يمطر حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه، فيقال له: يا أمير المؤمنين، الكن! الكن! فيقول: إن هذا ماء قريب العهد بالعرش. ثم أنشأ يحدث فقال: إن تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان، وإذا أراد الله تعالى أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عز وجل فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فتلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال، ثم يوحي الله عز وجل أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء ثم انطلقي به إلى موضع كذا وكذا وعباباً وغير عباب، فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلا بقدر معدود ووزن معلوم إلا ما

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٧٣.

كان يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن(١).

٥٢ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر كثيف على ساحل البحر يأوي إليها، فإذا أراد الله أن يرسله أرسل ريحا فأثاره(٢).

٥٣ - إن عليا عليه السلام قال: السحاب غربال المطر، ولولا ذلك لأفسد كل شيء يقع عليه(٣).

٥٤ - وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢] قال: من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الاصداف أفواهها في البحر فيقع فيها من ماء المطر، فيخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة(٤).

٥٥ - عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فنشأت سحابة، فقالوا: يا رسول الله هذه سحابة ناشئة، فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد تمكنها! قال: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد تراكمها! قال: كيف ترون جونها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنه وأشد سواده! قال: كيف ترون رحاها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد استدارتها! قال: فكيف ترون برقها؟ أخفوا أم وميضا

---

(١) علل الشرايع ٢/ ١٤١.
(٢) تفسيرالقمي ٢/ ٦٠٣.
(٣) قرب الإسناد ص٨٤.
(٤) قرب الإسناد ص٨٥.

أم يشق شقا؟ قالوا: يا رسول الله بل يشق شقا: قال رسول الله ﷺ: الحيا. فقالوا: يا رسول الله ما أفصحك! وما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: وما يمنعني من ذلك وبلساني نزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]؟[١].

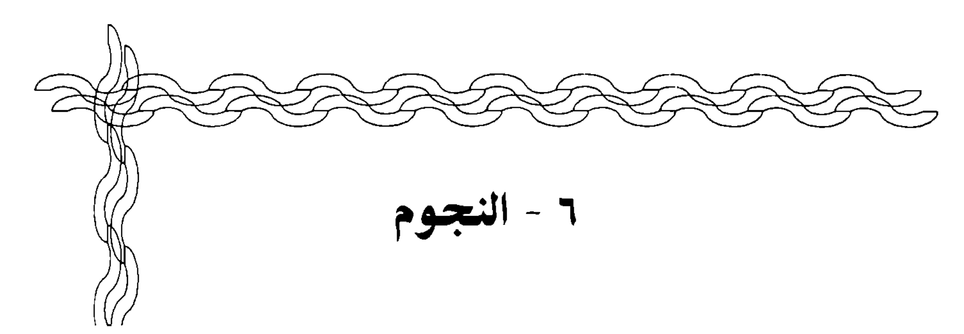
٥٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لولا أن الله حبس الريح على أهل الدنيا لأخوت الأرض، ولولا السحاب لخربت الأرض فما أنبتت شيئاً، ولكن الله يأمر السحاب فيغربل الماء فينزل قطراً، وإنه أرسل على قوم نوح بغير حساب[٢].

٥٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرعد أي شيء يقول؟ قال: إنه بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها هاي، هاي كهيئة ذلك، قلت: فما البرق؟ قال لي: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر[٣].

٥٨ - عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] فهي الانهار والعيون والآبار. وقال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]: أي يثيره من الأرض ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور: ٤٣] فإذا غلظ بعث الله رياحاً فتعصره فينزل منه الماء وهو قوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣] أي المطر[٤].

---

(١) معاني الأخبار ص٣١٩.
(٢) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٨.
(٣) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٩.
(٤) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٤.



٦ - النجوم

٥٩ - قال الصادق عليه السلام : فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق، كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدرو ذات الشمال، والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفين: إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها متنقلة؟ فإن الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعهد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة. فإن قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها متنقلا؟ قلنا: إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المتنقلة ومسيرها في كل برج من البروج، كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه، لأنه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الراتبة، كما

يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها، ولساغ لقائل أن يقول: إن كينونيتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها. فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء، والشعريين، وسهيل، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس، ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته، وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حينا وتحجب حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة، وذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا، وصار الامران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الإرب والمصلحة، وفيها مآرب أخرى: علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر، وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر، فإنها تسير أسرع السير وأحثه، أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا

سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الابصار بوهجها وشعاعها، كالذي يحدث أحيانا من البروق إذا توالت واضطربت في الجو، وكذلك أيضاً لو أن اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت أبصارهم حتى يخروا لوجوههم، فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار، وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الاضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحارث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه، فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة إليها، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا. فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت ولخصت لك آنفا، وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم؟ فإن قال قائل: إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات، فترى كل شيء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ فينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر

لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه[1].

٦٠ - وعن الزهري: عن علي بن الحسين عليهما السلام، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار، قال: ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم قال: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى أهل هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يحرفونه ويزيدون فيه. قال معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أرأيت ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦١ - الحسن بن علي عليهما السلام من خطبة له في صفة النجوم ما هذا لفظه: ثم أجرى في السماء مصابيح ضوؤها في مفتحه وحارثها بها وجال شهابها من نجومها الدراري المضيئة التي لولا ضوؤها ما أنفذت أبصار العباد في ظلم الليل المظلم بأهواله المدلهم بحنادسه، وجعل فيها أدلة على منهاج السبل لما أحوج إليه الخليقة من الانتقال والتحول، والاقبال والادبار.

---

(١) بحار الأنوار ٣/ ١٥٠.

٦٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة.

٦٣ - في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: ما بال النجوم تستبين صغاراً وكباراً ومقدار النجوم كلها سواء؟ قال: لأن بينها وبين سماء الدنيا بحاراً يضرب الريح أمواجها فلذلك تستبين صغاراً وكباراً ومقدار النجوم كلها سواء.

٦٤ - عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه، فرد أبو عبد الله عليه السلام فقال له: مرحباً يا سعد. فقال له الرجل: بهذا الاسم سمتني امي، وما أقل من يعفرفني به. فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت يا سعد المولى، فقال الرجل: جعلت فداك بهذا كنت ألقب. فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا خير في اللقب، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] ما صناعتك يا سعد؟ فقال: جعلت فداك أنا من أهل بيت ننظر في النجوم، لا يقال إن باليمن أحداً أعلم بالنجوم منا. فقال أبو عبد الله عليه السلام : فكم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني؟ لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الابل، فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت، فما اسم

النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: صدقت في قولك لا أدري فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني؟ نجس نحس، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تقل هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نجم لأوصيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهو النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه. فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟ فقال: إن مطلعه في السماء السابعة، فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب، ثم قال: يا أخا العرب! عندكم عالم؟ قال اليماني: نعم جعلت فداك، إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم! فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما يبلغ من علم عالمهم؟ قال اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الاثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث المجد فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن قال اليماني: وما يبلغ من علم عالم المدينة؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الاثر ولا يزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجا، واثني عشر برا واثني عشر بحرا، واثني عشر عالما! فقال له اليماني: ما ظننت أن أحداً يعلم هذا وما يدري ما كنهه قال: ثم قام اليماني[١].

٦٥ - استقبل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنئة: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان، وانقدح من

---

(١) الاحتجاج ٢/١٩٣.

برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان! فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار، المحذر من الاقدار، ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان؟ وكم المطالع من الاسد والساعات من المحركات؟ وكم بين السراري والدراري؟ قال: سأنظر وأومأ بيده إلى كمه وأخرج منه اسطرلاباً ينظر فيه فتبسم عليه السلام فقال: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور انديب وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود بإيلة، وهاج النمل بوادي النمل وهلك ملك إفريقية، أكنت عالما بهذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفا، والليلة يموت مثلهم وهذا منهم، وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي، وكان جاسوسا للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فظن الملعون أنه يقول (خذوه) فأخذ بنفسه فمات، فخر الدهقان ساجداً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين فقال: أنا وصاحبي لا شرقي ولا غربي، نحن ناشئة القطب، وأعلام الفلك أما قولك (انقدح من برجك النيران) فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي أما نوره وضياؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهب عني، فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسبا[١].

٦٦ - سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: ما تقول فيمن زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في هذا العالم تدبير النجوم السبعة؟ قال عليه السلام: يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير

---

(١) الاحتجاج ١/ ١٢٥، الكتاب المبين ٤/ ١٢٠.

النجوم التي تسبح في الفلك، وتدور حيث دارت، متعبة لا تفتر، وسائرة لا تقف. ثم قال: وإن كل نجم منها موكل مدبر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين، فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال. قال: فما تقول في علم النجوم؟ قال: هو علم قلت منافعه وكثرت مضراته، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور، إن أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء، وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه(١).

٦٧ - عن عبد الله بن عوف بن الاحمر، قال: لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجم، فقال له: يا أمير المؤمنين! لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ولم ذاك؟ قال: لانك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت كلما طلبت! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام تدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم انثى! قال: إن حسبت علمت: قال له أمير المؤمنين عليه السلام من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] ما كان محمد صلى الله عليه وآله يدعي ما ادعيت، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء والساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟! من صدقك بهذا

(١) الاحتجاج ٢/ ١٩١.

استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يوليك الحمد دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ندا وضدا. ثم قال عليه السلام: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك. بل نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها[١].

٦٨ - عن أبي الحصين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال: عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر[٢].

٦٩ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة. الفخر بالاحساب والطعن في الانساب. والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وإن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب[٣].

٧٠ - عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال إلى ان قال: وعن النظر في النجوم[٤].

٧١ - عن نصر بن قابوس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٣.
(٢) الخصال ١/ ٣٠.
(٣) الخصال ١/ ١٠٥.
(٤) الخصال ٢/ ٤٥.
(٥) الخصال ١/ ١٤٠.

٧٢ - وقال عليه السلام: المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار[١].

٧٣ - دخل رجل على علي بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين: من أنت؟ قال: أنا منجم، قال: فأنت عراف، قال: فنظر إليه ثم قال: هل أدلك على رجل قد مر مذ دخلت علينا في أربعة عشر عالما كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه؟! قال: من هو؟ قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادخرت في بيتك[٢].

٧٤ - عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا يماني أفيكم علماء؟ قال: نعم، قال: فأي شيء يبلغ من علم علمائكم؟ قال: إنه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين، يزجر الطير، ويقفو الآثار! فقال له: فعالم المدينة أعلم من عالمكم! قال: فأي شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدنية؟ قال: إنه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس إذا أمرت، إنها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمسا، واثني عشر قمرا واثني عشر مشرقا، واثني عشر مغربا، واثني عشر برا، واثني عشر بحرا، واثني عشر عالما قال، فما بقي في يدي اليماني فما درى ما يقول، وكف أبو عبد الله عليه السلام[٣].

٧٥ - عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل

(١) الخصال ١/ ١٤٠.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٦.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٢٧.

عليه رجل من أهل اليمن، فقال له: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليلة مسيرة شهرين، يزجر الطير، ويقفو الأثر! فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالم المدنية أعلم من عالمكم! قال: فما بلغ من علم عالم المدينة؟ قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا أما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس! قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم، ما افترض عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا[١].

٧٦ - عن سفيان بن عمر قال: كنت أنظر في النجوم فأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك، فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ثم امض، فإن الله عز وجل يدفع عنك[٢].

٧٧ - دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول: اللهم إنك خلقت أقواما يلجأون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم وتصرفهم وعقدهم وخلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها ومن طلب الاختيارات بها، وأتيقن أنك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها، وأنك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها على السعود العامة والخاصة إلى النحوس، ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود، لانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ولأنها خلق من خلقك، وصنعة من صنيعك، وما أسعدت من اعتمد على مخلوق

(١) بحار الأنوار ٥٥/٢٢٨.
(٢) المحاسن ص٣٤٩.

مثله، واستمد الاختيار لنفسه، وهم اولئك، ولا أشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت هو، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأسألك بما تملكه وتقدر عليه، وأنت به مليء وعنه غني وإليه غير محتاج، وبه غير مكترث، من الخيرة الجامعة للسلامة والعافية والغنيمة لعبدك إلى آخر الدعاء[١].

٧٨ - عن قيس بن سعد، قال: كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذٍ مسايراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى (سرسفيل) وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف، فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت! قال: ولم ذاك يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطوامع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وإن يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتقدت من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان. فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال أيها الدهقان المنبئ بالاخبار، والمحذر من الاقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟ وأي نجم حل في السرطان؟ قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كمه اسطرلاباً وتقويماً، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنت مسير الجاريات؟ قال: لا، قال: فأنت تقضي على الثابتات؟ قال: لا، قال: فأخبرني عن طول الاسد

(١) بحار الأنوار ٥٥/٢٢٨.

وتباعده من المطالع والمراجع وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ قال: لا علم لي بذلك. قال فما بين السراري إلى الدراري؟ وما بين الساعات إلى المعجرات؟ وكم قدر شعاع المبدرات؟ وكم تحصل الفجر في الغدوات؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: فهل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، واحترق دور بالزنج، وطفح جب سرانديب، وتهدم حصن الاندلس، وهاج نمل الشيح، وانهزم مراق الهندي، وفقد ديان اليهود بإيلة، وهدم بطريق الروم برومية، وعمي راعب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطنية أفعالم أنت بهذه الحواث وما الذي أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك؟ قال: لا علم لي بذلك قال: وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب؟ وبأيها تنحس من تنحس؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالما، في كل عالم سبعون عالما، منهم في البر، ومنهم في البحر، وبعض في الجبال، وبعض في الغياض وبعض في العمران، وما الذي أسعدهم؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: يا دهقان: أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال: ويموت هذا، فإنه منهم فلما قال ذلك ظن الرجل أنه قال خذوه، فأخذه شيء بقلبه، وتكسرت نفسه في صدره، فمات لوقته. فقال عليه السلام: يا دهقان ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: يا دهقان! أنا مخبرك أني وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، وما زعمت أن البارحة انقدح من

برجي النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لي، لأن نوره وضياءه عندي، فلهبه ذاهب عني يا دهقان هذه قضية عيص، فاحسبها وولدها إن كنت عالما بالاكوار والادوار. قال: لو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الاجمة ومضى أمير المؤمنين عليه السلام فهزم أهل النهروان وقتلهم، وعاد بالغنيمة والظفر. فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا، هذا علم مادته من السماء(١).

٧٩ - عن الاصبغ بن نباتة، قال: لما رحل أمير المؤمنين عليه السلام من (نهر بين) أتينا النهروان وقد قطع جسرها وسمرت سفنها فنزل صلى الله على محمد وعليه وقد سرح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه، وقد شك في قتال الخوارج، فإذا برجل يركض فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام قال: البشرى يا أمير المؤمنين! قال له: وما بشراك؟ قال: لما بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولوا هاربين. قال علي عليه السلام: أنت رأيتهم حين ولوا؟ قال: نعم، قال علي عليه السلام: كلا والله لا عبروا النهروان ولا تجاوزوا الانثلات ولا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي، عهد معهود، وقدر مقدور، ولا يقتلون منا عشرة، ولا ينجو منهم عشرة، إذ أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفته بالطوامع والمراجع، وتقويم القطب في الفلك، ومعرفته بالحساب والضرب والجبر والمقابلة وتاريخ السند اباد وغير ذلك، وهو الدهقان، فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام نزل عن فرسه وسلم عليه فقال له: أيها الأمير! لترجعن عما قصدت إليه وكان اسم الدهقان (سرسفيل سوار) وكان دهقانا من دهاقين المدائن فقال له

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٠، الكتاب المبين ٤/ ١٢٠.

أمير المؤمنين عليه السلام: ولم يا سرسفيل سوار؟! قال: تناحست النجوم الطالعات، وتباعدت النجوم الناحسات، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والقعود، ويومك هذا مميت يقلب فيه رجمان، وانكشفت فيه الميزان، واقتدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان. قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني يا دهقان عن قصة الميزان، وفي أي مجرى كان برج السرطان؟ قال: سأنظر لك في ذلك، ثم ضرب يده إلى كمه فأخرج منها زيجا واصطرلابا، فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال له: يا دهقان! أنت مسير الثابتات؟ قال: لا، قال: فأنت تقضي على الحادثات؟ قال: لا، قال له: يا دهقان! فما ساعة الأسد من الفلك؟ وما له من المطالع والمراجع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ قال: لا علم لي أيها الأمير قال: فعلى أي الكواكب تقضي على القطب؟ وما هي الساعات المتحركات؟ وكم قدر الساعات المدبرات؟ وكم تحصل المقدرات؟ قال: لا علم لي بذلك، قال له: يا دهقان! إن صح لك علمك علمت أن البارحة انقلب بيت في الصين وانقلب بيتانسين واحترقت دور الزنج، وانحطم منار الهند، وطفع جب سرانديب، وهلك ملك إفريقية، وانقض حصن اندلس، وهاج نمل الشيح، وفقد ديان اليهود، وجذم شطرنج الرومي بأرمينية، وعتاعب عمورية، وسقطت شرافات القسطنطنية، وهاجت سباع البحر واثبة على أهلها، ورجعت رجال النوبة المراجيح، والتفت الزرق مع الفيلة، وطار الوحش إلى العلقين، وهاجت الحيتان في الاخضرين، واضطربت الوحوش بالانقلين، أفأنت عليم بهذه الحوادث وما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية؟ ومن أي برج سعد صاحب النحس؟ وأي برج انتحس صاحب السعد؟ قال الدهقان: لا

علم لي بذلك، قال: فهل دلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالما، في كل عالم سبعون ألف عالم، منهم في البحر، ومنهم في البر، ومنهم في الجبال، ومنهم في السهل والغياض والخراب والعمران؟ فأبن لنا ما الذي من الفلك أسعدهم؟ قال الدهقان: لا علم لي بذلك، قال له: يا دهقان! أظنك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لا حالك في الغسق قد شارفها واتصل جرمه بجرم القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم مولدون في يوم واحد ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغدا، وهذا منهم وأومأ بيده إلى سعد بن مسعود الحارثي وكان في عسكره جاسوسا للخوارج فظن أن عليا عليه السلام يقول خذوا هذا، فقبض على فؤاده فمات في وقته. فقال علي عليه السلام: لم أرك عين التوفيق، أنا وأصحابي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، وأعلام الفلك، وأما ما زعمت أن البارحة اقتدح من برجي النيران، فقد يجب عليك أن تحكم به لي، لأن ضياءه ونوره عندي، ولهبه وحريقه ذاهب عني، فهذه قضية عميقة، فاحسبها إن كنت حاسبا، واعرفها إن كنت عارفاً بالاكوار والادوار، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب، فتشهد الدهقان وقال: يا مولاي! الذي فهم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام مفهمهم مفهمكما يا أمير المؤمنين، فهو والله المشار إليه، ولا أثر بعد عين، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك الإمام والوصي المفترض الطاعة[1].

٨٠ - يونس بن عبد الرحمن في جامعه الصغير بإسناده قال: قلت

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٢، الكتاب المبين ٤/ ١٢٠.

لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو؟ فقال: هو علم من علم الانبياء، قال: فقلت: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم الناس به[١].

٨١ - عن أبي جعفر عليه السلام عمن ذكره قال: كان قد علم نبوة نوح عليه السلام بالنجوم[٢].

٨٢ - عن عطا قال: قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم، نبي من الأنبياء قال له قومه: إنا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله، فأوحى الله عز وجل إلى غمامة فأمطرتهم، واستنقع حول الجبل ماء صاف، ثم أوحى الله عز وجل إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، وكان أحدهم يعلم متى يموت ومتى يمرض، ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له، فبقوا كذلك برهة من دهرهم، ثم إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد! فقال داود عليه السلام: رب اقاتل على طاعتك، ويقاتل هؤلاء على معصيتك، يقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل: إني كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنما أخرجوا إليك من

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٥.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٥.

لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم، فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد. قال داود عليه السلام: يا رب على ماذا علمتهم؟ قال: على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار. قال: فدعا الله عز وجل فحبس الشمس عليهم، فزاد النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم. وقال علي عليه السلام: فمن ثم كره النظر في علم النجوم[1].

٨٣ - عن حسان بن ثابت، قال: إني والله لغلام يفعاء ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كل ما سمعت إذا سمعت يهوديا وهو على أكمة يثرب يصرخ: يا معشر اليهود فلما اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة[2].

٨٤ - عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها، وهو يعجبني، فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني، وإن كانت لا تضر بديني فوالله إني لأشتهيها وأشتهي النظر فيها. فقال: ليس كما يقولون لا تضر بدينك. ثم قال: إنكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك، وقليله لا ينتفع به، تحسبون على طالع القمر، ثم قال: أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله، قال: أفتدري كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة؟ قلت: لا والله، قال أفتدري كم بين الشمس وبين السكينة من دقيقة؟ قلت: لا والله، ما سمعته من أحد من المنجمين قط. قال: أفتدري كم بين السكينة وبين

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٦.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٩.

اللوح المحفوظ من دقيقة؟ قلت: لا ما سمعته من منجم قط، قال: ما بين كل واحد منهما إلى صاحبه ستين أو تسعين دقيقة شك عبد الرحمن ثم قال: يا عبد الرحمن! هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصبة التي في وسط الاجمة، وعدد ما عن يمينها، وعدد ما عن يسارها، وعدد ما خلفها، وعدد ما أمامها، حتى لايخفى عليه من قصب الاجمة واحدة[١].

٨٥ - عن محمد بن سام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قوم يقولون النجوم أصح من الرؤيا، وذلك كانت صحيحة حين لم يرد الشمس على يوشع بن نون، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رد الله عز وجل الشمس عليهما ضل فيها علوم علماء النجوم[٢].

٨٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن النجوم فقال: ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند[٣].

٨٧ - عن هشام الخفاف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني؟ فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها، قال: فقال لي: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ قال: قلت:

(١) الكافي ٨/ ٢٤٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٢.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٢.

هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، قال: سبحان الله! فأسقطتم نجما بأسره! فعلى ما تحسبون؟ ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءا في ضوئه؟ قال: فقلت: هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، قال: فكم القمر جزءا من الشمس في ضوئها؟ قال: قلت: ما أعرف هذا، قال: صدقت ثم قال: فما بال العسكرين يلتقيان، في هذا حاسب، وفي هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النجوم؟ قال: فقلت: لا والله، ما أعلم ذلك قال: فقال: صدقت، إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم(١).

٨٨ - عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو الحسن عليه السلام للحسن بن سهل: كيف حسابك للنجوم؟ فقال: ما بقي منها شيء إلا وقد تعلمته. فقال أبو الحسن عليه السلام: كم لنور الشمس على نور القمر فضل درجة؟ وكم لنور القمر على نور المشتري فضل درجة؟ وكم نور المشتري على نور الزهرة فضل درجة؟ فقال: لا أدري، فقال: ليس في يدك شيء، هذا أيسر!(٢).

٨٩ - عن الريان بن الصلت، وذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون وظهور حجته عليه السلام على جميع العلماء وحضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام وسؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه: هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس عليه السلام، وكان ذو القرنين بها

(١) الكافي ٨/ ٣٥١.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٥.

ماهرا، وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال: إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل، فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم، فمن هناك صار علم النجوم بها. وقد قال قوم: هو علم من علم الانبياء، خصوا به لاسباب شتى، فلم يستدرك المنجمون الدقيق منها، فشابوا الحق بالكذب[١].

٩٠ - عن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحر والبرد ممن يكونان؟ فقال لي: يا أبا أيوب، إن المريخ كوكب حار وزحل كوكب بارد إذا بدأ المريخ في الارتفاع انحط زحل، وذلك في الربيع، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحط زحل درجة ثلاثة أشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط، فيجلو المريخ فلذلك يشتد الحر، فإذا كان في آخر الصيف وأوان الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع زحل درجة انحط المريخ درجة حتى ينتهي المريخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع، فيجلو زحل وذلك في أول الشتاء وآخر الصيف فلذلك يشتد البرد، وكلما ارتفع هذا هبط هذا وكلما هبط هذا ارتفع هذا، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر، وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس، هذا تقدير العزيز العليم، وأنا عبد رب العالمين[٢].

٩١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن آزر أبا إبراهيم كان منجما

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٥.

(٢) الكافي ٨/ ٣٠٦.

لنمرود، ولم يكن يصدر إلا عن أمره، فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود: لقد رأيت عجباً! قال: وما هو؟ قال: رأيت مولودا يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه، ولا يلبث إلا قليلا حتى يحمل به. قال: فتعجب من ذلك وقال: هل حملت به النساء؟ قال: لا، قال فحجب النساء عن الرجال فلم يدعوا امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلطن بعلها، ووقع آزر على أهله وعلقت بإبراهيم عليه السلام فظن أنه صاحبه، فأرسلوا إلى نساء من القوابل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلا علمن به، فنظرن فألزم الله عز وجل ما في الرحم الظهر، فقلن: ما نرى في بطنها شيئا. وكان فيما اوتي من العلم أنه سيحرق في النار ولم يؤت علم أن الله تبارك وتعالى سينجيه منها[١].

٩٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع، فخلقه من ماء بارد، وسائر النجوم الستة الجاريات من ماء حار، وهو نجم الأنبياء والاوصياء، وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها، ويأمر بافتراش التراب، وتوسد اللبن ولباس الخشن، وأكل الجشب، وما خلق الله نحما أقرب إلى الله منه[٢].

٩٣ - عن محمد بن يحيى الخثعمي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حق هي؟ قال لي: نعم، فقلت له: وفي الأرض من يعلمها؟ قال: نعم، وفي الأرض من يعلمها[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٣٧.
(٢) الكافي ٨/ ٢٥٧.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٩.

٩٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب، وأهل بيت من الهند، يعرفون منها نجما واحدا فبذلك قام حسابهم(١).

٩٥ - عن أبي بصير، قال: رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم، فلما خرج من عنده قلت له: هذا علم له أصل؟ قال: نعم، قلت: حدثني عنه، قال: احدثك عنه بالسعد ولا احدثك بالنحس، إن الله جل اسمه فرض صلاة الفجر لأول ساعة فهو فرض وهي سعد، وفرض الظهر لسبع ساعات وهو فرض وهي سعد، وجعل العصر لتسع ساعات وهو فرض وهي سعد، وجعل المغرب لأول ساعة من الليل وهو فرض وهي سعد، والعتمة لثلاث ساعات وهو فرض وهي سعد(٢).

٩٦ - عن بياع السابري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي في النظرة في النجوم لذة، وهي معيبة عند الناس، فإن كان فيها إثم تركت ذلك، وإن لم يكن فيها إثم فإن لي فيها لذة. قال: فقال: تعد الطوالع؟ قلت: نعم، فعددتها له فقال: كم تسقي الشمس القمر من نورها؟ قلت: هذا شيء لم أسمعه قط، وقال: وكم تسقي الزهرة الشمس من نورها؟ قلت: ولا هذا، قال: فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره؟ قلت: وهذا شيء ما أسمعه قط، قال: فقال: هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبة في الاجمة. ثم قال: ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند(٣).

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٩.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٤٩.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠.

٩٧ - ذكرت النجوم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يعلمها إلا أهل بيت بالهند وأهل بيت من العرب[١].

٩٨ - عن محمد وهارون ابني أبي سهل، وكتباً إلى أبي عبد الله عليه السلام أن أبانا وجدنا كانا ينظران في النجوم، فهل يحل النظر فيها؟ قال نعم[٢].

٩٩ - وفيه: نحن ولد بني نوبخت المنجم، وقد كنا كتبنا إليك هل يحل النظر فيها؟ فكتبت: نعم، والمنجمون يختلفون في صفة الفلك، فبعضهم يقول: إن الفلك فيه النجوم والشمس والقمر، معلق بالسماء وهو دون السماء، وهو الذي يدور بالنجوم والشمس والقمر والسماء فإنها لا تتحرك ولا تدور، ويقولون: دوران الفلك تحت الأرض، وإن الشمس تدور مع الفلك تحت الأرض، وتغيب في المغرب تحت الأرض، وتطلع بالغداة من المشرق. فكتب: نعم، ما لم يخرج من التوحيد[٣].

١٠٠ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] قال: كان القمر منحوسا بزحل[٤].

١٠١ - وروي أن هارون الرشيد بعث إلى موسى بن جعفر عليه السلام فأحضره، فلما حضر عنده قال: إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم، وأن معرفتكم بها معرفة جيدة وفقهاء العامة يقولون إن

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٠.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥١.

رسول الله ﷺ قال: إذا ذكروا في أصحابي فاسكتوا وإذا ذكروا القدر فاسكتوا، وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا، وأمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الخلائق بعلم النجوم، وأولاده وذريته الذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها. فقال له الكاظم عليه السلام: هذا حديث ضعيف وإسناده مطعون فيه، والله تبارك وتعالى قد مدح النجوم، ولولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز وجل والانبياء عليهم السلام كانوا عالمين بها وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الانعام: ٧٥] (١).

١٠٢ - وقال في موضع آخر: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ (٨٩)﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] فلو لم يكن عالما بعلم النجوم ما نظر فيها وما قال إني سقيم، وإدريس عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالنجوم، والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، وقال في موضع آخر: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا (٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا (٤) فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا (٥)﴾ [النازعات: ١-٥] ويعني بذلك اثني عشر برجاً وسبعة سيارات، والذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عز وجل، وبعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم، وهو علم الأنبياء والأوصياء وورثة الأنبياء الذين قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] ونحن نعرف هذا العلم وما نذكره. فقال له هارون: بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهروه عند الجهال وعوام الناس حتى لا يشنعوا عليك، ونفس العوام به وغط هذا العلم وارجع إلى حرم جدك. ثم قال له هارون: وقد بقي مسألة أخرى بالله

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٢.

عنيك أخبرني بها! فقال له: سل، فقال له: بحق القبر والمنبر وبحق قرابتك من رسول الله ﷺ أخبرني أنت تموت قبلي أو أنا أموت قبلك؟ لانك تعرف هذا من علم النجوم، فقال له موسى عليه السلام: آمني حتى اخبرك. فقال: لك الامان. فقال: أنا أموت قبلك وما كذبت ولا كذب ووفاتي قريب(١).

١٠٣ - عن علي عليه السلام: من اقتبس علما من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيمانا ويقينا، ثم تلا: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦] (٢).

١٠٤ - عن ميمون بن مهران: إياكم والتكذيب بالنجوم فإنه علم من علوم النبوة(٣).

١٠٥ - وفيه أيضاً عن علي عليه السلام: يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج في محاق الشهر، وإذا كان القمر في العقرب عن علي عليه السلام: أنه يكره أن يتزوج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر أو العقرب(٤).

١٠٦ - عن مولانا علي عليه السلام: ويروى أن رجلاً قال: إني اريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر. فقال: أتريد أن يمحق الله تجارتك؟ تستقبل هلال الشهر بالخروج(٥).

١٠٧ - عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: كانت

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٤.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٤.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٥.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٥.
(٥) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٥٥.

أرض بيني وبين رجل، فأراد قسمتها وكان الرجل صاحب نجوم فنظر إلى الساعه التي فيها السعود فخرج فيها، ونظر إلى الساعة التي فيها النحوس فبعث إلى أبي، فلما اقتسما الأرض خرج خير السهمين لابي، فجعل صاحب النجوم يتعجب، فقال له أبي: ما لك؟ فأخبره الخبر، فقال له أبي: فهلا أدلك على خير مما صنعت؟ إذا أصبحت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة(١).

١٠٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت أرض بين أبي وبين رجل فأراد قسمتها وذكر نحوه وقال عليه السلام: في علم النجوم عندنا معرفة المؤمن من الكافر(٢).

١٠٩ - من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام: أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، تخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟ فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لانك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر. ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيها الناس! إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، بأنها تدعو إلى الكهانة، المنجم

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/٢٥٧.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/٢٥٧.

كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. سيروا على اسم الله وعونه[١].

١١٠ - في الحديث أنه نهى عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب[٢].

١١١ - عن الرضا عليه السلام: إعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر[٣].

١١٢ - في حرز الجواد عليه السلام: وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب[٤].

١١٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كسوف الشمس أشد على الناس والبهائم[٥].

١١٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم يرد الحسنى[٦].

١١٥ - عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه، فرد عليه السلام فقال له: مرحباً بك يا سعد! فقال له الرجل: بهذا الاسم سمتني امي وما أقل

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٢٨.
(٢) مكارم الاخلاق ص٨٣.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٦٨.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٦٨.
(٥) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٦٨.
(٦) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٦٨.

من يعرفني به فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت يا سعد المولى! فقال الرجل: جعلت فداك، بهذا كنت القب. فقال له أبو عبد الله عليه السلام لا خير في اللقب، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] ما صنعتك يا سعد؟ فقال: جعلت فداك، أنا من أهل بيت ننظر في النجوم، لا نقول إن باليمن [أحدا] أعلم بالنجوم منا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأسألك؟ فقال اليماني: سل عما أحببت من النجوم، فإني أجيبك عن ذلك بعلم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت في قولك لا أدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني؟ نجم نحس، فقال أبوعبد الله عليه السلام: مه! لا تقولن هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الاوصياء وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز وجل في كتابه. قال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: إن مطلعه في السماء السابعة، وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله عز وجل النجم الثاقب. يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ فقال اليماني: نعم جعلت فداك، إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم. فقال أبوعبد الله عليه السلام: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال له اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الاثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر

للراكب المجد! فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الاثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر برا واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً! قال: فقال له اليماني: جعلت فداك، ما ظننت أن أحداً يعلم هذا أو يدري ما كنهه! ثم قال اليماني فخرج[١].

١١٦ - عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطانا أجلا ومدة من ليال وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم، وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته، فقصرت لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى له عَزَّ وَجَلَّ بعدد الليالى والشهور[٢].

١١٧ - عن معلى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النجوم أحق هي؟ فقال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فنحاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ، وقال: انظر إلى المشتري أين هو، فقال: إن حسابي ليدل على أنك أنت المشتري، وقال: فشهق شهقة فمات: وورث علمه أهله فالعلم هناك[٣].

---

(١) الخصال ٢/ ٨٦.

(٢) الكافي ٨/ ٢٧١.

(٣) الكافي ٨/ ٣٣٠.

١١٨ - عن عبد الملك بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني قد ابتليت بهذا العلم، فاريد الحاجة، فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشر جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة، فقال لي: تقضي؟ قلت: نعم، قال: أحرق كتبك[١].

١١٩ - عن ابن أبي عمير أنه قال: كنت أنظر في النجوم وأعرفها واعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ثم امض، فإن الله عز وجل يدفع عنك[٢].

١٢٠ - عن عبد الله بن عباس، قال: مرت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال: هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها. فقلنا له: أوليس الله عز وجل يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] فكيف علمت؟ قال: إنا نعلم المخزون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته عليهم السلام[٣].

١٢١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم، وكان يتوخى ساعة السعود فيخرج فيها، وأخرج أنا في ساعة النحوس، فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين، فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثم قال: ما رأيت كاليوم قط! قلت: ويل الآخر، ما ذاك؟ قال: إني صاحب النجوم، أخرجتك في ساحة النحوس وخرجت أنا في ساعة السعود، ثم قسمنا

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٢.
(٢) الفقيه ٢/ ٢٢٢.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٢٧٣.

فخرج لك خير القمسين. فقلت: ألا احدثك بحديث حدثني به أبي عليه السلام؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته. وإني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم[١].

١٢٢ - عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر[٢].

١٢٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، ثم انتهوا[٣].

١٢٤ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أما بعد فإن ناسا يزعمون أن كسوف الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده، لينظر ما يحدث له منهم توبة[٤].

١٢٥ - وعن علي عليه السلام قال: نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله عن النظر في النجوم، وأمرني بإسباغ، الطهور[٥].

١٢٦ - نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن النظر في النجوم[٦].

---

(١) الكافي ٤/ ٦.
(٢) معاني الاخبار ص٢٧١.
(٣) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٤) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٥) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٦) الدر المنثور ٣/ ٣٤.

١٢٧ - قال رسول الله ﷺ: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا[١].

١٢٨ - قال رسول الله ﷺ: أخاف على أمتي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقا بالنجوم. وفي لفظ: وحذقا بالنجوم[٢].

١٢٩ - قال النبي ﷺ: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد[٣].

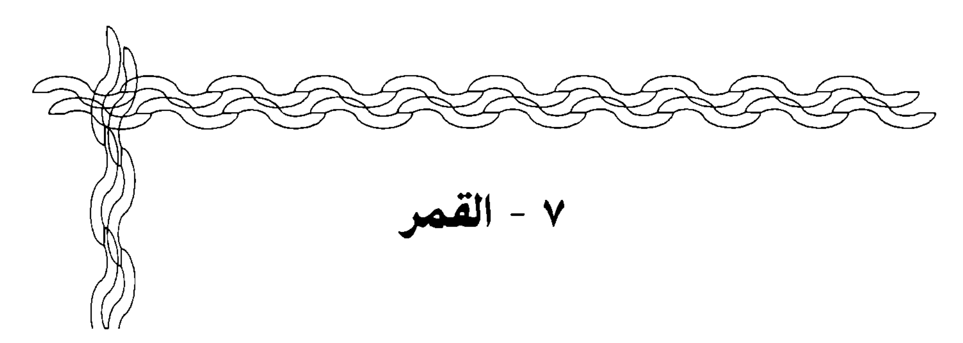
١٣٠ - وعن الحسن بن علي عليه السلام قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر دعا بقوسه فاتكأ على سيتها، وحمد الله وذكر ما فتح الله عليه ونصره، ونهى عن خصال: عن مهر البغي، وعن خاتم الذهب، وعن المياثر الحمر، وعن لبس الثياب القسي، وعن ثمن الكلب، وعن أكل لحوم الحمر الاهلية، وعن الصرف الذهب بالذهب والفضة بالفضة وبينهما فضل، وعن النظر في النجوم[٤].

١٣١ - قال رسول الله ﷺ: لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم[٥].

١٣٢ - قال رسول الله ﷺ: ان متعلم حروف أبي جاد ليرى في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة[٦].

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٢) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٣) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٤) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٥) الدر المنثور ٣/ ٣٤.
(٦) الدر المنثور ٣/ ٣٤.



٧ - القمر

١٣٣ - قال سلام بن المستنير: قلت لأبي جعفر عليه السلام لم صارت الشمس أحر من القمر؟ قال: إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباسا من نار، فمن هنالك صارت أحر من القمر. قلت: فالقمر؟ قال: إن الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباسا من ماء، فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس(١).

١٣٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين) وهو السواد الذي ترونه(٢).

١٣٥ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا إلي أخي. قال: فأرسلوا إلى علي عليه السلام فدخل، فوليا وجوههما إلى الحائط وردا عليهما ثوباً فأسر إليه والناس محتوشون وراء الباب فخرج علي عليه السلام فقال له رجل من الناس: أسر إليك نبي الله شيئا؟ قال: نعم أسر إلي ألف باب في كل باب ألف باب. وقال: وعيته؟

---

(١) الكافي ٨/ ٢٤١، تفسير القمي ٢/ ٣٧٩.

(٢) الاحتجاج ١/ ٨٣.

قال: نعم، وعقلته. فقال: فما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله عز وجل قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] قال له الرجل: عقلت يا علي[١].

١٣٦ - في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي ﷺ: ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال: لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً، فأمر الله عز وجل جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثر المحو في القمر خطوطا سوداء، ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل، ولا علم الصائم كم يصوم، ولا عرف الناس عدد السنين، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢] قال: صدقت يا محمد، فأخبرني لم سمي الليل ليلا؟ قال: لأنه يلايل الرجال من النساء، جعله الله عز وجل الفة ولباسا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١٠-١١] قال: صدقت يا محمد[٢].

١٣٧ - في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن طول الشمس والقمر وعرضها، قال: تسعمائة فرسخ[٣].

١٣٨ - عن الاصبغ: قال: سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن المحو الذي يكون في القمر، قال عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، رجل

(١) الخصال ٢/ ١٥٧.
(٢) علل الشرايع ٢/ ١٥٥.
(٣) عيون الاخبار ١/ ٢٤١.

أعمى يسأل عن مسألة عمياء! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]؟ (١).

١٣٩ - التفسير: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] قال: المحو في القمر(٢)...

١٤٠ - عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يقول: الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] يقول: لا يذهب الليل حتى يدركه النهار ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يقول: يجيء وراء الفلك بالاستدارة(٣).

١٤١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة اتي بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما وبمن يعبدهما في النار، وذلك أنهما عبدا فرضيا(٤).

١٤٢ - عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢] قال: هو السواد الذي في جوف القمر(٥).

١٤٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السواد الذي في القمر محمد رسول الله(٦).

---

(١) الاحتجاج ١/١٣٨.
(٢) تفسير القمي ٢/٣٧٨.
(٣) تفسير القمي ٢/ ٥٥.
(٤) علل الشرايع ٢/ ٢٩٢.
(٥) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦١.
(٦) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦١.

١٤٤ - إن أمير المؤمنين عليه السلام لما صعد المنبر وقال سلوني قبل أن تفقدوني، قال: فقام إليه رجل فسأله عن السواد الذي في القمر فقال عليه السلام: أعمى سأل عن عمياء! أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] والسواد الذي تراه في القمر إن الله عز وجل خلق من نور عرشه شمسين فأمر جبرئيل فأمر جناحه الذي سبق من علم الله جلت عظمته لما أراد أن يكون من اختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر وعدد الساعات والأيام والشهور، والسنين والدهور، والارتحال والنزول، والاقبال والادبار، والحج والعمرة، ومحل الدين، وأجر الاجير، وعدد أيام الحبل، والمطلقة، والمتوفى عنها زوجها، وما أشبه ذلك(١).

١٤٥ - سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن السواد الذي في جوف القمر، قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢] السواد الذي في جوف القمر. قال: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس تطلع من مطلعها فتأتي مغربها، من حدثك غير ذلك كذبك(٢).

١٤٦ - تفسير على بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] قال: العرجون طلع النخل، وهو مثل الهلال في أول طلوعه(٣).

١٤٧ - دخل أبو سعيد المكاري على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٦.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ١٦٦.

له: أبلغ من قدرك أن تدعي ما ادعى أبوك؟ فقال له الرضا عليه السلام ما لك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك؟! أما علمت أن الله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكرا فوهب له مريم. ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى واحد، وأنا من أبي، وأبي مني، وأنا وأبي شيء واحد. فقال له أبو سعيد: فأسألك عن مسألة؟ قال: سل ولا أخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هاتها. فقال له: ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك له قديم فهو حر لوجه الله؟ قال: نعم، ما كان لستة أشهر فهو قديم وهو حر، لأن الله يقول: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] فما كان لستة أشهر فهو قديم وهو حر، قال: فخرج من عنده وافتقر وذهب بصره ثم مات لعنه الله وليس عنده مبيت ليلة[١].

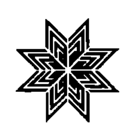
١٤٨ - عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن أخرج عظام يوسف عليه السلام من مصر ووعده طلوع القمر، فأبطأ طلوع القمر عليه فسأل عمن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم علمه، فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال: تعرفين قبر يوسف؟ قالت: نعم، قال: فأخبريني بموضعه، قالت: لا أفعل حتى تعطيني خصالاً: تطلق رجلي، وتعيد إلي بصري، وترد إلي شبابي، وتجعلني معك في الجنة. فكبر ذلك على موسى عليه السلام ، فأوحى الله عز وجل إليه: إنما تعطي علي فأعطها ما سألت، ففعل فدلته على قبر يوسف عليه السلام فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلما أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام[٢].

---

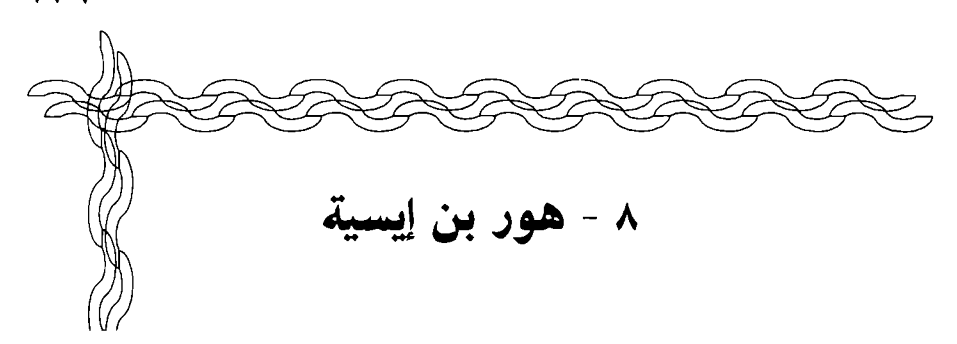
(١) تفسير القمي ٢/ ٥٥١.
(٢) الفقيه ١/ ٥١.

١٤٩ - الصحيفة السجادية: صلوات الله على من ألهمها: كان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال: أيها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نور بك الظلم، وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات ملكه، وعلامة من علامات سلطانه، وامتهنك بالزيادة والنقصان، والطلوع والافول، والانارة والكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع، وإلى إرادته سريع، سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك! جعلك مفتاح شهر حادث، لأمر حادث إلى آخر(١).

١٥٠ - وعن السدي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] قال: لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار، وهو قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢] (٢).

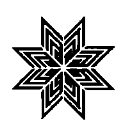


(١) بحار الأنوار ٥٥/ ١٧٨.
(٢) الدر المنثور ٣/ ٣٠٠.



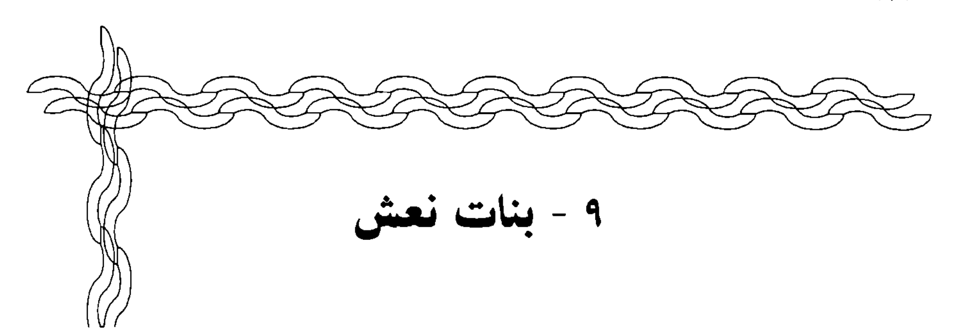
٨ - هور بن إيسية

١٥١ – عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا نظرت إلى السماء فقل وذكر الدعاء – إلى قوله – اللهم رب السقف المرفوع، والبحر المكفوف، والفلك المسجور، والنجوم المسخرات، ورب هور بن إيسية صل على محمد وآل محمد وعافني من كل عقرب وحية إلى آخر الدعاء قال: قلت: وما (هور بن إيسية) قال: كوكبة في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث الكواكب التي في بنات نعش المتفرقات، ذلك أمان ما قلت[1].



---

(١) بحار الأنوار ٥٥/٩٧.

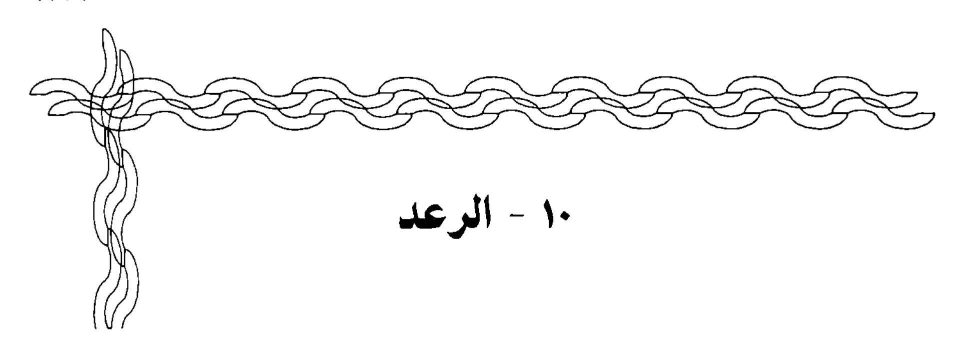


٩ - بنات نعش

١٥٢ - عن هشام الخفاف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني؟ فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها، قال: فقال لي: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ قال: قلت: هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، قال: سبحان الله! فأسقطتم نجما بأسره! فعلى ما تحسبون؟ ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءا في ضوئه؟ قال: فقلت: هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قال: قلت: ما أعرف هذا، قال: صدقت ثم قال: فما بال العسكرين يلتقيان، في هذا حاسب، وفي هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النجوم؟ قال: فقلت: لا والله، ما أعلم ذلك قال: فقال: صدقت، إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم[1].

---

(١) الكافي ٨/ ٣٥١.



١٠ - الرعد

١٥٣ - إن داود قال: كنا عنده فارتعدت السماء فقال: سبحان من يسبح له الرعد بحمده والملائكة من خيفته. فقال له أبو بصير: جعلت فداك، إن للرعد كلاما؟ فقال: يا أبا محمد سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك[١].

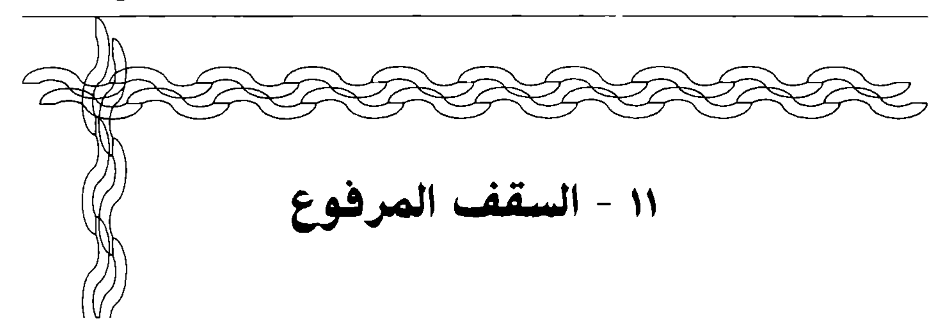
١٥٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرعد أي شيء يقول؟ قال: إنه بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها (هاي، هاي) كهيئة ذلك، قلت: فما البرق؟ قال لي: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر[٢].

١٥٥ - قال: وروي أن الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور[٣].

١٥٦ - قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين تكون؟ قال: تكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله عز وجل أن يرسله أرسل ريحا فأثارته، ووكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩] الآية والملك اسمه الرعد[٤].

---

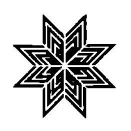
(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٩.
(٢) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٩.
(٣) الفقيه ١/ ١٣٩.
(٤) الكافي ٨/ ٢١٨.



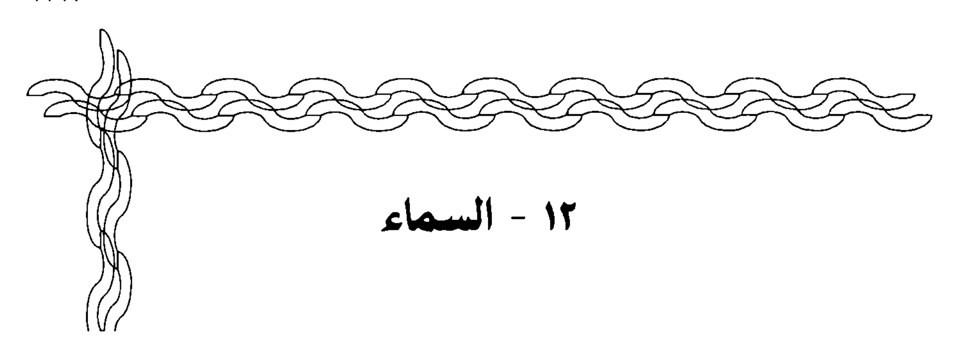
١١ - السقف المرفوع

١٥٧ - عن داود بن كثير الرقي قال: قلت ما معنى السلام على الله وعلى رسوله ﷺ فقال ان الله عزّ وجلّ لما خلق نبيه ووصيه وابنيه وابنته وجميع الائمة عليهم السلام وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وان يصبروا ويصابروا ويرابطوا وان يتقوا الله ووعدهم ان يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وان ينزل لهم البيت المعمور ويظهر لهم السقف المرفوع وينجيهم من عدوهم والأرض التي يبدلها من السلام ويسلم ما فيها لهم ولا شية فيها قال لا خصومة فيها لعدوهم وان يكون لهم منها ما يحبون وأخذ رسول الله ﷺ على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك وانما عليه السلام بذكره نفس الميثاق وتجديداً له على الله لعله ان يعجله ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه.

١٥٨ - وعن علي عليه السلام قال: السقف المرفوع السماء، والبحر المسجور بحر في السماء تحت العرش[١].



(١) الدر المنثور ٦/١١٨.



١٢ - السماء

١٥٩ - في خبر الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأله مم خلق السماوات؟ قال: من بخار الماء، وسأله عن سماء الدنيا مما هي؟ قال: من موج مكفوف، وسأله كم طول الكواكب وعرضه؟ قال: اثنا عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا، وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها فقال له: اسم السماء الدنيا (رفيع) وهي من ماء ودخان، واسم السماء الثانية (قيدوم) وهي على لون النحاس، والسماء الثالثة اسمها (الماروم) وهي على لون الشبه، والسماء الرابعة اسمها (أرفلون) وهي على لون الفضة، والسماء الخامسة اسمها (هيعون) وهي على لون الذهب، والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها (عجماء) وهي درة بيضاء[١].

١٦٠ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: أخبرني عن قول الله ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] فقال: هي محبوكة إلى الأرض - وشبك - بين أصابعه - فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]؟ فقال: سبحان الله! أليس يقول «بغير عمد ترونها»؟ قلت: بلى فقال: فثم عمد ولكن لا ترونها. قلت: كيف ذلك جعلني الله فداك؟ قال: فبسط كفه اليسرى ثم

(١) الخصال ٢/ ٣.

وضع اليمنى عليها، فقال: هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا عليها فوقها قبة: والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبة: والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبة، والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة، والسماء الرابعة فوقها قبة، والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة، والسماء الخامسة فوقها قبة، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبة، والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبة، وعرش الرحمان تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قول الله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ﷺ والوصي بعد رسول الله ﷺ قائم هو على وجه الأرض، فإنما ينزل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات والارضين، قلت: فما تحتنا إلا أرض واحدة؟ فقال: ما تحتنا إلا أرض واحدة، وإن الست لهن فوقنا.

١٦١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لما اسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ، يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار من ظلمة وبحار ثلج ترعد(١).

١٦٢ - سأل يهودي أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت السماء سماء؟ قال: لأنها وسم الماء يعني معدن الماء(٢).

١٦٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام أنه قال ملك الموت: غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٣٧٣.
(٢) علل الشرايع ١/ ٣.

إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام وكل سماء وما بينهما كذلك[١].

١٦٤ - عن جميل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم، أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في السماوات السبع لبحارا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام[٢].

١٦٥ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: إن لله خلف هذه النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء. قلت: وما النطاق؟ قال: الحجاب، ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والانس وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً[٣].

١٦٦ - سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] قال: ذات الخلق الحسن، قال فما المجرة؟ قال يا ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتا! يا ويلك سل عما يعنيك قال: فوالله إن ما سألتك عنه ليعنيني! قال: إنها شرج السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر زمن الغرق على قوم نوح عليه السلام قال: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مد البصر ودعوة بذكر الله فيسمع لا نقول غير ذلك[٤].

١٦٧ - سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ قال: مد البصر ودعوة المظلوم. وسئل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال:

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٤١٢.
(٢) التوحيد ص٢٠٤.
(٣) بحار الأنوار ٥٥/ ٩١.
(٤) بحار الأنوار ٥٥/ ٩٣.

يوم طراد الشمس وسئل عن المجرة فقال أبواب السماء فتحها الله على قوم نوح ثم أغلقها فلم يفتحها. وسئل عن القوس فقال: أمان الأرض كلها من الغرق إذا رأوا ذلك في السماء(١).

١٦٨ - العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم: معنى السماء أنها ارتفعت أي سمعت من السمو، ومعنى الأرض أنها انخفضت، وكل شيء انخفض فهو أرض(٢).

١٦٩ - النهج: قال عليه السلام اللهم رب السقف المرفوع، والجو المكفوف، الذي جعلته مغيضا لليل والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفا للنجوم السيارة، وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجا للهوام، والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا، وللخلق اعتماداً(٣).

١٧٠ - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة: فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكئات ولا مبطئات، ولولا إقرارهن له بالربوبية، وإذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه، ولا مسكنا لملائكته، ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه، جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيران، في مختلف فجاج الاقطار، لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم، ولا استطاعت

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٩٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/ ٩٣.
(٣) نهج البلاغة ١/ ٣١٨.

جلابيب سواد الحنادس أن ترد ما شاع في السماوات من تلألؤ نور القمر[١].

١٧١ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن السماوات السبع، فقال: سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق، وبينها وبين الأخرى خلق، حتى ينتهي إلى السابعة. قلت: والأرض؟ قال: سبع، منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب، واثنتان هواء ليس فيهما شيء[٢].

١٧٢ - عن ابن مسعود قال: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماءين خمسمائة عام، وغلظ كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء[٣].

١٧٣ - عن العباس بن عبد المطلب قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: بينهما مسيرة خمسمائة عام، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/٩٦.
(٢) بحار الأنوار ٥٥/٩٦.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٣.

١٧٤ - عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عام، كذلك إلى السماء السابعة، والارضون مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك. ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله ثمة يعني علمه[١].

١٧٥ - عن النبي ﷺ قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فمرت سحابة فقال: أتدرون ما هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه الغيابة يسوقها الله إلى أهل بلد لا يعبدونه، ولا يشكرونه! هل تدرون ما فوق ذلك! قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ، هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك سماء اخرى، هل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عدد سبع سماوات بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن فوق ذلك العرش، فهل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن بين ذلك كما بين السماءين ثم قال: هل تدرون ما هذه؟ هذه أرض، هل تدرون ما تحتها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، وبينهما مسيرة خمسمائة عام، حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام[٢].

---

(١) الدر المنثور ١/ ٤٣.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٣.

١٧٦ - وعن عبد الله بن عمر أنه نظر إلى السماء فقال: تبارك الله! ما أشد بياضها، والثانية أشد بياضا منها، ثم كذلك حتى بلغ سبع سماوات، وخلق فوق السابعة الماء، وجعل فوق الماء العرش، وجعل فوق السماء الدنيا الشمس والقمر النجوم والرجوم(١).

١٧٧ - وعن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله ما هذا السماء؟ قال: هذا موج مكفوف عنكم(٢).

١٧٨ - وعن الربيع بن أنس قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، وما فوق ذلك صحارى من نور، وما يعلم ما فوق ذلك إلا الله، وملك موكل بالحجب يقال له (ميطاطروش)(٣).

١٧٩ - وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: السماء الدنيا من زمردة خضراء اسمها (رفيعا) والثانية من فضة بيضاء واسمها (أذقلون) والثالثة من ياقوتة حمراء واسمها (قيدوم) والرابعة من درة بيضاء واسمها (ماعونا) والخامسة من ذهبة حمراء واسمها (ديقا) والسادسة من ياقوتة صفراء واسمها (دفنا) والسابعة من نور واسمها (عربياً)(٤).

١٨٠ - وعن علي عليه السلام قال: اسم السماء الدنيا رفيع، واسم السابعة الضراح(٥).

---

(١) الدر المنثور ١/ ٤٣.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٣.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٣.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٥) الدر المنثور ١/ ٤٤.

١٨١ - وعن ابن عباس قال: سيد السماوات السماء التي فيها العرش وسيد الأرضين الأرض التي أنتم عليها[١].

١٨٢ - وعن الشعبي قال: كتب ابن عباس إلى أبي الجحدر حين سأله عن السماء من أي شي هي فكتب إليه: إن السماء من موج مكفوف[٢].

١٨٣ - وعن حبة العرني قال: سمعت عليا عليه السلام ذات يوم يحلف: والذي خلق السماء من دخان وماء[٣].

١٨٤ - وعن كعب قال: السماء أشد بياضا من اللبن[٤].

١٨٥ - وعن سفيان الثوري قال: تحت الأرضين صخرة بلغنا أن تلك الصخرة منها خضرة السماء[٥].

١٨٦ - وعن قتادة في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: بعضهن فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام[٦].

١٨٧ - وعن أبي صالح في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين[٧].

---

(١) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٥) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٦) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٧) الدر المنثور ١/ ٤٤.

١٨٨ - وعن الحسن وقتادة قالا: كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء(١).

١٨٩ - وعن ابن جبير قال: كانت السماوات والارضون ملتزقتين، فلما رفع الله السماء وأبعدها من الأرض فكان فتقها الذي ذكر الله(٢).

١٩٠ - وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] قال: حسنها واستواؤها(٣).

١٩١ - وروي عنه أيضاً أنه قال: ذات البهاء والجمال، وأن بنيانها كالبرد المسلسل(٤).

١٩٢ - وفي رواية اخرى عنه: ذات طرائق والخلق الحسن(٥).

١٩٣ - وعن علي عليه السلام قال: هي السماء السابعة(٦).

١٩٤ - وعن عكرمة: ذات الخلق الحسن محبكة بالنجوم(٧).

١٩٥ - وعن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليا عليه السلام عن المجرة فقال: هي شجر السماء، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر، ثم قرأ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١](٨).

---

(١) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٥) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٦) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٧) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٨) الدر المنثور ١/ ٤٤.

١٩٦ - وعن ابن عباس في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقداره خمسين ألف سنة، ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام(١).

١٩٧ - وعنه أيضاً قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٢).

١٩٨ - وعن وهب قال: مقدار ما بين أسفل الأرض إلى العرش خمسون ألف سنة(٣).

١٩٩ - وعن الحسن في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] قال: بعضهن فوق بعض كل سماء وأرض خلق وأمر(٤).

٢٠٠ - وعن أبي ذر قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] حتى ختمها، ثم قال: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط! ما فيها موضع أربع أصابع

---

(١) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٤.

إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل(١).

٢٠١ - وعن علي عليه السلام قال: السقف المرفوع السماء، والبحر المسجور بحر في السماء تحت العرش(٢).

٢٠٢ - وعن الاعمش قال: كان أصحاب عبد الله يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] ذات القصور(٣).

٢٠٣ - وعن أبي صالح في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قال النجوم العظام(٤).

٢٠٤ - وعن جابر عن عبد الله أن النبي ﷺ سئل عن السماء ذات البروج فقال: الكواكب. وسئل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: ١٦] فقال: الكواكب. قيل: فبروج مشيدة؟ فقال القصور(٥).

٢٠٥ - وعن قتادة في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قال: بروجها نجومها ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ٢] قال: يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] قال: يومان عظيمان عظمهما الله من أيام الدنيا، كنا نحدث أن الشاهد يوم القيامة، وأن المشهود يوم عرفة(٦).

---

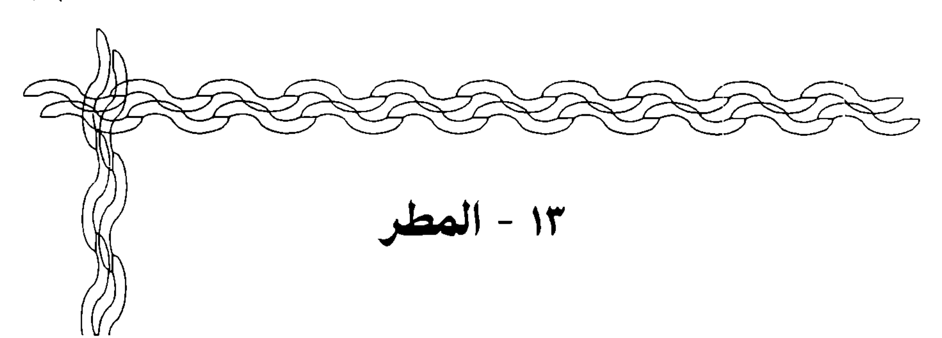
(١) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٣) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٤) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٥) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٦) الدر المنثور ١/ ٤٤.

٢٠٦ - وعن الحسن في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قال: حبكت بالخلق الحسن ثم حبكت بالنجوم ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ [البروج: ٢] قال: يوم القيامة[١].

٢٠٧ - وعن مجاهد ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قال: ذات النجوم ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: ٣] قال: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة)[٢].



(١) الدر المنثور ١/ ٤٤.
(٢) الدر المنثور ١/ ٤٤.



١٣ - المطر

٢٠٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج هشام بن عبد الملك حاجاً معه الأبرش الكلبي، فلقيا أبا عبد الله في المسجد الحرام، فقال هشام للابرش: تعرف هذا؟ قال: لا، قال هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي من كثرة علمه فقال الأبرش: لأسألنه عن مسألة لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي. فقال هشام: وددت أنك فعلت ذلك. فلقي الابرش أبا عبد الله عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله! أخبرني عن قول الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الانبياء: ٣٠] فما كان رتقهما وما كان فتقهما؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبرش! هو كما وصف نفسه كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يحد، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا، ثم أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلا من زبد، ثم دحا الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء، وجعل فيها البروج النجوم ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السماء خضراء على لون الماء

الاخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، وكا
مرتوقتين ليس لهما أبواب، ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت، و
تمطر السماء عليها فتنبت، ففتق السماء بالمطر، وفتق الأرض
بالنبات، وذلك قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْ
كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فقال الابرش: والله ما حدثني بمـ
هذا الحديث أحد قط! أعد علي، فأعاد عليه، وكان الابرش ملحـ
فقال: وأنا أشهد أنك ابن نبي ثلاث مرات[١].

٢٠٩ - عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَـ
فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] فهي الانهار والعيون والآبار[٢].

٢١٠ - قال الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُـ
ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] قال: خوف للمسافر وطـ
للمقيم[٣].

٢١١ - في ما أجاب الحسن بن علي عليهما السلام من أسئلة ملك الر
وقال السائل: ما قوس قزح؟ قال: ويحك! لا تقل قوس قزح، فـ
قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهـ
الأرض من الغرق[٤].

٢١٢ - عن الاصبغ قال: سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام
فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن قوس قزح. قال: ثكلتك أمك يا

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٤٢٧.
(٢) تفسير القمي ٢/ ٤٤٦.
(٣) عيون الاخبار ١/ ٢٩٤.
(٤) الاحتجاج ١/ ١٤٤.

الكواء! لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم الشيطان، ولكن قل: قوس الله إذا بدت يبدو الخصب والريف[١].

٢١٣ - عن وهب بن منبه قال: أهل الكتابين يقولون: لما هبط نوح من السفينة أوحى الله عز وجل إليه: يا نوح! إنني خلقت خلقي لعبادتي وأمرتهم بطاعتي، فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، وإني قد جعلت قوسي أمانا لعبادي وبلادي وموثقا بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده مني؟ ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر، وكانت القوس فيها سهم ووتر، فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعلها أمانا لعباده وبلاده من الغرق[٢].

٢١٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام ان قوما من بني إسرائيل قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يمطر علينا السماء إذا أردنا فسأل ربه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلما أرادوا، فزرعوا فنمت زروعهم وحسنت، فلما حصدوا لم يجدوا شيئاً، فقالوا: إنما سألنا المطر للمنفعة فأوحى الله تعالى أنهم لم يرضوا بتدبيري لهم، أو نحو هذا[٣].

٢١٥ - ،عن جده الحسن، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عز وجل ولو قد قام قائمنا لانزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها[٤].

---

(١) الاحتجاج ١/ ١٣٨.
(٢) علل الشرايع ١/ ٢٨.
(٣) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٨.
(٤) الخصال ٢/ ١٦٥.

٢١٦ - الإمام العسكري عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] يعني المطر ينزل مع كل قطرة ملكا يضعها في موضعها الذي يأمره به ربه عز وجل[١].

٢١٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقوم في المطر أول ما يمطر حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: يا أمير المؤمنين الكن! الكن! فقال: إن هذا ماء قريب العهد بالعرش، ثم أنشأ يحدث فقال: إن تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات، فإذا أراد الله عز ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا فيما أظن فيلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال، ثم يوحي إلى الريح أن اطحنيه أذيبيه ذوبان الماء ثم انطلقي به إلى موضع كذا وكذا فأمطري عليهم فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك، فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلا بعدد معدود ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل من ماء منهمر بلا وزن ولا عدد[٢].

٢١٨ - قال علي عليه السلام: المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش، فمن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستمطر أول مطر، ويقوم حتى يبتل رأسه ولحيته، ثم يقول: إن هذا ماء قريب عهد بالعرش، وإذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الارض. ويقال: المزن ذلك البحر، وتهب ريح من تحت ساق

(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٧٩.
(٢) علل الشرايع ٢/ ١٤١.

عرش الله تعالى تلقح السحاب، ثم ينزل من المزن الماء، ومع كل قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها[١].

٢١٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما برقت قط في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلا وهي ماطرة[٢].

٢٢٠ - كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أصابه المطر مسح به صلعته وقال: بركة من السماء لم يصبها يد ولا سقاء[٣].

٢٢١ - سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١] قال: الرياح، ويلك! قال: فما الحاملات وقرا؟ قال: السحاب، ويلك! قال: فما الجاريات يسرا؟ قال: السفن، ويلك! قال: فما المقسمات أمرا؟ قال: الملائكة، ويلك؟ قال: فما قوس قزح؟ قال: ويلك! لا تقل قوس قزح فإن قزحا الشيطان، ولكنها القوس، وأمان أهل الأرض، فلا غرق بعد قوم نوح[٤].

٢٢٢ - قال الصادق عليه السلام: فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده، ألا ترى أن الامطار إذا توالت عفنت البقول والخضر، واسترخت أبدان الحيوان، وخصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك. وإن الصحو إذا دام جفت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والاودية، فأضر ذلك

---

(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٣.
(٢) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٣.
(٣) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٤.
(٤) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٤.

بالناس، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أخرى من الأمراض؟ فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء، ودفع كل واحد منهما عادية الاخرى، فصلحت الأشياء واستقامت. فإن قال قائل: ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة؟ قيل له: ليمض ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الالم فيرعوي عن المعاصي، فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الادوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه، كذلك إذا طغى وأشر احتاج إلى ما يعظه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه، ويتنبه على ما فيه حظه ورشده. ولو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت؟ فأين هذا من مطرة رواء إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها؟ أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون؟! و ربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط إيثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة، وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها. تأمل نزوله على الأرض وتدبر في ذلك، فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا الموضع المشرفة منها ولقل ما يزرع في الأرض، ألا ترى أن الذي يزرع سيحا أقل من ذلك؟ فالامطار هي التي تطبق الأرض، وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة، وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم، حتى يستأثر بالماء ذو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء. ثم إنه حين قدر أن

يتحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويها ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب والمزروع ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح اخرى، فإنه يلين الابدان، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى (اليرقان) إلى أشباه هذا من المنافع. فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه، أو برد يكون فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيتولد كثير من الامراض في الابدان، والآفات في العلات؟ قيل: بلى، قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيها يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله[١].

- النبي ﷺ: إذا أراد الله بقوم خيرا أمطرهم بالليل وشمسهم بالنهار.

- قال ﷺ: إذا غضب الله على امة ولم ينزل بها العذاب غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارتها، ولم تزك ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلط عليها أشرارها.

- وقال ﷺ: إذا منعت الزكاة هلكت الماشية وإذا جار الحكام أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين.

---

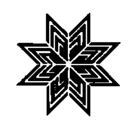
(١) بحار الأنوار ٥٦/ ٣٨٥.

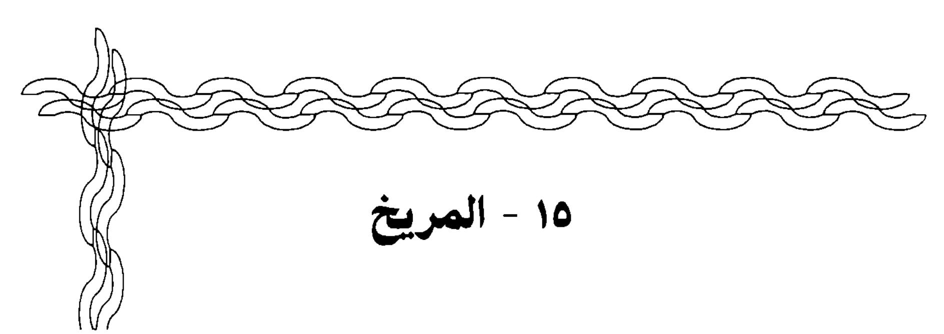


١٤ - المد والجزر

٢٢٣ - سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن المد والجزر ما هما؟ فقال: ملك موكل بالبحار يقال له (رومان) فإذا وضع قدميه في البحر فاض، وإذا أخرجهما غاض.

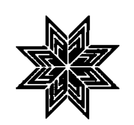
٢٢٤ - عن ابن عباس، أنه سئل عن المد والجزر فقال: إن الله عز وجل وكل ملكا بقاموس البحر، فإذا وضع رجله فيه فاض وإذا أخرجهما غاض.

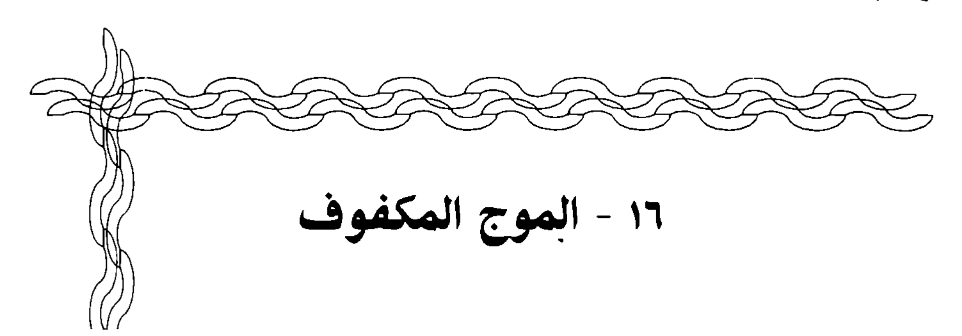




١٥ - المريخ

٢٢٥ - عن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحر والبرد ممن يكونان؟ فقال لي: يا أبا أيوب، إن المريخ كوكب حار وزحل كوكب بارد إذا بدأ المريخ في الارتفاع انحط زحل، وذلك في الربيع، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحط زحل درجة ثلاثة أشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط، فيجلو المريخ فلذلك يشتد الحر، فإذا كان في آخر الصيف وأوان الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط، فلا يزالان كذلك كلما ارتفع زحل درجة انحط المريخ درجة حتى ينتهي المريخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع، فيجلو زحل وذلك في أول الشتاء وآخر الصيف فلذلك يشتد البرد، وكلما ارتفع هذا هبط هذا وكلما هبط هذا ارتفع هذا، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر، وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس، هذا تقدير العزيز العليم، وأنا عبد رب العالمين.





١٦ - الموج المكفوف

٢٢٦ - روي عن صفوان الجمال، قال كنت بالحيرة مع أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل الربيع وقال: أجب أمير المؤمنين. فلم يلبث أن عاد، قلت: أسرعت الانصراف، قال: إنه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه، فقال صفوان: وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت إلى الربيع وسألته، فقال: أخبرك بالعجب إن الاعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البر خلقا ملقى، فأتوني به فأدخلته على الخليفة، فلما رآه قال: نحه وادع جعفرا، فدعوته فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه؟ قال: في الهواء موج مكفوف، قال: ففيه سكان؟ قال: نعم، قال: وما سكانه؟ قال: خلق أبدانهم أبدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة، ونغانغ كنغانغ الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشد بياضا من الفضة المجلوة. فقال الخليفة: هلم الطشت. فجئت بها وفيها ذلك الخلق، وإذا هو والله كما وصفه جعفر، فلما خرج جعفر قال: يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس[١].



(١) بحار الأنوار ٥٦/٢٣٨.



١٧ - فصول السنة والشهور

٢٢٧ - قال الإمام الرضا عليه السلام في الرسالة الذهبية:

أما فصل الربيع فإنه روح الازمان وأوله (آذار) وعدد أيامه ثلاثون يوما، وفيه يطيب الليل والنهار، وتلين الارض. ويذهب سلطان البلغم، ويهيج الدم، ويستعمل فيه من الغذاء اللطيف واللحوم والبيض النيمبرشت، ويشرب الشراب بعد تعديله بالماء، ويتقى فيه أكل البصل والثوم والحامض، ويحمد فيه شرب المسهل ويستعمل فيه الفصد والحجامة.

نيسان ثلاثون يوما، فيه يطول النهار ويقوى مزاج الفصل، ويتحرك الدم وتهب فيه الرياح الشرقية، ويستعمل فيه من المآكل المشوية، وما يعمل بالخل ولحوم الصيد ويعالج الجماع والتمريخ بالدهن في الحمام، ولا يشرب الماء على الريق، ويشم الرياحين والطيب.

ايار أحد وثلاثون يوماً، وتصفو فيه الرياح، وهو آخر فصل الربيع، وقد نهي فيه عن أكل الملوحات واللحوم الغليظة كالرؤوس ولحم البقر واللبن، وينفع فيه دخول الحمام أول النهار ويكره فيه الرياضة قبل الغداء.

حزيران ثلاثون يوما، يذهب فيه سلطان البلغم والدم، ويقبل زمان المرة الصفراوية ونهي فيه عن التعب وأكل اللحم داسما والاكثار منه،

وشم المسك والعنبر، وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء وبقلة الحمقاء، وأكل الخضر كالخيار والقثاء، الشيرخشت، والفاكهة الرطبة، واستعمال المحمضات، ومن اللحوم لحم المعز الثني والجذع، ومن الطيور الدجاج والطيهوج والدراج والالبان والسمك الطري.

تموز أحد وثلاثون يوما، فيه شدة الحرارة وتغور المياه، ويستعمل فيه شرب الماء البارد على الريق، ويؤكل فيه الأشياء الباردة الرطبة ويكسر فيه مزاج الشراب، وتؤكل فيه الاغذية اللطيفة السريعة الهضم كما ذكر في حزيران ويستعمل فيه من النور؟ الرياحين الباردة الرطبة الطيبة الرائحة.

آب أحد وثلاثون يوماً فيه تشتد السموم، ويهيج الزكام بالليل، وتهب الشمال ويصلح المزاج بالتبريد والترطيب، وينفع فيه شرب اللبن الرائب، ويجتنب فيه الجماع والمسهل، ويقل من الرياضة، ويشم من الرياحين الباردة. أيلول ثلاثون يوما، فيه يطيب الهواء، ويقوى سلطان المرة السوداء، ويصلح شرب المسهل وينفع فيه أكل الحلاوات وأصناف اللحوم المعتدلة كالجداء والحولي من الضأن، ويجتنب فيه لحم البقر، والاكثار من الشواء ودخول الحمام ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج ويجتنب فيه أكل البطيخ والقثاء.

تشرين الأول أحد وثلاثون يوما، فيه تهب الرياح المختلفة، ويتنفس فيه ريح الصبا، ويحتنب فيه الفصد وشرب الدواء، ويحمد فيه الجماع، وينفع فيه أكل اللحم السمين والرمان المز والفاكهة بعد الطعام، ويستعمل فيه أكل اللحوم بالتوابل ويقلل فيه من شرب الماء، ويحمد فيه الرياضة.

تشرين الآخر ثلاثون يوما، فيه يقطع المطر الوسمي، وينهى فيه عن شرب الماء بالليل، ويقلل فيه من دخول الحمام والجماع، ويشرب بكرة كل يوم جرعة ماء حار، ويجتنب أكل البقول كالكرفس والنعناع والجرجير.

كانون الأول أحد وثلاثون يوما، يقوى فيه العواصف، وتشتد فيه البرد وينفع فيه كل ما ذكرناه في تشرين الآخر، ويحذر فيه من أكل الطعام البارد، ويتقى فيه الحجامة والفصد، ويستعمل فيه الاغذية الحارة بالقوة والفعل.

كانون الآخر أحد وثلاثون يوما، يقوى فيه غلبة البلغم وينبغي أن يتجرع فيه الماء الحار على الريق، ويحمد فيه الجماع وينفع الاحشاء فيه مثل البقول الحارة كالكرفس الجرجير والكراث، وينفع فيه دخول الحمام أول النهار والتمريخ بدهن الخيري وما ناسبه، ويحذر فيه الحلو وأكل السمك الطري واللبن.

شباط ثمانية وعشرون يوما، تختلف فيه الرياح، وتكثر الامطار، ويظهر فيه العشب، ويجري فيه الماء في العود، وينفع فيه أكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة، ويقلل من أكل الحلاوة، ويحمد فيه كثرة الجماع والحركة والرياضة صفة الشراب الذي يحل شربه واستعماله بعد الطعام، وقد تقدم ذكر نفعه في ابتدائنا بالقول على فصول السنة ما يعتمد فيها من حفظ الصحة وصفته أن يؤخذ من الزبيب المنقى عشرة أرطال، فيغسل وينقع في ماء صاف في غمرة وزيادة عليه أربع أصابع ويترك في إنائه ذلك ثلاثة أيام في الشتاء وفي الصيف يوماً وليلة. ثم يجعل في قدر نظيفة، وليكن الماء ماء السماء، إن قدر عليه وإلا فمن الماء العذب الذي ينبوعه من ناحية المشرق ماء براقا أبيض

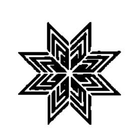
خفيفا، وهو القابل لما يعترضه على سرعة من السخونة والبرودة، وتلك دلالة على صفة الماء ويطبخ حتى ينشف الزبيب وينضج، ثم يعصر ويصفى ماؤه ويبرد، ثم يرد إلى القدر ثانيا ويؤخذ مقداره بعود ويغلى بنار لينة غليانا لينا رقيقا حتى يمضي ثلثاه ويبقى ثلثه.

ثم يؤخذ من عسل النحل المصفى رطل، فيلقى عليه ويؤخذ مقداره ومقدار الماء إلى أين كان من القدر، ويغلى حتى يذهب قدر العسل ويعود إلى حده ويؤخذ خرقة صفيقة فيجعل فيها زنجبيل وزن درهم، ومن القرنفل نصف درهم، ومن الدارصيني نصف درهم، ومن الزعفران درهم، ومن سنبل الطيب نصف درهم، ومن الهندباء مثله، من مصطكي نصف درهم، بعد أن يسحق الجميع كل واحدة على حدة، وينخل ويجعل في الخرقة، ويشد بخيط شدا جيدا، وتلقى فيه وتمرس الخرقة في الشراب بحيث تنزل قوى العقاقير التي فيها، ولا يزال يعاهد بالتحريك على نار لينة برفق حتى يذهب عنه مقدار العسل، ويرفع القدر ويبرد ويؤخذ مدة ثلاثة أشهر حتى يتداخل مزاجه بعضه ببعض وحينئذ يستعمل. ومقدار ما يشرب منه أوقية إلى أوقيتين من الماء القراح. فإذا أكلت يا أمير المؤمنين مقدار ما وصفت لك من الطعام فاشرب من هذا الشراب مقدار ثلاثة أقداح بعد طعامك فإذا فعلت ذلك فقد أمنت بإذن الله تعالى يومك وليلتك.

من الاوجاع الباردة المزمنة كالنقرس والرياح وغير ذلك من أوجاع العصب والدماغ والمعدة وبعض أوجاع الكبد والطحال والمعاء والاحشاء. فإن صدقت بعد ذلك شهوة الماء فليشرب منه مقدار النصف مما كان يشرب قبله فإنه أصلح لبدن أمير المؤمنين، وأكثر لجماعه، وأشد لضبطه وحفظه، فإن صلاح البدن وقوامه يكون بالطعام

والشراب، وفساده يكون بهما، فإن أصلحتهما صلح البدن، وإن أفسدتهما فسد البدن واعلم يا أمير المؤمنين أن قوة النفوس تابعة لأمزجة الأبدان، وأن الأمزجة تابعة للهواء، وتتغير بحسب تغير الهواء في الامكنة. فإذا برد الهواء مرة وسخن اخرى تغيرت بسببه أمزجة الابدان، وأثر ذلك التغير في الصور، فإذا كان الهواء معتدلا اعتدلت أمزجة الابدان، وصلحت تصرفات الامزجة في الحركات الطبيعية كالهضم والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات لأن الله تعالى بنى الأجسام على أربع طبائع، وهى: المرتان والدم والبلغم وبالجملة حاران وباردان، قد خولف بينهما فجعل الحارين لينا ويابسا، وكذلك الباردين رطباً ويابساً، ثم فرق ذلك على أربعة أجزاء من الجسد، وعلى الرأس والصدر والشراسيف وأسفل البطن.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الرأس والأذنين والعينين والمنخرين والفم والانف من الدم، وأن الصدر من البلغم والريح، والشراسيف من المرة الصفراء، وأن أسفل البطن من المرة السوداء.



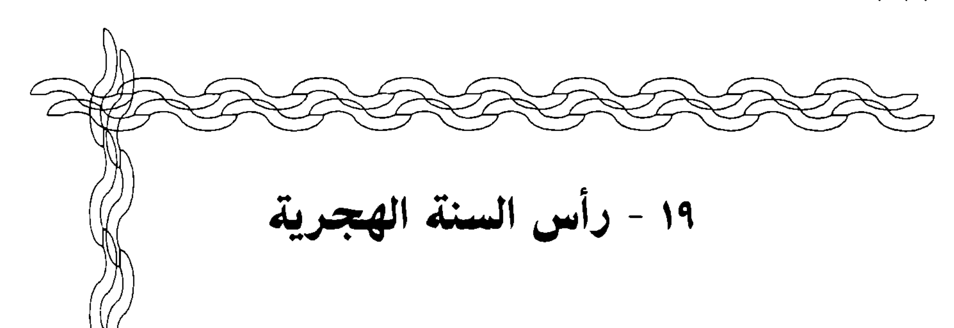


١٨ - الكواكب وقراناتها

٢٢٨ - روى المفيد قال: إعلم أنه إذا قرنت الزهرة مع المريخ في برج واحد هلك ملك الروم أو يكون بالروم مصيبات عظيمة أو بلايا. وإذا قرنت الزهرة مع زحل كان في العامة شدة وضيق. وإذا قرنت الزهرة مع المشتري أصاب الناس رخاء من العيش. وإذا قرنت الزهرة مع عطارد يكون إهراق الدماء وفتح عظيم. وإذا قرن بهرام مع زحل في برج واحد هلك ملك حدث في أرض ذلك البرج. وإذا اجتمع بهرام والمشتري في برج واحد مات ملك عظيم الشأن. وإذا اجتمع زحل وعطارد وقع في التجار الخوف والحزن، وكذلك في أهل الأدب. وإذا اجتمع زحل والمشتري في برج واحد تغيرت الدنيا في سائر الأحوال، ويتغير امور الناس، وتخرج الخوارج من النواحي كلها وخاصة من الديالم والأكراد، ويقتلون الناس قتالاً شديداً ويشتد الأمر عليهم من الخوف والحزن وترتفع السفلة شأنهم، وتغير طبائع الناس كلهم، ويذهب عنهم الحياء والإنسانية ويطمع كل واحد في آخره، ويزيد فيهم كثرة الفساد خاصة في النساء وإسقاط الوالدات أولاد الحرام، وإهراق الدماء، والقتل، والجوع. وإذا اجتمع المشتري وعطارد أصاب الأرض طاعون، ويقع فيما بين الناس العداوة والبغض. وإذا ركب القمر فوق زحل ذهب ملك ملك. وإذا اجتمع بهرام وعطارد في العقرب فذلك آية قتل ملك بابل. وإذا اجتمع المشتري والزهرة في

العقرب فذلك آية فزع ومرض بأرض بابل. وإذا اجتمعت الشمس في شولة العقرب فذلك آية اختلاف الروم وقتل ملكهم. وإذا اجتمع المريخ وعطارد في شولة العقرب فذلك آية خراب بيت ملك بابل وفارس. وإذا اجتمعت الشمس والقمر في شولة العقرب وبهرام في السرطان فإن استطعت أن تتخذ سرباً لتدخل فيه فافعل. وإذا اجتمعت الزهرة والمشتري فإن النساء يخشين أزواجهن عداوة. وإذا نزل كيوان الطرفة أو الدبران وقع الطاعون بالعراق ومات كثير من الناس. وإذا نزل الطرفة على آخره يكون في أرض العراق قتال وفتنة. وإذا نزل النثرة بدلت أعمال العراق ولقوا بلاء وشدة. وإذا نزل كيوان الغفر يكون بأرض العراق قتال وفتنة وإذا نزل كيوان جبهة وقع الموت في البقر والسباع والوحش. وإذا نزل كيوان والمشتري الإكليل والقلب والشولة يقع في المشرق والمغرب طاعون شديد، ويموت من الناس اناس كثيرة ويقع الفساد والبلايا في الأرض كلها، ويكون بلايا عليهم كلها في الناس، ويقتل الملوك والعلماء، وترتفع سفلة من الناس. واعلم أن مع الشمس كواكب لها أذناب بعضها فوق بعض نفر، فإذا بدأ كوكب منها في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج شر وبلاء وفتنة، وخلع الملوك. وإذا رأيت كوكباً أحمر لا تعرفه وليس على مجاري النجوم ينتقل في السماء من مكان إلى مكان يشبه العمود وليس به، فإن ذلك آية الحرب والبلايا وقتل العظماء وكثرة الشرور والهموم والآشوب في الناس قوبل ونسخ من خط ابن الحسن بن شاذان رحمه الله[١].

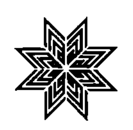
(١) بحار الأنوار ج ٥٥ ص ٣٣٠ الاختصاص ص ١٦٠.



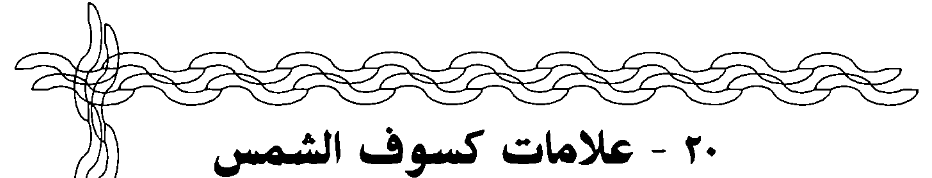
١٩ - رأس السنة الهجرية

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كان في كتاب دانيال عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه إذا كان أول يوم من المحرم يوم السبت فإنه يكون الشتاء شديد البرد كثير الريح، يكثر فيه الجليد، وتغلو فيه الحنطة، وتقع فيه الوباء وموت الصبيان، ويكثر الحمى في تلك السنة، ويقل العسل، وتكسر الكماة، ويسلم الزرع من الآفات، ويصيب بعض الاشجار آفة وبعض الكروم، وتخصب السنة، ويقع بالروم الموتان، ويغزوهم العرب، ويكثر فيهم السبي والغنائم في أيدي العرب، ويكون الغلبة في جميع المواضع للسلطان بمشيئة الله. وإذا كان يوم الأحد أول المحرم فإنه يكون الشتاء صالحا، ويكثر المطر، ويصيب بعض الاشجار والزرع آفة، ويكون أوجاع مختلفة وموت شديد ويقل العسل، ويكثر في الهواء الوباء والموتان، ويكون في آخر السنة بعض الغلا في الطعام، ويكون الغلبة للسلطان في آخره. وإذا كان يوم الإثنين أول المحرم فإنه يكون الشتاء صالحا، ويكون في الصيف حر شديد، ويكثر المطر في أيامه ويكثر البقر والغنم، ويكثر العسل ويرخص الطعام والاسعار في بلدان الجبال ويكثر الفواكه فيها، ويكون موت النساء، وفي آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق، ويصيب بعض فارس غم، ويكثر الزكام في أرض الجبل وإذا كان يوم الثلاثاء أول المحرم فإنه يكون الشتاء شديد البرد، ويكثر الثلج والجمد بأرض الجبل وناحية

المشرق، ويكثر الغنم والعسل، ويصيب بعض الاشجار والكروم آفة، ويكون بناحية المغرب والشام آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق، ويخرج على السلطان خارجي قوي، وتكون الغلبة للسلطان، ويكون في أرض فارس في بعض الغلات آفة، وتغلو الاسعار بها في آخر السنة. وإذا كان يوم الأربعاء أول المحرم فإن الشتاء يكون وسطا، ويكون المطر في القيظ صالحا نافعا مباركا، وتكثر الثمار والغلات بالجبال كلها وناحية جميع المشرق، إلا أنه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة، و يرخص الاسعار، وتسكن مملكة العرب في تلك السنة، ويكون الغلبة للسلطان. وإذا كان يوم الخميس أول المحرم فإنه يكون الشتاء لينا، ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق، وتكثر الحمى في أول السنة وفي آخره وبجميع أرض بابل في آخر السنة، ويكون للروم على المسلمين غلبة، ثم تظهر العرب عليهم بناحية المغرب. ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب. وإذا كان يوم الجمعة أول المحرم فإنه يكون الشتاء بلا برد، ويقل المطر والاودية والمياه، وتقل الغلات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ، ويكثر الموت في جميع الناس، ويغلو الاسعار بناحية المغرب، ويصيب بعض الاشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرة شديدة[١].



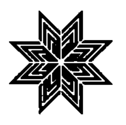
(١) بحار الأنوار ج ٥٥ ص ٣٣٠.



٢٠ - علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهراً

إذا انكسفت الشمس في المحرم فإن السنة تكون خصيبة، إلا أنه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض، ويكون من السلطان ظفر، ويكون زلزلة بعدها سلامة. وإذا انكسفت في صفر فإنه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب، ويكون قتال في المغرب كثير، ثم يقع الصلح في الربيع والظفر للسلطان. وإذا انكسفت في ربيع الأول فإنه يكون بين الناس صلح، ويقل الاختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويعز البقر والغنم، ويتسع في آخر السنة، ويقع الوباء في الابل بالبدو. وإذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فإنه يكون بين الناس اختلاف كثير، ويقتل منهم خلق عظيم، ويخرج خارجي على الملك، ويكون فزع وقتال، ويكثر الموت في الناس. وإذا انكسفت في جمادى الأولى فإنه تكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب، ويكون للسلطان إلى الرعية نظر، ويحسن السلطان إلى أهل مملكته، ويراعي جانبهم. وإذا انكسفت في جمادى الآخرة فإنه يموت رجل عظيم بالمغرب، ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة وإذا انكسفت في رجب فإنه تعمر الأرض، ويكون أمطار كثيرة بالجبال وبناحية المشرق، ويكون جراد بناحية فارس ولا يضرهم ذلك. وإذا انكسفت في شعبان يكون سلامة في جميع الناس من السلطان ويكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب،

ويقع وباء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته إلى سلامة. وإذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس، ويكون للروم على العرب كرة شديدة، ثم يكون على الروم ويسبى منهم ويغنم. وإذا انكسفت في الشوال فإنه يكون في أرض الهند والزنج قتال شديد، ، ويكثر نبات الأرض بالمشرق. وإذا انكسفت في ذي القعدة فإنه يكون مطر كثير متواتر، ويقع خراب بناحية فارس. وإذا انكسفت في ذي الحجة فإنه يكون فيه رياح كثيرة، وينقص الاشجار، ويقع بالأرض من المغرب سبع وخراب في كل أرض من ناحية المغرب، وينقص الطعام ويغلو عليهم، ويخرج خارجي على الملك ويصيبه منه شدة، ويقل طعام أهل فارس ثم يرخص في العام الثاني[١].



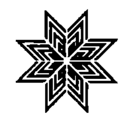
(١) بحار الأنوار ج ٥٥ ص ٣٣٠.



٢١ - علامات خسوف القمر طول السنة

إذا انكسف [انخسف] القمر في المحرم فإنه يموت في المغرب رجل عظيم، وينتقص الفاكهة بالجبال، ويقع في الناس حكة، ويكثر الرمد بأرض بابل، ويقع الموت ويغلو أسعارها، ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان، ويقتلهم وإذا انكسف [انخسف] في صفر فإنه يكون جوع ومرض ببابل وبلادها حتى يتخوف على الناس ثم تكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض وحال الناس، ويكون بالجبال فاكهة كثيرة. وإذا انكسف [انخسف] في شهر ربيع الأول فإنه يقع بالمغرب قتال، ويصيب الناس يرقان، ويكثر فاكهة البلاد بناحية (ماه) ويقع الدود في البقول بالجبال، ويقع خراب كثيرة بماه. وإذا انكسف [انخسف] في شهر ربيع الآخر فإنه يكثر الانداء بالجبال ويكثر الخصب والمياه، وتكون السنة مباركة، ويكون للسلطان الظفر بالمغرب وإذا انكسف [انخسف] في جمادى الأولى فإنه تهراق دماء كثيرة بالبدو، ويصيب عظيم الشام بلية شديدة، ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان. وإذا انكسف [انخسف] في جمادى الآخرة فإنه تقل الامطار والمياه بنينوى، ويقع فيها جزع شديد وغلاء ويصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم. وإذا انكسف [انخسف] في رجب فإنه يكون بالمغرب موت وجوع، ويكون بأرض بابل أمطار، ويكثر وجع الأنف والعين في الامصار. وإذا انكسف [انخسف] في شعبان

فإن الملك يقتل أو يموت ويملك ابنه، ويغلو الأسعار، ويكثر جوع الناس. وإذا انكسف [انخسف] في شهر رمضان يكون بالجبل برد شديد وثلج ومطر، وكثرت المياه، ويقع بأرض فارس سباع كثيرة، ويقع بأرض ماه موت كثير بالصبيان والنساء. وإذا انكسف [انخسف] في شوال فإن الملك يغلب على أعدائه، ويكون في الناس شر وبلية. وإذا انكسف [انخسف] في ذي القعدة فإنه تفتح المدائن الشداد، وتظهر الكنوز في بعض الأرضين والجبال. وإذا انكسف [انخسف] في ذي الحجة فإنه يموت رجل عظيم بالمغرب، ويدعي فاجر الملك.



المصادر

١ - الاحتجاج: الطبرسي، من اعلام القرن السادس الهجري، منشورات المرتضى، مشهد.

٢ - الاختصاص: المنسوب للشيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، منشورات مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

٣ - الكتاب المبين محمد كريم خان الكرماني الطبعة الثانية - مطبعة الغدير البصرة.

٤ - الارشاد: للشيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم.

٥ - ارشاد القلوب: للديلمي، من اعلام القرن الثامن الهجري، منشورات الرضي، قم.

٦ - الامالي: للشيخ الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠هـ مؤسسة البعثة، قم.

٧ - مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، تحقيق وتقديم الشيخ حسين الاعلى، مؤسسة الاعلى، بيروت.

٨ - بحار الانوار: للمجلسي، المتوفى سنة ١١١١هـ، دار الكتب الاسلامية، طهران.

٩ - بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠هـ مؤسسة الاعلمي طهران، مطبعة الاحمدي، ١٣٦٢هـ ش.

١٠ - اصل زيد النرسي، برواية التلعبكري من الأصول الاربعمائة.

١١ - تحف العقول: للحراني، من اعلام القرن الرابع الهجري، جماعة المدرسين، قم.

١٢ - تفسير العياشي: لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي، من اعلام القرن الرابع الهجري المكتبة العلمية الاسلامية، طهران، ١٣٨٠هـ.

١٣ - تفسير فرات: لفرات الكوفي، من اعلام القرن الثالث الهجري، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف.

١٤ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي، من اعلام القرنين الثالث والرابع الهجري مؤسسة دار الكتاب، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٥ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٦ - التوحيد: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، جماعة المدرسين، قم.

١٧ - ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١هـ منشورات الرضي، مطبعة امير، قم الطبعة الثانية، ١٣٦٤هـ.

١٨ - جامع الاخبار: للشعيري، من اعلام القرن السادس الهجري، المطبعة الحيدرية النجف الاشرف.

١٩ - الخصال: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١هـ جماعة المدرسين، قم.

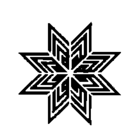
٢٠ - دلائل الإمامة، لأبي جعفر الطبري من اعلام القرن الرابع الهجري، مؤسسة البعثة، قم.

٢١ - علل الشرائع: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، المكتبة الحيدرية النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ.

٢٢ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، ايران.

٢٣ - الغيبة: للشيخ الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

٢٤ - الغيبة: للنعماني من اعلام القرن الرابع الهجري، مكتبة الصدوق، طهران.
٢٥ - قصص الأنبياء: للراوندي، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ نشر الاستانة الرضوية، مشهد الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.
٢٦ - الكافي للكليني، المتوفى سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.
٢٧ - كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي -، قم، ١٤٠٥هـ.
٢٨ - كنز الفوائد: للكراجكي، المتوفى سنة ٤٤٩هـ دار الاضواء، بيروت.
٢٩ - المحتضر: للحسن بن سليمان الحلي، من اعلام القرن التاسع الهجري، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، ١٣٧٠ هـ.
٣٠ - معاني الاخبار: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١هـ النشر الاسلامي، قم، ١٣٦١هـ، ش.
٣١ - مناقب آل أبي طالب: لابن شهراشوب، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ مؤسسة انتشارات العلامة، المطبعة العلمية، قم.
٣٢ - من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هـ دار الكتب الاسلامية طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٩٠ هـ.
٣٣ - نهج البلاغة: تحقيق صبحي الصالح، دار الهجرة، قم.
٣٤ - اصل زيد الزراد، ضمن مجموع عدة اصول، طبعة جانيمانه حيدري.
٣٥ - اصل أبي سعيد عباد العصفري، من الأصول الأولية للشيعة.
٣٦ - اصل عاصم بن حميد الحناط، من الأصول الاربعمائة.



الفهرس